فِلم وسلاطين

سمير عبد الباقي

فِلح وسلاطين

تأليف
سمير عبد الباقي

هنـــداوي

فِلح وسلاطين

سمير عبد الباقي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣٥٤٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الأستاذ سمير عبد الباقي.

المحتويات

قبل أن تقرأ ٧

سعدون أو سيرة شحاتة سي اليزل ٩
مقدمة الطبعة الأولى ١١
قيام شحاتة البشبوري من تراب الكتب ١٥
شحاتة مع أهل بيته في بداية سيرته وحواديته ١٩
حديث غرامي بين سعدون الفحل وزوجته الدون وهم على حصير النوم يتسامرون ٣١
واقعة سي اليزل والحمَّارة في القلعة الخمَّارة ٣٧
عندما طلع الصباح ... وكيف ضاع الحلم وساح ٤٣
واقعة سي اليزل فارس الفرسان مع مساجين السلطان ٤٩
شحاتة المضروب يصبح للحرس العثماني مطلوب ٥٩
كيف حرَّرت شامة سعدون وشحاتة وجنَّبتهم الشماتة! ٦٧
هروب شحاتة من أسر الجدران يجعل سيرته على كل لسان ٧٣
شحاتة فارس العصر وما جرى له في القصر ٧٩
الوصول إلى نهاية السَّبق ... حيث أكل النبق أو يصدق النبأ ٨١
سيرة شحاتة سي اليزل (سعدون) ٩٥

الليلة فنطزية ٩٧
حيص بيص والبحث في الهجيص ٩٩
الجوق المطلوب للتشخيص المكتوب ١٠١

الشخصيات المشخصة بلا حنشصة ١٠٣
التقديمة ١٠٥
كفر حماقة ١١٣
زقمانة ١٢١
السوق ١٢٥
الحشَّاش ١٣٣
التحقيق ١٣٥
التشخيصة ... ١٤١
المصفعة ١٥٧
شمُّ البصل ١٦٣
الليلة فنظزية ١٧٣

واقرأ الفاتحة للسلطان ١٧٥
ملاحيظ ١٧٩
بيان هام لأهل مصر المحروسة ١٨١
الجزء الأول ١٨٣
الجزء الثاني ٢١٧

قبل أن تقرأ

واجبٌ علينا واحنا بنحلم بسهرة مصرية أو عربية.

سواء كان ذلك نابعًا من حسن النية أو رغبة في الخروج من أسرِ الدونية، أو بسبب نقصٍ في القدرة النفسية أو الفنية، أو عنطزة شوفينية، أو بحثًا عن هوية!

يجب علينا أو على الأقل يجب عليَّه ... أن أقدِّم فروض الشكر والتحية لبعض الخواجات اللي أثَّروا فيَّه.

زي سرفانتس وشيدرين وبيدبا والأصفهاني وماكس فريش و... ابن إياس!

ولكثيرين من أولاد البلد يتوه فيهم العدد ... وأهمهم والحقُّ حق: بيريخت ... وحسين بن عبد ربه ويوسف بن إدريس وحسن فؤاد وصلاح حافظ وجوركي ... وسمير بن العصفوري.

وصقفة للفلاح خيال الضل.

سمير عبد الباقي

سعدون أو سيرة شحاتة سي اليزل

كوميديا مصرية

«إن أهمَّ ما وفِّق فيه الكاتب في هذه المسرحية هو رسمه لملامح شخصية سعدون الفلاح البسيط الصادق المخلِص — وهو سانشو في رواية «دون كيشوت» — وتصوير علاقته الحميمة القوية بشحاتة بطل المسرحية الحالم بالعدالة وبالحرية، العاجز عن تحقيقهما دون عون سعدون، بل والعاجز عن حماية نفسه من المكائد والمؤامرات دون حماية سعدون.

هذه العلاقة تمثل عنصرًا أساسيًّا في بناء المسرحية وتُشيع دفئًا وصدقًا نادرين في جوِّها.»

فؤاد دوارة

مقدمة الطبعة الأولى

هذه هي المرة الثالثة التي أُعيد فيها كتابة هذه المسرحية.

في المرة الأولى حاولت جاهدًا تخليصَها من علاقاتٍ حميمةٍ برواية سرفانتس الخالدة التي سحرتني.

وفي المرة الثانية حاولت بقدرِ ما أملك إغناءها بعطاء الشِّعر والمسرح الشعبي الممتزجَين بدَمي.

وفي المرة الثالثة حاولت الوصولَ إلى لغةٍ فُصحى مسرحية محتميًا في مواجهة كافة المحاذير بلغة التراث الشعبي الذي أُقدِّسه.[١*]

وفي كل مرة كان لأصدقاء أعزاء من الموهوبين الخلَّاقين فضلٌ لا يُنكر في إضاءة الطريق الصعب أمامي، إلى حُلمي الدائم أن أُسهم في خلقِ عرضٍ مسرحيٍّ شعبيٍّ راقٍ.

لكنني مضطرٌّ هنا للإقرار بحقيقةِ أنه لا يمكن للبعض من عديمي الموهبة (المتسرحين) أن يُعلِّموا الكاتبَ المسرحي كيف يكتب؛ لأنه في المسرح بالذات أكثر من أي فنٍّ آخر. يُدرك صاحب الموهبة الحقيقية (صاحب الحُلم) حين يمتلك — بعد تجاربَ عديدة — بعضَ القدرة، وحين تتضح له — بعد معاناةٍ قاسية — بعضُ الرؤية، مُتوِّجًا قدرته ورؤيته بالتزام جانب الشعب، أن معاناته لم تكن عبثًا؛ لأنه يؤمن أن كلَّ عمل ينجح في إكماله،

[١*] هذه الطبعة كتابةٌ رابعة بإعادتها إلى لغتها الأصلية ... اللغة العامية، وكان اسمها سيرة شحاتة سي اليزل.

رغم ليالي الرعب والرهبة من النقصان والفشل — إنما هو مجرد خطوةٍ صغيرة على طريقٍ مرهِقٍ ومدهش ... ورائع.

(دمشق، ١٣ / ١ / ١٩٨١م)
سمير

الزمان: بعد الفتح العثماني بفترةٍ كافيةٍ ليصبح الحال سيِّئًا بصورةٍ كافية.

المكان: قرية في ريف دلتا مصر العثمانية وما حولها من دروب وقرًى ودساكر.

الشخصيات: حسب إمكانيات الجوق ... وأهمهم:

شحاتة البشبوري: فارس فوارس العصر ... في زمان غير الزمان ... أسيرُ الكتب وأحلام سيف بن ذي يزن ... رفيع ممصوص، ولكنه نبيلٌ وحكيم حكمةَ العشَّاق الذين نحَلَ عقلَهم وجسمَهم حبٌّ لا خلاص منه.

سعدون: صديقه ورفيقه الفلاح الفحل ... أكولٌ واقعي لا يرى أبعدَ من تحت رجليه، وإن كان له حكمة ما لها أصحاب.

الجارية: وقد تلعب أيضًا دور «زوجة سعدون» وزوجة «صاحب الخان» «وزوجة الوالي»؛ فكلُّهن شريرةٌ متسلِّطة، وامرأة لأي سرير.

الفتاة: هدَّها الفقر، سواء كانت في بيت شحاتة أم في الخان، هي شامة الحلوة في كل مكان.

الشيخ أو سيدنا: ويلعب أيضًا دور صاحب الخان الخمَّار ... وحبذا لو لعب دور الوالي العثماني.

الحلَّاق: ويكون هو أيضًا رئيس السجَّانة أو زعيم الخمَّارة ... أو كبير السُّياس وخِلافه.

وعلى باقي أفراد الجوق أو الفاضي منهم أن يلعب دورَ الحكواتي أو شاعر الرباب ... أو أدوار السجَّانة والحمَّارة والعسكر والمساجين ... فهم لكل شيءٍ جاهزون ... وعشانا عليك يا كريم!

قيام شحاتة البشبوري من تراب الكتب

(افتتاحية تهريجية للجوق الشعبي يستعرض فيها مهاراته وتقاليعه وفنونه بعبلها، فردًا فردًا أو جماعة، متحركًا أو ساكنًا، حسب ما يخطر على بالٍ أو يطنُّ في نافوخ رئيسه وإمكانيات أفراده.)

الجوق أفرادًا ومجاميع:

أهلًا وسهلًا شرفتمونا، ياللي حضرتم وآنستمونا،
عشان خاطركم جايين نشخَّص، وعشان خاطرنا تشجعونا،
وصلِّ على النبي،
صلاةً تدفِّي قلبَ المكان، تُرعب خاين العيش والملح، وتطرد مِن سامرنا كلَّ شيطان.

كان يا ما كان ... في بلادنا زمان ... يا ما كان فرسان ... أبطال
شُجعان ... زي الأحلام
وانا واد فنان
يوهِب عمره لجل الأوطان ... تصبح جنة من غير سجَّان
صقفة يا جدعان
غار المماليك ... آه ... يا ربابة
رجعوا المماليك صرنا غلابة
البر صبح جحر ... ديابة ... وبحور أحزان
عسكر عثمانلية ... لاوندي

أومباشى وباشا وافندي
يطمع في الكتكوت لو عندي ... زي الغربان
أفعالهم لما تدغدغنا
يا تجيب داغنا
يا تصحصح وتصحي دماغنا ... حسب الإمكان
جهِّز أرغولك ... سمِّعنا ... حلو المغنى
يمكن للحلم ... ترجَّعنا ... نفهم معنى
وبحق اللي الليلة ... جمَّعنا ... ابعد يا شيطان.

رئيس الجوق (الحكاواتي): في يوم من الأيام بعد أن راح عصر الفتونة والجدعنة والشجعان ... حط على مصر وعلينا عصر أزرق من النيلة، وليل أسود من القطران ... ابتداه السلطان «سليم بن عثمان» بأن شنق بلا رحمة على باب زويلة السيد «طومان».

في تلك الأيام كان يوجد رجل من أرض المنصورة — يعني منصوري ... اسمه «شحاتة البشبوري» ... لا جابت مِثله ولَّادة ... ولا رضَّعت شبهه دادة ... ولكنه يا سادة كان على غير ما جرت العادة بيحب القراية والحكايات ... وتملَّك منه هذا الداء كالبلاء ... فقضى أكثرَ من ثلاثين سنة وزيادة ... يقرأ كتب السِّيَر والتفاسير ... ويمق عينه في دفاتر القصص والأساطير ... ثم فجأة،

في لحظةٍ تاريخية عبقرية مفاجأة،

قرَّر أن يهرب من بطن الكتب ويخرج لدنيا البشر ... الذين كانوا يعيشون تحت حكم العسكر العثمانلي عيشة تفرس البقر.

والحقيقة صاحبنا شحاتة كان رقيق القلب ... رقيق الحال.

ولم يبقَ عنده من ضهر الدنيا مال،

إلا جارية حيزبون، أخلاقها دون ... وبنت فقيرة جميلة قريبة من قلبه يبدو — والله أعلم — أنها كانت بتحبه.

ومن المؤكد أكيد ... أن شحاتة لما بص حواليه ... سالت دموعه زي المطر على خدوده واتذكر جدوده وغنَّى بالموال على الربابة، وقال:

لا بد للدنيا ترجع سيرة الفرسان
حيث الشرف والكرامة ميزة للإنسان
اللي اصطفاه ربنا فرقه على الحيوان

شرع العدالة يا ناس محتاج لجراءة
وسيف وحربة وحصان وشهامة وبراءة
تعلم العثمانية، إن إحنا ناس جدعان.

والليلة يا سادة حنحكي سيرة شحاتة بالتمام والكمال ... يكفينا رب الفن شر السهو والنقصان.

يمكن يا ناس شيء من حالنا يتبدَّل ... أو حاجة من عاداتنا أو أفكارنا تتحوَّل.

وابدأ معانا وقسِّم يا جدع ... م الأول.

شحاتة مع أهل بيته
في بداية سيرته وحواديته

(شحاتة في خلوته جاي رايح وكأنه في دنيا تانية ... عمَّال يجادل ويتبادل كلام وقتال ... وحاله حال اللي مع نفسه ف غضب طايح.)

الجارية: قُدامكم سهران بيقرا، الفجر شقشق وهو سهران بيقرا ... البيت خلا م الطحين والعجين وهو سهران بيقرا.

سيدنا: بقى له زمان ع الحال ده يا ولية؟

الفتاة: سنين.

الجارية: انسلَّ بدنه وفقرنا ولسه بيقرا.

الفتاة: القراية باب الغني ... والحلم ... باب الحب.

الجارية (مقاطعة في شراسة)**:** يحبَّك برص عُثمانلي ... القراية وراها إيه خلاف الفقر ... (لسيدنا) شفت في حياتك شخص له قيمة، والي أو سلطان عرف يفك الخط؟

سيدنا: الحقيقة الحق ... لأ ... كلهم ... كما خلقتني!

الفتاة: هيَّ يا سيدنا الكتب صحيح بتخفف العقول؟ وتجفف الجتت؟ (تتأمله) إنت لا جاف ولا ضعيف!

سيدنا (يبعدها ويأخذ سمت المعلِّم)**:** يا بنتي ... هذا موضوع معقَّد ... قالوا فيه كلام كتير ... أنا رأيي (يتحدَّث كمحاضر ويُقدَّم إليه ميكروفون) ... في الحقيقة أثر القراية يتوقف ... على درجة تقل الدم وف بعض الأحيان ... على درجة خفة الشعر، وإن كنت متأكد إن جنون القراية بيحصل بسبب ضمور الكلاوي.

الفتاة: يكفينا شر البلاوي.

الجارية: إنت علَّمته القراية، وبليته بالكتب.

(يعجبه المديح فيمشي متبخترًا.)

سيدنا: العبيط هو اللي يصدَّق الكتب.
الفتاة: هو صدَّقها عشان قلبه فصيح.
الجارية (تضربه على صدره)**:** إنما انت قلبك جامد ماتقراش غير الكتب السمينة! انصحه.

سيدنا: اخرسي وسيبيني أمحَّص ... يا خرابي! إيه ده؟ بني هلال السيرة والتغريبة؟ أوف! سيرة عنترة الأبطال؟ يا للهول! بابات ابن دانيال الكحَّال؟ يا مصيبة! رجوع الشيخ وتعديل الأحوال؟ والله عال! سيف بن ذي يزن وخراق الشجر ... وما جرى مع عطمطم من الأهوال جنون! سيف بن ذي يزن وواقعة دربال متاطح البغال؟ ... لا حول ولا قوة! ... سيف بن ذي يزن وصديقه سعدون الزنجي والرحلة لبلاد الخيال؟ ... مؤكد أكيد سيف ذي اليزن هو اللي قلب نافوخه.

(يتدرَّج الحوار إلى غناء إيقاعي راقص.)

مع أني يا صبية عرفت من زمان
بأنه كان حيبقى أكيد راجل مهم
قالوا لي في السراية بأن الوالي كان
ح يبعته البحيرة ويبقى ملتزم.

الجارية (منجذبة إلى الإيقاع)**:**

وبص شوف بنفسك ... إيه نابنا وإيه جرى لنا
شوف ازاي افتقرنا ... وحالنا صار عدم.

الفتاة (في إيقاع حالم مختلف)**:**

إنما أنا قلبي شايفه
لما ينطق اسمي بلسانه وشفايفه
باشوف نفسي أميرة.

الجارية: اخرسي، جاك داهية تاخدك!
الفتاة:

والتقي نفسي سجينة
وهو طاير فوق حصانه بينادیني.

الجارية: شفت داهيتنا التقيلة؟
الهبل صابها بداء الهلوسة!
سيدنا: القراية في بعض أحيان قد تسبب وسوسة.
الجارية: أحمد الرب الكريم إنِّي بجم عقلي م الفهم بريء.
الفتاة:

ولما يحكي عن جمال الحلوة «شامة»
آه ما أحلى كلامه ... يا نغم صوته الرقيق!

(إيقاع الكلام ينكسر ويتحوَّل إلى تقرير) ... وانا مصبوغة بسخام الفرن زي المعزة هربت من حريق!

الجارية (تزعق طاردة اللحن والحالة معيدة الجميع لواقع الحال)**:** كل ده من الكتب.

سيدنا: لا بد من حرق الكتب ... هي السبب وحرقها الحل الوحيد.

الفتاة: ح تقتلوه ... يا خلق حاولوا تفهموه ... لو كلامه صح تبقى الدنيا أحلى وأجمل م الأحلام.

الجارية: الأحلام كلها تخاريف.

سيدنا (يأخذ الفتاة محاولًا إقناعها بما يريد، وللحظة يبحث عن الميكروفون ثم يتجاهل الأمر)**:** يا بنتي إنتِ صغيرة ... لا تفهمين في هذه الأمور، طول حياتك بتعاشري البهايم والحمير، وعشان كده من حقك تخرَّفي، الحلم ضروري للي زيك عشان يستحملوا عيشتهم الكرب، إنما هو ابن الأكابر العاقل مالوش في الأحلام ... لازم يحجر عقله ... مايحسش إلا باللي يمسكه بإيده ... أو يشوفه بعينه ... علشان رجليه تفضل ثابتة على الأرض.

الفتاة (تنسلخ من بين يديه ... وتعود إلى اللحن وحالة التهويم)**:**

إنتم عايشين في قرار البير
قلبكو من هم الفقر أسير

وكيف المقصوص الريش ح يطير
لكن هو بقلبه الطاير
بجناح الحلم وشوق الفارس
شايف بُكرة جنة أساطير
والدنيا فوارس وعرايس
بتنام على صوت المزيكة
تصحى على صوت العصافير.

(يدخل الحلَّاق محطمًا هذا الجو الرومانسي الحالم الذي جعل حتى سيدنا والجارية يفقدان توازنهما للحظة، الحلاق يُحدث ضجةً فظيعة بما يحمله من حديد خردة وزرد وطاسة.)

الجارية: أعوذ بالله من الشيطان!
سيدنا: البيت ده مسكون ... بالعفاريت ... بالتأكيد!
الفتاة (ما تزال وحدها هائمة)**:** بينا وبينه الفرق كبير ... كبير.
الجارية: دستور يا سيادي من أنت؟
الحلاق (يُلقي بما يحمله)**:** أنا الحلاق ... التعيس.
الجارية: عامل نفسك عفريت؟
الحلاق: أنا ... أنا اللي موسي علَّم على كل دقون البلد أُمرَا وغُفرَا وخواجات ... ييجي زمن أَلِف فيه وأدور على الخرابات (يبكي زاعقًا) ياللي عندها حديد قديم للبيع ... ويضحك عليَّه العيال ... ويمسخروني الجرابيع؟!
الجارية: خيبتك ما وردت على حد.
الفتاة (تفحص ما أحضره بفرح)**:** وجهَّزت له اللي طلبه منك؟
الجارية: مين اللي طلب الزبالة دي؟
الحلاق: هو اللي أقنعني (يشكو لسيدنا متخلصًا منها) بيقرا ويفهم لا بد أقتنع باللي يقوله ... صح؟

(الفتاة تفرح – الجارية تجذبه بعنفٍ.)

سيدنا: اتركيه يُفسر لنا ... هل هو طلبها بنفسه.

الحلَّاق (منفلتًا يقول في إيقاع خاص به): كل هذا كان موصِّيني عليه،
أشحته لو كنت أقدر واشتريه
من بواقي الخردة وأكوام الزبالة.
سيدنا (بنفس الإيقاع): هو قال لك ... قصدي يعني قال لك إيه؟
الحلَّاق: قال لي أجيب له درع من زرد الحديد،
زي حمزة وسيف وعنتر لبس فارس.
الجارية: إنتو زيه عقلكم خف أكيد!
الفتاة: يا حلاوة ... حيرجَّعوا لمصر الفوارس.
الجارية (تكف اللحن والحركة): إحنا لا يمكن نسكت على كده أبدًا ... بعد زبالة الكتب يملى البيت بزبالة الحدادين والحلاقين.
الفتاة: حيثبت لكم شجاعته حيرد روحي ... ويخلصني وحيرجع ويَّاه الفرسان.
سيدنا: يا بنتي انتهى عصر الفرسان ... إحنا في عصر أولاد عثمان، ولا بد من حرق الكتب أو دفنها.
الحلاق: والحديد؟
الجارية: ندفنه في سابع أرض برده (تقولها في حقدٍ).
الفتاة (تصرخ): تدفنوه ... يا مجرمين، الحقونا ... يا خلق هووه (تخرج فتطاردها الجارية).
الجارية: بنت المجنونة حتفضحنا!
سيدنا: احبسيها في الخزانة ... على ما نحرق كله،
المهم إنقاذه وإنقاذ عقله لو كان باقي عنده عقل.
(ينظر ناحية برج شحاتة فيجده يتحرك) يا خبر أسود! (يتحول نحوهم في هدوء وحركة غامضة كفارسٍ نبيل مضحك.)
الجارية (تدخل): حبستها في الخزانة.

(تشاهد تسمُّرهم فتخرس معهم وشحاتة يتحرَّك نحوهم.)

سيدنا: حالته متدهورة جدًّا.

(كلٌّ منهم يُحاول العودة خلف زميليه.)

الحلاق: أنا قلبي ضعيف.

الجارية: ماتهربوش وتسيبوني وحدي ... شافكم ... اثبتوا ليرمينا بالحربة.

(يكون شحاتة قد قطع المسافة إليهم في حركةٍ مهيبة ... يبدو كخيال الظل ضعيفًا، ممسوسًا.)

شحاتة: آن الأوان يا «سقرديون» أيها الساحر الدون، كي أكشف أمرك، وأدفن للأبد شرَّك ... مثلما هو مكتوب في لوح «ابن نوح» جَدِّي الكبير (يزعق فيفزعهم) وأبشروا أيها المساكين والمظلومين سأعيد كتاب النيل ... وسأسقي من ظلمكم كأس المنون ... (يتحوَّل) واهدئي يا شامة يا ست الملاح، على سجنك الحقير سيطلع الصباح، فامسحي دموعك لأنني سأنتقم ممن حبسك في الخزانة.

الجارية: يا مصيبتي! ده عرف!

سيدنا: دستور يا أسيادي.

الجارية: الحقوا بيشاور ردُّوا عليه.

(كلٌّ منهم يدفع الآخر، ويذهب الحلاق أخيرًا إليه بعد أن يلبس الطاسة ويُمسك بعمود السرير كفارس كاريكاتيري ... يتقدم في خوفٍ ... بينما يغرق الشيخ في تعاويذه.)

الحلاق: مثل ما أمرت تمام يا سيدي الفارس سيف اليزل.

الجارية: قلت لك اتجننوا زيه ... بيقول له سي اليزل!

الحلاق: نفَّذت كل أوامرك ... شوف درع نحاس من غنايم مرج دابق، ودي حربة الأمير قطز شخصيًّا، ودي عملها خواجه أعور كان أصله قرصان ... أما الخوذة العجيبة دي فكانت في الأصل سلطانية شوربة لكنها كانت سلطانية السلطان الغوري ... اللي كان بيلبسها في مواكب الفشخرة.

(يتأمَّل شحاتة الأشياء ويفحصها بينما يعود الحلاق محتميًا بهم.)

الحلاق: خُش عليه، أنا خليت الجو آخر طراوة.

(يمسح عرقه.)

سيدنا: إنت متأكد إن مزاجه معتدل؟

الحلاق: حار جاف، لكن معتدل ... السلام عليكم.

(يحاول التسلل خارجًا لكنهما يُمسكان به، يتدافع الجميع ناحية شحاتة تُثيره الضجة التي تحدثها تعثُّرهم في الحديد، يتقدم ليحاصرهم ويلعب بهم.)

شحاتة: هرَّجوا يا أراجوزات بني عثمان ... فقد آن الأوان وصحا فارس الأقطار والدمن، مبيد أهل الشر والفسوق، العاشق المعشوق الأمير التبعي الحميري اليمني، وحش الفلاة وهازم الطغاة ... سيف بن ذي يزن وستكون رءوسكم مهرًا لحبيبتي «شامة» حتى تتم العلامة ... وينتهي عهد النهَّازين الهبَّاشين السحرة ... هرجوا لآخر مرة يا تعابين لابسين طرابيش، يا سلاطين تهبيش، وأغنيا سرقة وبقشيش. من هنا بارفع صوتي.

(رئيس الجوق الذي يُراقب ما يجري يخرج الأراجوز ويُطلق ضحكةً ساخرة طويلة ... فيزداد غضب شحاتة وتوتُّره ... ويبحث عن الصوت ويُحاربه في غير مكانه ... الجارية تنتهز الفرصة وتهرب، سيدنا يصرخ يا ستار ويُغمى عليه، تعود إليه وتحمله وتخرج به هاربة ... الحلاق لا يستطيع الهرب بسبب العمود الذي يحمله ويبدو والطاسة على رأسه كمقاتل هزلي.)

شحاتة: الآن ... سأجعلك تندم ... وكما سببت الألم ستتألم ... (كلما حاول الحلاق الرد قاطعه) اخرس ولا تتكلم! كيف تتجرأ وتخطف «شامة» وتحبسها في الخزانة؟

الحلاق: مش أنا ... دي هي.

شحاتة: جئت لتسخر منِّي في داري؟!

الحلاق: يا سيد شحاتة ...

شحاتة: مَن؟ ... أنا لم أعُد شحاتة، فلا تحاول الشماتة.

الحلاق: على راسي يا سي اليزل ... لا تؤاخذني ... بس انت غلطان، أنا مش اللي انت فاكره، أنا ...

شحاتة: لن تستطيع أن تُخفي صورتك الحقيقية ... مهما تنكَّرت أيها السحَّار اللعين!

الحلاق: أنا حلاق حلاق وآدي الموس ... أهه.

(يُلقي بالحربة ويُشهر الموسى.)

شحاتة: وتجرؤ على إشهار سيفك في وجهي! (يخوض معه مبارزة كوميدية ويهزمه ويجعله يركع وينتزع منه الخوذة) وهكذا عادت إليك خوذتك التي صنعَتها لك في جهنم أختك العفريتة «عاقصة»، ولن ينتزعها منك أحد بعد الآن.

الحلاق (فخورًا)**:** أنا اشتريتها لك بنفسي يا سي اليزل.

شحاتة: اخرس ... واذهب الآن لتعترف بهزيمتك أمام «شامة»، أطلِق سراحها وأخبرها أن حبيبها وفارسها قد خرج من قبره ... وكنت أظنه، أي أنك كنت تظنني قد انتهيت.

الحلاق: هوا ... سأذهب وأُبدل سروالي وأرمح إليها.

شحاتة: لا وقت للهدوم ... تعالى هنا.

(يجري الحلاق أمامه، يدوران حول بعضهما، يتعثَّر هو في الخردة، وينفلت الحلاق فيصطدم «بسعدون» الذي يدخل في نفس الوقت، يدوران حول نفسيهما ثم ينفصلان ... الحلاق مندفعًا إلى الخارج وسعدون إلى حيث صديقه شحاتة مكبَّلًا في السلاسل والحبال والخردة.)

شحاتة: لمَ عدَّت ثانية؟ ... أيها المأفون ... اذهب وأطلِق سراحها، لا وقت لديَّ ... اغرب!

سعدون (غير فاهم)**:** اغرب! ... إيه الحكاية؟ ... يا سيدي ... أنا سعدون!

شحاتة: تغيِّر صورتك ولهجتك لتخدعني وتحاورني ... اذهب وإلا قطعت رقبتك ... بحدِّ هذا السيف.

سعدون: لا! في عرضك ... أنا مش هو ... دانا سعدون بشحمه ولحمه ... سعدون أبو راسين الفحل.

شحاتة (يتماسك ويحملق فيه)**:** يا للهول! أحقًّا ...؟ أأنت حقًّا سعدون الزنجي صديقي الحقيقي؟

سعدون: سمَّوني أبو كرش وأبو راسين ... والفحل وأبو حنتيت، لكن الزنجي دي جديدة ... مايضرش ... أي حاجة منك مقبولة ... ما دام حنبقى حكام ... العبرة بالخواتيم.

شحاتة: هش ... (في شك) ... إنك تبدي ذكاء لا يليق بفلاح، فاظهر على حقيقتك ... أيها المأفون الساحر.

سعدون: ساحر؟! مراتي بتقول كده عليَّه برده!

شحاتة: يا للألم ... ألم تجد صورة أخرى تتخفَّى فيها غير صورة صديقي؟ يا للحيرة! ... أأطردك أم أقتلك؟ ... وهمٌ أم حقيقةٌ؟ هل أنت هو أم أنك لست هو؟ ... حيَّرتني أيها الحقير!

سعدون: لأ! شتيمة لأ ... إنت طالبني في نص الليل عشان تدخلني التاريخ، وتعملني قائد طابية مش تشتمني ... إذا كان الحكم حيقلل قيمتنا ويهزَّأنا لأ ... الله الغني!

شحاتة: سعدون ... لا تذهب، أشمُّ في صوتك ريحة الصدق لكن لا تخدعني، أأنت هو ... والَّا انت مش هو؟

سعدون: شِمِّني ... ريحتي أصدق من الصدق ... إحنا يا عم فلاحين عمرنا ما نخدع حد ... علشان إحنا المخدوعين دايمًا.

شحاتة: سعدون! إذن هيَّا نازلني كما كنا نفعل أيام الشباب.

سعدون: أنا لا ح انازلك ولا ح اطالعك ... أنا ح افارقك بالمعروف.

شحاتة: سعدون ليس من شيمتك أن تهرب من القتال ... لا تجبن، وإلا ظننتك هو ... وقتلتك.

سعدون (متألمًا من سن السيف)**:** تقتلني؟ خبر اسود! أنا يا عم مش سعدون الزنجي، أنا سعدون الفلاح ... وعمري ما شلت سلاح!

شحاتة: لا تؤاخذني يا سعدون ... (يفحصه) فالساحر سقرديون كان هنا قبل أن تأتي متخفيًا في ثوب حلاق يبيع الخردة ... وقد ادَّعى أن طاسة وحش الفلاة طاسة شوربة ... تصوَّر؟!

سعدون (يتأمَّلها)**:** لا ... مالوش حق ... مجرم.

شحاتة: ومنذ المساء وهو وسحرته، يحومون حولي، ويريدون حرق كتبي ودفني، وقد خطفوا شامة وحبسوها في الخزانة ... صرتُ وحيدًا بين الوحوش ... لا تتركني لهم ليفترسوني.

سعدون (مرتعبًا)**:** يا عم ... أنا خايف أكتر منك.

شحاتة (يستعيد فروسيته)**:** لا ... لا خوف بعد الآن ... فقد قام سيف بن ذي يزن من قبره ... هيَّا بنا ... ولتكن المواجهة هيَّا.

سعدون: أنا لا ... إنت عارف مراتي؟

شحاتة: وما دخل مراتك في ذلك؟

سعدون: مش موافقة.

شحاتة: وهل تسمح لامرأتك أن توافق أو لا توافق؟

سعدون: أنا لا أسمح لها، هي التي تسمح لنفسها ... ثم إنني بصراحة باخاف من السَّحرة والعفاريت كوم، وأخاف من مراتي كومين!

شحاتة: حرِّر نفسك من استعبادها.

سعدون (يضحك): أنا؟! ... إنها الساحر سقرديول بنفسه.

شحاتة: يا خسارة! ... سعدون يخاف من النسوان.

سعدون: زيَّك تمام ... ما انت قالب الدنيا عشان «شامة» ... كلكم كده، أبو زيد كان يقدر يكح قدام «الجازية»؟ ... والَّا عنتر، مش كان بيلحس تراب كعب «عبلة»؟

شحاتة: ولكن هؤلاء فرسان وفوارس يا سعدون.

سعدون (محتجًّا): أنا زيهم باعمل حساب مراتي حبيبتي ... لو أكسر خاطرها تكسر ضهري.

شحاتة: وتقدر تكسر خاطري أنا؟ هل ترضى أن أكون الفارس الوحيد من بين كل فوارس الدنيا اللي مالوش صديق ... يكون رفيقه على الطريق؟ ... هل تريد أن تُشمت فيَّه الأعادي؟ (يبكي.)

سعدون (يأخذه في حضنه ويربِّت عليه): قطَّعت قلبي!

شحاتة: كيف يكتب الشعراء موَّالي؟ ... مَن سيقصُّ عليهم أفعالي، غيرك أنت يا خادمي وسائس حصاني؟

سعدون: الطاسة انحشرت!

شحاتة: لن تخرج إلا بقطع الرقبة.

سعدون (مرتعبًا): يا خبر اسود! ... شِدَّها أنا في عرضك.

شحاتة: سأجرِّبها عليك ... أعطني رقبتك.

(سعدون يجري وهو وراءه شاهرًا سيفه ... بينما قائد الفرقة يُخرِج الأراجوز ويضحك ساخرًا ... وينجح سعدون في خلعها ... ويُلقي بها على أحد المقاعد.)

شحاتة: ستندم على خلعها، وسترى كيف ستقاوم ضرباتي ... التي هي أقوى من ضربات عطمطم ... طم!

(يرفع السيف وينزل به على الخوذة ... فتتفتَّت.)

سعدون: يا راسي ... يا عم أنا ماليش إلا طاسة مراتي، الحقوني!

(شحاتة مذهولٌ لما حدَث ... ينتبه فينادي عليه ويحاول اللحاق به، ولكنه يسقط في الخردة.)

شحاتة: لا ... يا سعدون ... الحلاق سرق خوذة وحش الفلاة ... بدَّلها ... يُزيفون كل شيء يا سعدون ... ولكني سوف أوقفهم عند حدِّهم.

(تدخل الفتاة فتتقدَّم لتساعده على النهوض ... وهي تتألم.)

شحاتة: أخيرًا ... جئت ... لقد شتَّت شملهم ... هل رأيت الساحر وهو يفرُّ مذعورًا؟
الفتاة: إنت وحيد ... بتدور على حلم في زمن لا بيسمح براحة ولا بأحلام.
شحاتة: أنتِ راحتي وحلمي ... سأهزمهم وسأخلِّصك من العذاب والإهانة وأحرِّرك من الأسر.

(يتغيَّر صوته عندما يسمع ضحكةَ الأراجوز وتفزع هي لعودة الحالة إليه.)

ولن أسمح للساحر بدفني حيًّا ... وسأُنقذك من قلعته إلى الأبد.
الفتاة: يا خسارة! ... السنين فاتتها المواعيد، والمشاوير طويلة ... وبعيد ... ولا أنا فاهمة منك كلمة واحدة.
شحاتة: المهم أن يحس قلبك يا زهرتي الملوَّنة بألف لون.
الفتاة: ألف لون؟! ... لون التبن والتراب، والَّا لون هباب الفرن؟ يا سي شحاتة إنت حالتك صعب قوي ... وحياتنا أصعب ... والحلم أصعب م الجنون ... قوم ... قم ولِم نفسَك ... تعالى نام واستريح.

(تساعده على القيام.)

شحاتة: لا ... النوم حرام بعد الآن ... ومهما كان الصعب فأنا الأصعب من أي صعب (ضحكات الأراجوز حين يتعثَّر) ... لا تسمعي لهم ... وصدقيني.

(يدور مطاردًا الفراغ والصوت يهرب منه.)

شحاتة: اظهر أيها الساحر الجبان ... لأنني سأجدك ولو اختبأت في جبل قاف ... إن بصري اليوم حديد.

(يسقط متعثرًا مرةً أخرى.)

الفتاة: يا سي شحاتة ... بص تحت رجليك.

شحاتة: أنا شايف ... أنا أرى جيدًا ... وأسمع جيدًا.

(تخرج يائسةً باكية.) لا ابقي معي . سأهزمهم جميعًا. قوموا من قبوركم أيها الفرسان ... يا أبا زيد يا هلالي، يا عنترة، ويا حمزة البهلوان ... هيَّا ... وأنت يا سعدون ... ها هو يستيقظ في قلبي ... (تظهر عرائس وأراجوزات، أو يقوم أعضاء الجوق بنفس الدور؛ إذ ينتظم ويتلاشى جيش وهمي) فارس الفوارس ... التبعي اليمني ... سيف بن ذي يزن ... فتعالوا إليَّ ... وانفُضوا تراب الكتب والسنين ... أُعاهدكم أن أجمع الشمل وأحقِّق المرام ... وأن أهدم قلعة الساحر على أم رأسه.

(يُطارد الفراغ ... تطارده الأشباح والضحكات وهو يقود جيشه الهزلي.)

(إظلام)

حديث غرامي بين سعدون الفحل وزوجته الدون وهم على حصير النوم يتسامرون

سعدون: يا مرَة اهمدي ... دنيا كلها حتحفظ اسمي «سعدون الفحل أبو راسين» ... والناس حتعرف قيمتي!

الزوجة: ولا حد عارف قيمتك زيِّي.

سعدون: افهميني ... أنا خلاص سمنت على القفص، صعب تحشريني دلوقتي فيه وتقولي لي بيض!

الزوجة: هو اللي دخل في مخك الزناخة دي ... هو من حقِّه يحلم يبقى حاكم وسلطان ... لكن أمثالنا مالهمش إلا الأرض ... سيبك من أفكاره.

سعدون: أنا ليَّ أفكاري المستقلة ... أنا مش إمَّعة.

الزوجة (متباكية): يا حسرة على بختك يا أم العيال! ... العاقل مايدخلش الزريبة والتيران بتتناطح يا سعدون ... أولادك وغيطك عايزينك.

سعدون: آن الأوان أبقى حاكم يا ولية.

الزوجة: ح تجري ورا مشكاح ... وريما ما لها إلا النواح (تبكي).

سعدون: أنا ح ادخل التاريخ من باب الحرس المزنهر ... عايزة تعلقي المحرات في رقبتي طول النهار. وتعلقيني في ساقيتك طول الليل؟! ... بصِّي ... أهُم واقفين جاهزين ... أول ما أبدأ مغامراتي ... حيحكوا حكاياتي ... وتلاقي اسمى زي الجوهرة على صدر باب التاريخ.

الزوجة: والتاريخ ده بقى اصطبل والَّا زريبة؟

سعدون: يا جاهلة ... التاريخ كله كتب ... ياما قرالي ... وسمَّعني حكايات ... اللي تقتل من الرعب ... واللي تموت من الحزن ... واللي تفطَّس من الضحك.

الزوجة: حياخدك يقتلك في التاريخ ... يا سبعي!

سعدون: يا هبلة ... لو كنتي معانا لما دخلت خلوته ... ياه! ... مش ح تصدقي طبعًا ... كان معاه كل الصناديد في نص الليل.

الزوجة: بسم الله الرحمن الرحيم ... عفاريت؟

سعدون: ماتفسريش ... دول الأبطال وأرواحهم بتجتمع عنده كل ليلة يتشاوروا في أحوال الدنيا.

الزوجة: أوعى يكون حد منهم لمسك!

سعدون: يلمسوني أنا؟ ... وهمه بيكلموا أمثالي؟ ... أنا ماشفتش غير دمدمة ... كانوا بيتكلموا سرياني، وبيدبروا إزاي نغلب الساحر سقردول ... وحواليهم خرايط وكتب وجزاير وطوابي ... وخطط حربية ... ودخان ... أنا اترعبت.

الزوجة: يا خرابي! ... مصيبة ليطلعولنا ... هنا!

سعدون: يا شيخة تفِّي من بقك ... دول ملوك.

الزوجة: والنبي دول عفاريت.

سعدون: ماتفسريش في وشِّي ... سامعة! (أصوات أقدام.)

الزوجة: يا لهوي! ... رجلين معزة ... كله منك!

سعدون: إنتي اللي فسَّرتي ... ليلتك سودة!

(يُسمع دق شديد على الباب ... يختفي سعدون تحت اللحاف بينما هي ترتجف.)

الزوجة: دستور يا أسيادي ... قوم شوف مين.

سعدون (يشخر)**:** أنا نايم.

صوت: سعدووون ...

الزوجة: بينادوا عليك ... اخرج لهم ... مايدخلوش هنا.

سعدون: قولي لهم أنا نايم.

الزوجة: أنا عريانة يا سعدون.

سعدون: وانا حافي.

(تذهب بعد تردُّد إلى الباب تفتحه وتجري لتختبئ ... يدخل شحاتة في ملابسه الغريبة.)

الزوجة: عفريت يا سعدون ... الحق!

سعدون: وانا مين حيلحقني! ... أنا ميت.

شحاتة: إيه جرى يا اولاد؟ ... إنتم خايفين؟

سعدون: الرحمة يا شمهورش!

شحاتة: سعدووون ...

سعدون: نعمييين.

شحاتة: ألا تعرفني؟

سعدون: اللي ما يعرفك يجهلك يا ملك الجان.

شحاتة: لا تترك الشك يُفسد عقلك يا سعدون ... اجعل إيمانك يملأ قلبك ... انهض ... وكن رجلًا يليق بصحبة الفوارس ... لقد آنَ الأوان ... لندق أبواب التاريخ.

سعدون: سيدي شحاتة البشبوري؟!

شحاتة: سيف بن ذي يزن.

الزوجة: يا مصيبتي! ... يقطعك يا سي شحاتة بيه! عامل في روحك كده ليه؟!

شحاتة: نسيت يا سعدون؟ صار شحاتة ماضيًا.

سعدون: وحياتك افتكرتك عفريت!

الزوجة: ما هو منهم.

سعدون: اخرسي يا مرَة ... وادخلي جوه ... (يقلِّد سيِّده) عندما يتكلم الفرسان تسكت النسوان.

الزوجة: يكون في علمك لا سفر ولا خروج ... شي الله يا تاريخ ... لا التاريخ بيطعم جعان ولا يكسي عريان (تخرج).

سعدون: امشي يا مرَة يا جاهلة ... واعذرني لأني ماشفتش فرسان قبل كده ... لكن دلوقتي حاسس إننا حنهد الدنيا ونبنيها تاني ... والَّا مانبنيهاش مش مهم ... لأني حاسس أن كل اللي ف نافوخك حيتحقق.

شحاتة: هكذا كتب في التاريخ ... سنحرر «شامة» ليكون العدل شريعة والخير مشاع.

سعدون: بس أنا خايف!

شحاتة: من أي شيء؟ ... إنت معي.

سعدون: وانا إيه؟ ... حتة فلاح ماقتلش فار في حياته ... ده كله خيال.

شحاتة: لن يظل خيالًا ... وستكون لك طابية حقيقية في مملكة حقيقية ... آمن وسيكون الحلم حقيقة.

سعدون: وهل يكون لي شعب حقيقي ... أحكم وأتحكم فيه؟

شحاتة: طبعًا ... شعب من الصنَّاع والفلاحين ... والنساء ... والعسكر.

سعدون: واللصوص ... والدكاكين؟ والصعايدة؟ والعثمانلية؟

شحاتة: لا ... لن يكون هناك عثمانلية بعد اليوم ... سنطردهم أو نقتلهم.

سعدون: الله أكبر! زي ما يكون كل شيء حصل! أكيد ... إنت بتضحك على دقني!

شحاتة: سعدون ... أنا سيف بن ذي يزن التبعي اليمني ... سيد الفرسان ... لا، أنا لا أكذب، وهذه هي الحقيقة المؤكدة التي تقودنا إلى النصر.

سعدون: مدد ... يا سي اليزل!

شحاتة: هل قبلت؟

سعدون: قبلت الطابية.

شحاتة: ومستعد للرحيل؟

سعدون: بالروح بالدم ...

شحاتة: إذن هيَّا!

سعدون: هيَّا بنا هيَّا ... نطوي الفلا طيًّا (تدخل الزوجة).

الزوجة: على جثتي وجثث عيالي!

سعدون: يا مرَة ماتحرجنيش قدام سي اليزل!

الزوجة (تتركه لتأخذ بخناق الفارس وتهزُّه)**:** سي اليزل؟ خيبة أمل! سايق الهبل! عملنالك إيه يا راجل انتَ عشان تجنن اللي مالناش غيره ... حرام عليك حُرمت عليك عيشتك!

شحاتة (في هدوء وهي تطوِّحه)**:** مسكينة وجاهلة، ويجب أن نغفر للفقراء ... الفقر قاسي يا سعدون ... جفَّفَ قلبها فأصبحت عمياء لا تبصر الحقيقة.

الزوجة: أنا عميا يا عديم النظر!

شحاتة: كل هذا من فِعل الساحر الكهين يا سيدتي ... ولكن اطمئني فسنحررِكِ أنتِ أيضًا.

الزوجة (باكية)**:** سيبنا في حالنا ... اعمل معروف ... لا ترملني ولا تيتم عيالي!

سعدون: خلاص ... أرجع وانا حاكم طابية وحيبقى ولادك وزرا وانتِ سلطانة.

الزوجة: يا سعدون عيالك محتاجين لك فلاح!

سعدون: العالم محتاج لي أكثر (ينفلت ويخرج وراء فارسه فتصرخ في يأس).

الزوجة: ملعون أبو العالم ... أولادك أحق بيك ... الأرض عايزاك وعايزة محراتك. يا سعدون اللي ماعندوش مروَّة يسوق محرات إزاي يحكم مدينة ... عقَّلوهم يا ناس ... لو كان عندكم ذرة عقل ... ماكنتوش تتفرجوا على خيبة أكبر منها خيبتكم. وماكنتوش تضحكوا على مصيبة أهون من مصيبتكم ... فوقوا يا ناس ... تخاريف الراجل ده حتهد الدنيا على دماغه وعلى دماغكم ... زي ما هدَّت بيتي على دماغي.

(ضحكات الأراجوز.)

واقعة سي اليزل والحمَّارة في القلعة الخمَّارة

شاعر الربابة:

للدنيا طار سي اليزل عدَّى جبال وبحور
قصده ينجي وينقذ كل طير مأسور
ح يحارب الجن علشان شامة ست الحسن
وحبيبته من قهرها في بيته قتلها الحزن
شقيانة يا حسرة غرقانة ف تراب الفرن
كأس الغرام ع الفقير زي الغني بيدور.

الفتاة:

كل الصبايا اتهنُّوا وارتاحوا إلا أنا
والكل عرفوا الحب عشقوا ... إلا أنا
والناس يناموا الليل في راحة ... إشمعنى أنا
سهرانة أبكي حسرتي ... طول السنة
حط الظلام لأسود وضيَّع سِكتي ... وتهت أنا
شوك الطريق الصعب قطع هدمتي
وحفيت أنا
لكني مشتاقة أدوق طعم الهنا
على صوت حوافر مهرتك
بيدق قلبي لغنوتك
ارجع لي يا سيف اليزل

رجِّع لي أحلام الأمل
ترجع معاها لحبنا ولأهلنا كل المنى.

(يفضل أن تغني الفتاة وهي تعمل في بيته، ثم يتدرَّج سواء أحسَّها المتفرج أم فاتت عليه، إلى أن نجدها مختلفة قليلًا وعملها مختلف تتحول إلى مرمطونة في الخان الذي يزدحم بالحمَّارة، هي هي فتاة البيت بقدرِ ما هي ليست هي ... السكارى يعابثونها وهي ترفض وتتمنع وتقاوم.)

الفتاة: بس يا حمَّار الكلب ... سيبني!
حمَّار ١: أميرتنا الليلة وحبيبتنا ... شد معايا يا أبو علي.
حمَّار ٢: منجه أمورك ... الليلة حتبقى آخر حمورية.

(واحد منهم يلبسها عباءة مرقَّعة.)

حمَّار ٣: بنت السلطان لبست قفطان ... ها ... ها ...
حمَّار ١: لبس البوصة، تبقى عروسة.
حمَّار ٢: طب ولو قلَّعتها ... ها ... ها ...
الفتاة: إلهي ربنا يبتليكم بمصيبة ... يا أولاد الكلب ... الحقوني يا ناس!
حمَّار ٢: حني ع الشعب يا سلطانة.
حمَّار ٤: لف العباية على وسطها التحتاني أحلى.
الفتاة: يا غجر يا مجرمين!
حمَّار ٢: لبسها التاج ... عليَّه الطلاق ولا تاج الخنكار.
حمَّار ٣: كله يُقدم فروض الطاعة.
حمَّار ١: أنا ح اقدم لها قرعة بوظة على حسابي.
الفتاة: يا غجر ... الحقوني!

(يحملونها قسرًا ويدخلون بها وهي تقاومهم بشدةٍ ... صارخة.)

(من بعيد أو مخترقين الصالة أو الساحة نجد شحاتة وسعدون وقد أنهكهم التعب.)

شحاتة: سامع يا سعدون ... وصلنا للقلعة اللي حبس الساحر فيها شامة ... سامع صوتها بيستنجد بيه.

(صرخات.)

سعدون: سامع صويت آه ... بس متأكد إنها قلعة؟

شحاتة: مؤكد قلعة ... وإلَّا ماكنَّاش سمعنا أصوات العذاب دي.

سعدون: على أي حال المهم أن يكون فيها أي أكل ... أكل ... وكوم تبن أدفن جسمي وأشخر.

شحاتة: يا سعدون ... لازم تكون واثق من المكان اللي وصلت له ... وإلَّا حتتلخبط ... خليك زيي ... قدِّر لرجلك قبل الخطو موضعها.

سعدون: يا سلام ... وانت اتأكدت؟

شحاتة: انكتب علينا منذ الأزل إننا نوصل القلعة دي.

سعدون: أرجوك يا سي شحاتة ... ماتضحكشي عليَّه دا خان وخمارة ... بتاعة حرامية وحمَّارة.

شحاتة (بجدية)**:** يا سعدون ليه سيبت عينك تخدعك تاني عن جوهر الأشياء ... بص بقلبك ... ألم نعبر الأنهار الأربعة؟!

سعدون: أنهار؟ وأربعة؟!

شحاتة: نعم أربعة ... النيل والفرات وسيحون وجيحون ... وبعدها ... آدي القلعة.

سعدون: وحياة شنب مراتي أنا لا شفت نهر ولا بحر!

شحاتة: ثق يا سعدون ... الثقة هي بداية طريق الانتصار.

سعدون: اللي أنا واثق منه أن عصافير بطني بتوعوع ... وإن أنا عايز أرتاح حبة وأنام ... عشان نبدأ الشغل.

شحاتة: شغل؟!

سعدون: الحُكم ... الولاية ... الأبهة والتاريخ ... إنت مش قلت إن لما نوصل عند الأميرة ... نستلم الحكم؟

شحاتة: وسترى بعينيك كيف سيكون استقبالنا عظيمًا.

(يتقدَّم وينادي) ... أيها الأمير يا صاحب القلعة!

أُناديك فاخرج للقتال ... أطلِق سراح الأميرة وإلا دمَّرتها فوق رأسك!

(يخرج صاحب الخان وزوجته، يتطلَّعان إليهما في دهشة، زوجة صاحب الخمَّارة سوقية معلمة ... والحمَّارة يخرجون أيضًا يتطلعون في دهشة.)

الخمَّار: عايز إيه يا جدع انت، لو عايز سرير ماعندناش، كل الأوض مشغولة، مافيش غير الاصطبل.

زوجته: كل شيء له يشبه اللي له.

شحاتة: لا أتصوَّر إنك تتكلمين بهذه اللهجة السوقية ... يا مولاتي الأميرة!

الخمَّار: هه! ... أميرة؟!

زوجته: أميرة! يطوَّل عمرك ... طلباتك إيه يا زين الفوارس؟

شحاتة: جيت عشان أرجع الأميرة «شامة» لأهلها.

الخمَّار: أميرة إيه يا روح امك؟

سعدون: آه ... يا كتافي ... حاسس إن إجنابي حتاكلني.

شحاتة: لا تتجاهل الأمر يا أمير ... أطلِق سراح الأميرة اللي خطفها جنودك الأنذال هؤلاء!

الزوجة: يكون قصده البنت اللي شغالة عندنا؟

الخمَّار: معقول؟!

الزوجة: دي لقيطة اشتريتها بغدوة من شحَّات.

الخمَّار: ممكن يكون الشحَّات ده خطفها من قصر!

شحاتة: لن أنتظر أكثر من ذلك يا أمير ... هيَّا ... وإلَّا هدمت قلعتك على أم رأسك!

الزوجة: هأو ... قلعة؟ ... دي أمك اللي قلعة!

حمَّار: هأو أو ... أراجوز على حصان خشب.

حمَّار آخر: يا راجل تعالى ... الشغل جوَّه.

الزوجة: مايحكمش يا عمر!

شحاتة: ابتعدي عن طريقي يا صاحبة السمو ... لا يجب لمن هي في مقامك أن تحشر نفسها بين الفرسان.

(تضحك ضحكة مثيرة.)

سعدون: يا ست الستات في عرضك ... ماتأخذيهوش، أصله مش منهم.

الخمَّار: ترالالي ... والَّا ...؟ (ضحكات الأراجوز.)

شحاتة (يتوتَّر): لن أسمح لأي إنسان مهما كان أن يسخر منِّي ... هيا ... يا سعدون ... إلى المعركة.

حمَّار: صاحبك ماله؟ حِمقي كده ليه؟

حمَّار ٢: إديله شفطة م الهباب يمكن يروق.

شحاتة: أيها الوغد ... اذهب إلى سيدك وقل له ...

الزوجة: أيوه يا سيدي ... إنت مش منهم؟

شحاتة: أنا فارس الأقطار والدمن، مشتِّت أهل الفسوق والمروق، فاحذري ونادي زوجك دربال مناطح البغال ... لأسوِّي الأمر معه ... هيَّا! (يهجم عليها بالحربة.)

(تهرب إلى الداخل.)

صوت الفتاة: يا عالم الحقوني ... آه ... يا حمَّارة الكلب!

شحاتة: يا سعدون ... هل سمعت أنهم يعذِّبونها ... جئت «يا شامة» فلا تخافي ولا تحزني.

سعدون (يضع البردعة على ضهره): سمعت واتأكدت، فلتستعد بدرع متين.

(يقتحمان أحد الأبواب ويغيبان في الداخل بينما تعلو أصوات كركبة ودربكة من الداخل.)

شاعر الربابة:

وهجم صاحبنا سي اليزل في قوَّة
وفي عروقه الحماسة نبض ومروَّة
لكن يا ميت خسارة ... القلعة خمَّارة
إيه يعمل السيف لوحده ويَّا حمَّارة.

(أصوات من الداخل.)

شحاتة: لا تتدخل يا سعدون، يجب أن أهزمهم وحدي ... كما هو مكتوب في الألواح القديمة.

سعدون: لكن دول مستفردين بيه أنا.

شحاتة: يهربون من مواجهتي فأرسلهم لي.

سعدون: أعمل إيه؟ أنا الحيطة المايلة.
شحاتة: لن أتركك لهذه الكلاب السكرانة السعرانة.

(يسود هدوء، ثم تُقذَف أشياؤهم ويدخلان متساندَين.)

سعدون (باكيًا)**:** هرمشوني يا سي اليزل.
شحاتة: الساحر مخادع وشرير ... استعان به أمير القلعة ... واستعان هو ببرنوخ ... أبو ألف دراع خشب ودراع حديد ... لكنهم ... لم ولن يتغلبوا عليَّه ... سوف أريهم ... أيْ!
سعدون: فلقوا دماغي يا سي اليزل.
شحاتة: لكننا مع ذلك أنقذناها ... من بين أيديهم ... هل رأيت كيف هربوا ... وتشتتوا؟

(ينهار واقعًا.)

سعدون: طبعًا ... هربوا ... هرسونا وهربوا ... انتصرنا عليهم ... فنحن لم نجرِ ولم نهرب ... لكنهم هربوا جروا ... وإلَّا كنا ذبحناهم ... م اااه!

(ينهار إلى جواره.)

(إظلام)

عندما طلع الصباح ...
وكيف ضاع الحلم وساح

(آثار السهرة الصاخبة، الحمَّارة مكوَّمون، زجاجات وبقايا ... يدخل صاحب الخان يتمطَّى، ويشد قامته كمن يعيش في حُلم وضاع.)

الخمَّار: نظراتي النبيلة؟ ... وعودي بيشبه عود الزناتي؟ وانا ملك؟ ... سلبوا منه عرشه؟ ... معقول؟! والبنت اللقيطة دي ... اسمها شامة وبنت سلطان؟!

والحرب دايرة على رِجل ونص؟ لأه ... النهار طلع ... ولسه باحلم ... ياااه ... أكيد الراجل ده شيطان وسواس ... فعلًا مقنع ... معقول! ... واحد زيي من أصل نبيل، معقول يفضل مرطوط في المزبلة دي طول عمره ... يتحمل رزالة الزباين ويشحت البقشيش منهم بكل أدب؟! ... لا ... عنده حق ... هيَّ دي الحقيقة ... دي قلعة ... قلعة!

وانا سلطان ابن سلطان، سرقوا منِّي عرشي ... إزاي سمحت لنفسي إني أتمرمط وأتشحط بين المصاطب، لولا الفارس ده ماكنتش عرفت حقيقتي ... الناس كلهم بالليل ... عرفوا حقيقتي وحطوني ف مكاني الحقيقي ... احم!

يا أميرة الزمان وملكة العصر والأوان ... تعالي ... كي نباشر مهام مملكتنا الصغيرة.

الزوجة (ترتِّب هيئتها كمن باتت في غير مكانها)**:** إيه اللي جرى لك يا فالح؟ ... لسه مافقتش؟

الخمَّار: فوقي إنتي يا مولاتي ... واتمسَّكي بالحقيقة اللي كشف لنا عنها سي اليزل.

الزوجة: هأو ... مش كفاية أهبل واحد ... اتهفِّيت انت كمان؟!

الخمَّار: سوقية ... ألفاظ سوقية ... ماتليقش بأميرة ... يا مولاتي إحنا ... من ...

الزوجة: مولاتك؟ ... اتجننت يا سبعي؟!

الخمَّار: سوف يغضب لو سمعك وانتي بتتلفظي بالكلام الزرايبي ده.

الزوجة: اسم الله عليه وعليك! ... وحياة أمك الغالية إنت اتجننت!

الخمَّار: وحياة أمي! مش ممكن تكون دي ألفاظ سلطانة ... لكن دي غلطتي لأني اتجوزت واحدة من العامة.

الزوجة: العفو يا ابن الأكابر ... اللي نفخك يفسِّيك ... يا صعلوك صدَّقت إنك سليل ملوك؟

الخمَّار: أنا مش منفوخ ... أنا اكتشفت ذاتي ... وأعرف حقيقة أصلي.

الزوجة: الحقيقة الوحيدة إنك حمَّار ابن حمَّار، ولما ربنا فتحها عليك زودوك نقطة اتجوزنا وبقيت خمَّار.

الخمَّار: والقلعة؟ ... القلعة دي ... اللي صدَّت جيوش عطمطم؟

الزوجة: عطمطم تبقى خالتك.

الخمَّار: والعرش ... والتاج ... أهه!

الزوجة: اسم الله ع التاج ... عمة أبوك تحتها قرد ... فُوق ... دي خمَّارة من أربعين سنة ... مملكة آه، لكن مملكة أمي أنا يا عرَّة الحمَّارة صدَّقت خرافاته ... كنا بنتسلى يا دُهل ... سكرنا ولعبنا ترفيه عن الزباين.

الخمَّار: يعني قصدك إن كل اللي حصل كان عشان سكران وباحلم؟

الزوجة: مش من حقنا نحلم، الأحلام بتكلِّف ... مش دي نصيحتك اللي اتجوزتك بسببها ... كانت نصيحة راجل فاهم ويعرف يحمي ست زيي وسط البهايم ... تقوم بعد تلاتين سنة ننساها ... عايز تضيعنا بتخاريف الفارس المفلس؟

الخمَّار: عندك حق (يصفع نفسه) الأحلام بتكلَّف كتير ... دي الحقيقة الوحيدة اللي لازم يعرفها خمَّار عقله زنخ زيي ... اسنديني (تصبُّ عليه جردل ماء) ... يا بت يا لي مابتحلميش.

الزوجة: اصحى ... فُوق ... وازعق ع البت المفعوصة دي تساعدني نروَّق المطرح ... لازم روخرة صدَّقت أن أمها ملكة.

الخمَّار: بت يا مقصوفة الرقبة!

الفتاة: من ينادي في الصباح الباكر؟ ... لا يجب أن يرفع أحد صوته في حضرتي ... (تضربها) يا لهوتي ... أنا ابنة الملك أفراح.

(تبهدلها الزوجة محاولةً إفاقتها.)

الزوجة: نعم يا روح امك! اسمع يا ملك الخمَّارة ... اسمع ... صاحبك المجنون كَل عقل البنت رخرة!

الفتاة: زيحوا الغشاوة عن عيونكم ... بصوا للدنيا ولبكره بقلوبكم.

الزوجة: إلهي بصينا عليكي مالاقيناكي!

الفتاة: أنا فتَّحت عيني على حقيقتي ... خلاص.

الزوجة: تعالي هنا.

الفتاة: وحيرجعني لأهلي يا خطافين.

الزوجة: سمعت ... اليتيمة اللي وهبها لنا الزمن عشان يمشِّي حال الخمَّارة ... عايز يخطفها ... عمَّمك وعملك شاه عشان يلهفها ... ياللَّا ع الجردل والخيشة نضفي المطرح ... ولمي الزبالة ... وامسحي البلاط يا بنت الرفضي!

الخمَّار: مش ممكن أكون أمير ... ولا يمكن تكون دي قلعة ... لا ... أنا اتجننت بالتأكيد!

الزوجة: ياللَّا يا بنت ... بسرعة ... بقينا الضهر ... (تخرج باكية.)

الخمَّار: بالليل كان كل شيء واضح ... كنت سلطان وملك ... وكان هنا قلعة فعلًا ... وانا قاعد على العرش ... إيه اللي حصل؟

الزوجة: معلهش يا ملك الكوتشينة ... طول عمرك وانت حمَّار وخمَّار، وطول عمرها زريبة وخمَّارة ... واحنا عشنا هنا سلالة، سلسال أبًّا عن جده ... هع ... سلالة مولودة بين السراير والبراميل ... عِشنا على دراهم اللصوص وقطَّاع الطرق وشحاتين الحمَّارة ... اصحى ... يا ملك ... إشمعنى أنا ماصدقتش تخاريفه ... هه ... عشان عارفة نفسي وواثقة من ذاتي ... أمي غسَّالة وأبويا حرامي بط ... جمعوها مليم على سحتوت وفلس ورا فلس ... لغاية ما فتحوا المملكة دي ... وانا ... أنا عصَر الهم قلبي ... من صغري ... اغتصبني العسكر العثمانلي ورموني في الطين ألم لقمتي ... فرفوتة فرفوتة ... من تحت حوافر السكارى ولصوص الزمان يا ملك الزمان لأزعر ... فُوق!

(يدخل الحمَّارة وهم يجرُّون شحاتة وسعدون يحاول إبعادهم بمناوشات مضحكة.)

حمَّار: خد ... دي عشان ضيعت ليلتنا.

شحاتة (للخمَّار)**:** سيدي ... جئت إليك لتسمح لي بمبارزة كبيرهم.

(يضربونه في وجهه ويُلبِسونه أقنعة حميرية وقرونًا.)

حمَّار ٢: ودي ... عشان حرمتنا من البنت.
شحاتة: مولاي ... اسمح لي أن أشتتهم.
سعدون: متسيبه يا ابن الكلب ... ابعد عنه يا حمَّار.
حمَّار ٣: وخد دي في أسنانك عشان أسناني اللي كسرتها.
حمَّار ٤: ودي عشان هدومي المقطَّعة اللي مزَّعتها.
شحاتة: يا مولاي ... أناديك فأجبني قبل أن أغضب، ابعد كلابك عنِّي ... وإلَّا فتعالى وبارزني إن كنت تملك شيئًا من الشجاعة.
الخمَّار: يعلقوك ع الشماعة.
سعدون: يا سي اليزل ... كفاية ... وتعالى نمشي من هنا.
الخمَّار: بس يا أولاد ... تعالى يا فارس الفرسان ... خُش على عمك.

(وعندما يقترب منه يضرط أشد في وجهه ... فينذهل.)

الخمَّار: عايزني أبعدهم عنك ... دانا ح اخليهم يطحنوك فطيرة يفطر بها الزباين اللي طفشوا بسببك. ح اخليهم يعجنوك كفتة أوزعها على روحك اللئيمة اللي ضحكت عليَّه.
شحاتة: ما هذه الألفاظ البذيئة يا ملك الملوك ... هل أنت مريض لتخرف؟
الخمَّار: أخرَّف يا أبو فصادة راكب نملة؟
شحاتة: عيب ... لا يليق بك ... هيا امتشق حسامك وإلى القتال ... لن أصبر على تخاريفك وسأقتلك رغم إني ضيفك.
الزوجة: شاهد؟ حضرته ضيف ... (شفطة مع حركة من يدها) ... الحساب مش عايز يدفعه.
الخمَّار: دانا ح اسلخ جلدك ... تضيع القلعة مني ... وتفلسني كمان؟
شحاتة: القلعة اللي يسكنها الأندال لازم تخرب ... والقصر اللي ساكنه شياطين ... لازم ينهد على راسهم.
سعدون: اعمل معروف يا سي اليزل، ضلوعي بتحلف لك ده راجل خمَّار قراري من أصل وشه.
شحاتة: لكن هذا قصر الملك عيروط يا سعدون.
سعدون: تاني!

الخمَّار: قصر! هع! القصر اللي وهبته هولي امبارح!

سعدون: إنت وهبت له قصر مع إنك لسه مقابله؟ وانا ... يا لي رجلي فأفأت وضلوعي اتدشدشت أطلع بلُّوشي؟!

شحاتة (في ألم حقيقي)**:** ماذا جرى للدنيا وانا نايم؟ الغشاوة طلمست على قلوب الجميع! ... حتى أنت يا سعدون؟!

وكأن حربي ضد الشياطين والسحرة طول الليل كانت من غير فايدة.

(سعدون يساعده على صعود الحصان.)

الفتاة: سي اليزل!

شحاتة: شامة!

الفتاة: مش حتاخدني معاك؟

الزوجة (تجرُّها)**:** ياخدك ربنا ... ع المطبخ يا بنت الكلب!

الفتاة: لو سمعك ... أبويا كان يشنقك.

الخمَّار: على جوه يا بنت السعدان ... يالَّلا على شغلك.

الفتاة: شفت يا سي اليزل ست الحسن الأسيرة ما بين المطبخ وسراير الحمَّارة!

الزوجة: ست الحسن أم طرطور ... (ضحكات الأراجوز.)

شحاتة (في توتُّر)**:** مولاتي يتفوَّه لسانك بهذا الهراء! ... يا لوضاعة الحال التي صار إليها البشر ... لكني لن أسمح لهم، فلا تقلقي يا شامة ... لن تظل الدنيا خمَّارة قذرة تمسَّكي بحلمي!

الفتاة (وهم يجرُّونها على الأرض)**:** لو معاك حاقدر أحلم.

الخمَّار: هاتي العصايا يا ولية ... أكسر له راسه وأدشدش عضمها.

سعدون: وقَّف عندك ... تكسر راس مين يا قفل انت ... أحسن لك تحفظ مركزك ... يالَّلا بينا يا عم سي اليزل ... قلت لك خمَّار ورجالته حمَّارة ... ماصدقتش ... دي حميرهم بتفهم عنهم يا راجل ... ده اللي كان حيعطيني الطابية ... وهو مايساويش زلطة؟!

شحاتة: عندك حق يا سعدون ... أحيانًا تنطق حكمة أحكم من حكمة الحكماء، هيا بنا يا شامة.

الزوجة: نعم! شامة إيه يا روح امك؟!

الخمَّار: عايز تخطفها كمان ... طب انجر قبل ما اخطف عينك.

سعدون: يا سي اليزل ... لا تجعلهم يستفزونك، هيَّا بنا الآن ... الحرب خدعة برده ... بكرة فيه يوم يرضي الجميع.

شحاتة: لكن بكرة ... يكون الوقت فات يا سعدون.

سعدون: يا عمي واحنا ورانا إيه؟ اللي يفوت نعيده على مهلنا.

(يضحكون عليهم ويسخرون.)

شحاتة: اضحكوا على خيبتكم ... الواجب إنكم تبكوا على حالكم بدل الدموع دم ... ولكني سأعود لتأديبكم.

سعدون: جتكم الغم ... إنتم وحميركم أولاد عم.

(يمضيان، تنفلت الفتاة وتحاول اللحاق به ... والزوجة تطاردها وتجذبها.)

الفتاة: سي اليزل ... يا سي اليزل!

(تصرخ يائسة.)

الخمَّار: تعالي هنا ... رايحة فين؟

الفتاة: سيبوني ... ماتروحش وتسيبني، ارجع يا سي اليزل.

الزوجة: رجعت الميه ف زورك رايحة فين؟

الفتاة (في يأسٍ واستسلام)**:** وح اروح فين؟ ... أنا مدفونة هنا بالحيا.

لكن ح استناه ... في الليل وفي النهار ح استنى رجوعه.

لازم يرجع ... معقول يفضل حال الدنيا كده؟

لازم يعمل حاجة.

وإلَّا الدنيا حتبقى كلها خمَّارة!

واقعة سي اليزل فارس الفرسان
مع مساجين السلطان

(آهات وهمهمات وأنَّات حزينة لأناسٍ مطحونين، ثم يظهر موكبٌ من التعساء المشكوكين في سلسلة يحرسهم اثنان من الجند العثمانية.)

(الأغنية الحزينة تفيض شجنًا ... قرب نهايتها نرى ولو في عمق الصالة سعدون يبكي وشحاتة يتأمل المنظر في ابتسامة وفخر.)

المساجين:

خفُّوا عن أكتافنا يا سجَّانة
مركبنا تاهت في الليل
خطفونا من حضن أولادنا
ولا لينا في الغربة دليل
سرقونا من أرض بلادنا
ومافيش للحرية سبيل
والشوق يقتلنا لأهالينا
يا نسمة خدينا وودينا
من شهدك نشرب يا نيل.

شحاتة: أخيرًا ظهر حرس الشرف!
نشيد مليان حماس وفخر ... بالوطن.

بس اللي محيرني يا سعدون ... ملابسهم الغريبة ... تفتكر تابعين لمملكة إيه؟

سعدون: مملكة الأشغال المؤبدة ف أسطول إسطنبول.

شحاتة: ودي بعيدة؟

سعدون: فركة كعب.

شحاتة: ماسمعتش باسمها قبل كده ولا قريت عنها.

سعدون: ما هي دي المصيبة ... إنت بتسمع عن اللي انت عايزه ... مش اللي حاصل فعلًا.

شحاتة: أنا بسمع دبَّة النملة.

سعدون: ممكن ... لكن يا سي شحاتة فيه حاجات تخرق عين البني آدم، ولو عاز مايشفهاش.

شحاتة: لكن أنا شايفهم.

سعدون (بسخرية)**:** بقلبك برده! ... على كل حال دول من مملكة مايحسش بيها إلَّا اللي جواها.

شحاتة: دي تبقى مملكة نموذجية، لازم ندخلها.

سعدون: كل شيء بأوان.

شحاتة: نظامها بديع.

سعدون: بإذن واحد أحد حيبقى هو النظام الأساسي في حكومتي. مافيش يا أمه ارحميني.

شحاتة: متساويين حتى شعرهم طول واحد، والوجوه عليها سيماء العزم والبراءة.

سعدون (فاقدًا صبره)**:** يا سي اليزل ماتجننش أبويا ... حرام عليك ... (يبكي) أنا ماعدتش قادر أستحمل ... عزم إيه ونيلة إيه! دي وجوه شوَّهها الذل والعذاب ... وشعرهم محلوق إهانة، إنت إيه؟ ... هيَّ الكتب بتموت القلب؟!

شحاتة: ماذا جرى يا سعدون؟ ... لمَ تبكي والدموع غالية؟

سعدون: جرى؟ ... اللي جرى لا ينكتب ولا ينقرا ... الخمَّارة عمَلتَها قصر مش مهم ... الخمَّار الحمَّار عمَلته سلطان ماتفرقش ... إنما دول ... دول مش ممكن يبقوا إلا متاعيس مناكيد خاطفينهم عشان يبقوا عبيد في الأسطول العثماني ... سخرة.

شحاتة: أتقول الحقيقة يا سعدون؟ سُخرة سُخرة؟

سعدون: أيوه سُخرة ... ودي كلمة مالهاش إلا معنى واحد في كل اللغات اللي في الدنيا.

شحاتة: لا ... لا يمكن أن أسمح بهذا ... لا سُخرة في عصر الفرسان.

سعدون: تسمح! وانت مين عشان تسمح والَّا ما تسمح يا سي شحاتة؟

شحاتة: عُدت للشك يا سعدون ... أنا سيف بن ذي يزن لم يكن في عصري سُخرة ولن يكون.

سعدون: حصل ... وكان ... مابيحسش بالكرباج إلا الملسوع على قفاه.
ولا بالسلسلة إلا المشموط من رقبته.

شحاتة: لكن انت متأكد إنهم مضروبين ومخطوفين؟

سعدون: أقول له إيه ده بس؟!

شحاتة: قول ... لا تخف.

سعدون: أي أعمى لازم يشوف إنهم متقندلين.

شحاتة: إذن لا بد من إنقاذهم وتحريرهم.
لا بد أن أمسح عن عيونهم دموع الحزن ... ليكون لابتسامة «شامة» ... معنى.

سعدون: لا ... اعمل معروف، كله إلَّا ده ... دي حرمة السلطان شخصيًّا ... ده أمور سلطانية!

شحاتة: الظلم ظلم سواء كان سلطاني أو غير سلطاني.

سعدون: المرَّة دي حيبقى فيها عسكر وخوازيق ... هنا مش خمَّارة ... لأ.

شحاتة: هذا هو الاختبار الحقيقي لفروسيتي، أو أكون كما قال عنِّي الخمَّار مجرَّد خيال ظل وهجَّاص ... هل تريدني هجاصًا؟

سعدون: يا سيدي العفو، بس تعالى نشوف لنا حتة تانية نتفرسن فيها.

شحاتة: هل بدأ الخوف يتسلل إلى قلبك يا سعدون؟ ... قلت لك ألف مرَّة لا بد أن تكون متأكدًا من الطريق الذي تمضي فيه.

(يتقدَّم شحاتة تاركًا سعدون على ركبه يندب ... يتَّجه شحاتة ناحية الحارسين، يُشير سعدون لهما إشارةً توحي بجنون شحاتة تخفيفًا لوقْع كلامه.)

شحاتة: يا قائد الفرسان،
أنا فارس الأقطار سيف بن ذي يزن ... لِحُسن حظك إن القدَر وضعك في طريقي.
ولذا عليك أن تُجيب سؤالي البسيط ... والذي يمكن أن تجيب عليه أصغر عصفورة تطير في السماء.

الحارس: تفضَّل يا أشطر الفرسان!

شحاتة: هل تعرف معنى الحرية؟

الحارس: طبعًا يا فندم ... الحرية يعني تتفضل تمشي في طريقك في حرية بعيد عن طريقنا.

سعدون: سي شحاتة ... دي إجابة معقولة جدًّا ... يالَّلا بينا.

شحاتة: فعلًا إجابة واضحة جدًّا ... ولكن أنا لا أحب الإجابات الواضحة ... لأن معناها غالبًا ما يبقى مقصود به السخرية أو الكذب.

الحارس: عفارم صح ... أوضَّحها أكتر لو مافارقتناش في حرية ... ح يزيد عدد مساجين السلطان واحد أو اتنين وتقل الحرية.

سعدون: مافيش أوضح من كده ... يالَّلا بينا.

شحاتة: لا ... إنها إجابة غامضة، وانا أكره الإجابات الغامضة لأنها تُخفي تهديدًا غير مفهوم!

الحارس: ماعنديش مانع أفهِّمها لك ... (يعمِّر البندقية.)

سعدون: دول لا فرسان ولا يعرفوا «شامة»!

شحاتة: وهل أتخلى عن هؤلاء؟ فكيف إذن أجرؤ على القول بأنني حررت «شامة»؟ أيها الحارس، لمَ سجنت هؤلاء المتاعيس؟

سعدون: ماتأخذوهوش ... هو طيب جدًّا ... التعب وقلة النوم والأكل ... تصور سيادتك تلات أيام ماكلناش ولا نمناش.

الحارس (يزيحه)**:** يا فارس الغبرا ... القاضي وزن لكل واحد منهم على قد ذنبه ... اتحاكموا واتحكموا، مافيش فيهم بجح يقدر ينكر إجرامه ... فسيبك منهم وتعالى كُل لك لقمة ما دام الجوع عمل فيكم كده.

(ينتحي هو وزميله ركنًا ويفردان منديلًا به طعام ... سعدون بدون تكليف يذهب معهم ... بينما يتَّجه شحاتة للمساجين.)

الحارس ١: صاحبك ده ترالي؟ ... يااه!

الحارس ٢: فعلًا التعب هرانا ... ناكل ونغفِّل حبَّة ... وخلي بالك انت.

(يأكلون ويشربون وسعدون معهم.)

شحاتة: أيها المساكين! ماذا فعلت بكم الدنيا ولماذا أنتم هنا؟ ... ولماذا هذه السلسلة؟

(المساجين باتفاق خفي يحاورونه في لؤمٍ وسخرية.)

سجين: قُطع السجن ولو في جنينة!
سجين: ياما في الحبس مظاليم.
سجين: لكن مين يقرا ومين يسمع؟
سجين: بص في وشِّنا ... فيه أطيب من كده؟ ... شوف ... شوف!
شحاتة: بس بصدق وصراحة قول لي إيه جريمتك؟
سجين: الصدق والصراحة همه سبب سجني ... الكل بيكدب، والصريح مالوش إلا السجن ... الشرف متقيد في سلسلة ... والصدق والقهر حاجة واحدة.
سجين: تصدَّق يحبسوني عشان رطل زيت مغشوش ... ماكانش حيلتي إلا هو؟!
آخر: وانا تُهت عن سكة بيتنا في الضلمة ... فدخلت بيت تاني اتعشيت ونمت ... ضبطوني.
ثالث: كان جوزها مسافر ورجع فجأة (يضحكون).
رابع: وانا كنت مسافر بالليل ... وجعان ... سرقت رغيف أسكِّت بيه عصافير بطني.
الأول: لكن الرغيف كان سخن فلفه في كيس مليان دنانير بندقية.
الثاني: أنا اتهمني التجار بإني جمعت أموالهم وهربت مع إن الفلوس اللي عطوهاني كانت مزيفة!
الثالث: أما أنا يا فارس الفرسان ...
فالي سجني الحب ... عمرك شفت عالم في العالَم يعتبروا الحب جريمة؟!
شحاتة: الحب ليس جريمة.

(يُشهر سيفه فيُسرع إليه سعدون – الحارسان غفَّلا من التعب.)

أنا أيضًا مثلك عاشق ... الحب يناديني لأنقذ حبيبتي.
سعدون: يا سي اليزل ... إنت حتصدق؟ دول إجرام! ... قالوا للحرامي احلف ... يالَّلا بينا ... السكة دي آخرها خازوق مغري.
شحاتة: يا سعدون ... لقد رأيت بنفسي إنهم مظلومين.
سجين: صدَّقت يا فارس الفرسان؟
سعدون: يا سي اليزل ... القاضي حكم ... حتى ولو ظلم خلاص ... يبقى عدل ... العدالة عميا.

شحاتة: عدالة الفرسان ليست عمياء ... لا بد أن تفتح العدالة عيونها ... نعم ... فالعدالة العمياء ظالمة ... أيقظِ الحراس ليفكُّوا السلسلة ... (الأراجوز يضحك ... يتوتَّر شحاتة) ... أيقظهما حالًا ... وإلَّا ...

سجين: لأ ... استنى ماينفعش.

تاني: دي حتبقى غلطة أشنع من غلطة العدالة العميا.

ثالث: العدالة النايمة أهون دلوقتي.

شحاتة: لماذا لا توقظهم؟

سجين: تعبوا من السفر ومن الضرب بالكرابيج طول السكة.

آخر: نوم الظالم عبادة ... يا فارس الفرسان.

شحاتة: ولكني أريد أن ترى العدالة انتصارها.

سجين: العدالة تفرح أكتر ودول نايمين.

شحاتة: إنتو شايفين كده؟!

الكل: طبعًا.

سعدون: يا خراب بيتك يا سعدون! ... (يحاول التسلل لإيقاظ الحراس، لكن المساجين يمسكون به ويكتمون صوته حتى لا يصيح.)

سجين: نستطيع أن نُشتِّت شملهم.

آخر: وأن نفتت رأسهم.

ثالث: ولكن هذا حرام ... ما داموا ناموا ... فلماذا يكون خلاصنا سببًا في تيتيم عيالهم؟

رابع: نسيبهم في حالهم.

الأول: عايزين حريتنا بيضا غير ملوَّثة بالدم.

شحاتة: شايف يا سعدون طيبة قلبهم ... أرأيت كيف يحبون حراسهم ... هيَّا ... وأحضر مفاتيح الأقفال وافتح لهم باب الحرية.

سعدون: أنا مابافهمش في المفاتيح ... أنا سايس وفلَّاح ... والمفتاح مسئولية كل بوَّاب.

شحاتة: هذا أمر ... هذا المفتاح سيفتح الباب الأول في سجن «شامة» ... هيَّا.

سعدون: شامة؟ ... يبقى روح انت هاته.

سجين: ماتزعقوش ... اتخانقوا من غير صوت.

ما تسمع الكلام يا بغل.

شحاتة: هذا المفتاح هو الذي سيفتح باب قلعتك.
سعدون: أنا عايزها سداح مداح من غير باب ولا مفتاح.
شحاتة (يهدِّده)**:** كفى، اذهب وهات المفتاح.

(يزحف سعدون تحت تهديد السيف وبطريقة هزلية ... يسرق المفاتيح ويُلقي بها ناحيتهم ... ثم يسرع ويغطِّي رأسه بذراعيه ويتناوم.)

سعدون: والله وضِعْت يا سعدون وعمرك ضاع!

(المساجين يفكُّون السلسلة وبسرعة يذهب بعضهم فيخطفون البنادق ... الحرَّاس يستيقظون ... هرج ومرج ... لا يجد السجَّانة سوى سعدون قريبًا منهم ... فيضربونه ... مسجون يُطلق طلقة في الهواء ... يسكت الجميع.)

شحاتة: خلاص ... تم الخلاص أيها الفرسان، أما أنتما ... فهيَّا بسرعةٍ إلى ملككم الظالم وأخبِراه أنني «سيف بن ذي يزن» أُحذِّره من سرقة أولاد الناس ... وتسخيرهم في الأساطيل ... قولوا له إنني في الطريق إليه لأهدم قلعته فوق رأسه.

(حين يقترب منهما ... يُوسِعانه ضربًا ويشنكلانه ... يُخلِّصه المساجين بطلقةٍ فيهربان.)

حارس: حيليق عليك الخازوق يا تخين يا ابن الفيل ... إنت وخيال الظل ده.

(يهربان.)

(سعدون ما زال متظاهرًا بالنوم بينما يتوجَّه شحاتة للمساجين.)

شحاتة: والآن ... أيها الأحرار ذُقتم طعم الحرية ... فافعلوا فعل الأحرار واذهبوا برسالةٍ صغيرة ... إلى مَن أُحب.
سجين: إن كانت في آخر الدنيا مستعدين.
شحاتة: هي سجينة في قلعة الملك عيروط ... فاذهبوا واطلبوا لقاءها ... وبشِّروها بقرب حضوري ... وبانتصاري — هذا الذي حرَّركم ... والذي سيفتح باب سجنها.
سجين: فتح الله عليك!
سجين: إن شاء الله نفوت عليها ... بس بعد ما نعدي البحر لبلاد واق الواق.

سجين: بعد عمر طويل نروح لها.

شحاتة: ترفضون ردَّ الجميل يا ناكري الجميل.

سجين: من غير ما تشتم افهم ... الدنيا حتنقلب عليكم وعلينا ... وأحسن حاجة يعملها أي عاقل ... هو إنه يربط ديل حصانك في ديل زميلك ... وتكُت.

سجين: أجدع حاجة دلوقتي إنك تعمل أرنب ... وتفر.

شحاتة: أنا لا أفر، أنا فارس أيها الأغبياء، وآمركم بالذهاب إليها لتقصُّوا قصة تحريركم على يدي.

سجين: اسمع يا جدع انت ... حبيبتك دي ماتهمناش ... حتى ولو جوزوها لقرد.

شحاتة: سعدووون.

(بينما ينشغل المساجين بنهب متاع الحارسين.)

سعدون: أنا نايم.

شحاتة: الآن اتضحت لي واضحة جليَّة حقيقة قلوبكم السوداء ... يا ناكري الجميل ... ها أنتم تُخيِّبون ظنِّي ... سامحيني يا «شامة» ... سأُعيدهم إلى سجنهم بنفسي لأنهم يهينون عدالتي ... سعدون.

سعدون: أنا مغمى عليَّه.

شحاتة: قُم واربطهم في السلسلة!

سعدون: أنا مُت ... خلاص.

شحاتة: هيَّا وإلا ربطتك معهم (يدفعه).

سعدون: أرحم من الخازوق!

سجين: طب ما تحاول تربطنا انت يا فالح.

سجين: نصير المظلومين أبو سيف خشب.

سجين: محرِّر العبيد أبو مخ ورق ... عاش.

سجين: يا سيد ... قبل ما تربط عقدة ... لازم تفكر في حلِّها.

سجين: عايزنا نروح لمراته ... يا راجل عيب على ذقنك.

(يسخرون منه وهم يشاكسونه ويدورون حوله.)

شحاتة: وهبتكم الحرية.

سجين: وتريد أن نعطيها بأنفسنا للسلطان.
سجين: هل انت عبيط؟
شحاتة: لماذا تُنكرون الجميل؟ لا أفهم لمَ لستم على خُلق كالفرسان؟
سجين: لا بتفهم ولا حتفهم!
سجين: يا أخ ... يا نصير الحرية؟ ... كل اللي علينا دلوقتي نختفي.
سجين: الحرية دلوقتي يعني أن يكون معانا أكل أو فلوس ... ادِّينا اللي معاك ... يبقى أعطيتنا حريتنا بصحيح.
شحاتة: الفرسان لا يحملون نقودًا.
سجين: يعني مفلِّس وشحَّات!
سجين: نبيع الحصان.
سجين: لا يساوي فلس.
سجين: يبقى الحمار أجدع ... ناخده نبيعه وناكل بيه.
سعدون: وانا ذنبي إيه؟ اللي عملها صاحب الحصان ... صاحب الحمار ذنبه إيه؟
شحاتة: اتركوا الحمار والحصان وإلا ...
سجين (يدفعه على سعدون فيقع): يا أخي اتلهي واتكلم على قدك!
سجين: وابعد عن طريقنا ... إنت ح تهددنا؟!
سجين: يا فارس الفرسان ... لما تدافع عن شيء، على الأقل يبقى ف إيدك اللي تضرب بيه.
سجين: الحرية مش لعبة،
الحرية ثمنها غالي قوي ... وإن كنت حتفهم حاجة أي حاجة
في يوم من الأيام ... فاعرف
إن لما تكون الضفدعة سايقة المركب،
وأبو فصادة حارسها،
يبقى على اللي زي حالتنا ... مايغلطش غلطتنا ... ويقع في إيدهم، عليه يُكت ويهرب لآخر الدنيا.
سجين: أما حكاية مِرْواحنا لمراتك دي ...
بعدين لما نفضى نروح نآنسها.

(يضحكون ويسخرون منه ... وهو غير فاهم ... مذهول.)

شحاتة: لم أعد أفهم! سعدون!
لمَ لا تسير الأمور مثل ما هو مكتوب لها أن تسير؟
ولمَ يصبح المظلوم ... بلا ضمير؟!

(ضحكات الأراجوز.)

شحاتة المضروب يصبح
للحرس العثماني مطلوب

الحكواتي:

ما أصعبك يا طريق
ما أصعبك يا ظروف
على اللي زاده وزوَّاده سطور وحروف
احلم يا سيد شحاتة ... الحلم البسيط مسموح
لكن حدود الحلم زي السيف ساعات تقطع
أيادي التمادي
وآدي الحياة لغز قدامك صعب تفسيرها
وإيش حال بقى لوحتنوي يا عم تغييرها
عديت حدودك يا صاحب الحلم ليه تخطي
هرَّبت مساجيني واتعديت على شطي
وجب عليك الحد
دخلت من باب حرام وطلقت ميت وسواس
وصبح صعب الرجوع
وصعب لو تبطي
على المفارق مُنادي وفي الحارات طبَّال
على دق طبله بيزرع في القلوب الخوف
ومعاه يطل الطمع يملى قلوب الرجال.

المُنادي:

يا أهل البلاد، يا عباد الله
على اتساع الخطاوي وداير الناحية
يا مَن قلوبكم بحب المصطفى صاحية
بعلن إليكم مَقدِم كافة الحراس
باسم حضرة صاحب السلطان
اللي طاعة أمره على كل العباد واجبة
قطعًا لدابر المفسدين والشر
واجب علينا نِدوَّر في عموم البر
عن وغد مأفون مسمِّي نفسه سيف اليزل
لا يؤتمن
اعتدى ع الشرع والقوانين
وأفسد العدل والأحكام
يا أهل مصر يا طيبين
ومين ح يرضى إن الشرع يتعطَّل
أو يرضى إن الحد حامي العدل يتبطَّل
وألف دينار بندقي من دهب إبريز
حلوان كبير ولذيذ
للي حيقدر يدل الحرس ع اللص وزميله
السعد يناديله
بألف دينار دهب، دينار ينطح دينار
من دهب إبريز
يشد حيل الشباب ويريَّح العواجيز.

(المُنادي يدور في أماكن مختلفة يتجمَّع حوله الحمَّارة والفتاة وصاحب الخان وزوجة سعدون، كلٌّ منهم يُلهب خياله حلم الحصول على المكافأة.)

حمَّار: سمعتم يا اولاد الكلب ... هو ...
حمَّار: الراجل المهفوف اللي ضربناه!

الأول: هو ساعتها كان يسوى درهم؟

رابع: آهو بقى يساوي ألف دينار ذهب بعد ما هرَّب مساجين السلطان ... بخت ... يا جحش.

الخمَّار: ما حدش ح يقبض عليه غيري،

واقبض الألف دينار،

أشتري بيهم قصري وعرشي اللي سلبهم منِّي.

زوجة سعدون: إلهي ربنا يكرمكم يا قادر يا كريم،

دلُّوني على طريقه يا ناس ... ماحدش جاب سيرة جوزي مع إنه قال إن الكل حيتكلموا عنه ... ويعرفوا اسمه ... يا ناس؟

حمَّار: ألف دينار دهب! والنبي لامسكهم ولو كانوا في سابع أرض.

حمَّار ٢: ألف دينار دهب يعني كام؟ ... أكثر من خمسين درهم؟

حمَّار ٣: ح اعمل لحماري بردعة قطيفة وحداوي فضة.

الفتاة: يا ربي يا كريم، اعمي عيونهم عنه،

عشان يرجع سالم ... يفضل بعيد يا رب لحين يموتوا كلهم ويرجع لي.

الخمَّار: هو السبب ... نغَّص عليَّه حياتي ولازم أنتقم ... قلب كياني بعد ما كنت راضي بمملكتي الصغيرة ... لو أقبض الألف دينار، يمكن مراتي ترجع تحبني وترضى عنِّي ... وترجَّعني أمير لمملكتها.

زوجة سعدون: يا ناس ... جوزي معاه! يا ترى دخلت التاريخ؟ والَّا دخل وحده؟ ... حاكم احنا دايمًا كده نزرع الزرعة وما نكلهاش ... نبني البناية وما نسكنهاش ... أكيد سابك ضايع على السكك ودخل هو ... دلوني يا خلق على طريق طابيته ... إرجع لنا يا سعدون ... ماشي تفرَّق الدهب على الناس بالألافات واحنا مش لاقيين اللقمة؟!

طب وفَّر دنانيرك لعيالك!

الفتاة: لسة ماخلصتش توبي الجديد للفرح ... خد وقتك يا حبيبي بس غيب عن عينيهم ... ح استناك.

زوجة سعدون: يا ترى مين بيهرش لك ضهرك لما ينمِّل يا سعدون؟!

الفتاة: نفسي ألبس التوب الجديد في الفرح يا سي اليزل ... أوعى يمسكوك ... بعدين ألبسه في الجنازة.

زوجة سعدون: كان لازم تعرف يا سعدون إن اللي عنده عيال واجبه يكن وينام في حضن أولاده ومراته ويخرس ... وإلَّا خدوا أمواله وحطُّوه على الخازوق ... إرجع يا سعدون إرجع احكم واتحكَّم فينا ... أنا طابيتك الحقيقية ... يا سعدون ...

(تختلط نداءاتهم وصياحهم، وكلٌّ منهم يتسحَّب بحثًا عن المُطاردين مثلما دخل من جهات عديدة ... تخفُّ الإضاءة ثم يظهر «سعدون» و«شحاتة» متعبَين منهكَين.)

سعدون: طلع النهار وورا كل حجر عسكري عثمانلي واقف زنهار.

شحاتة: دي تشريفة الفرسان للمجد.

سعدون: لا ... وانت الصادق ... للخازوق والمشانق!

شحاتة: يا سعدون ... عمر ما فيه فارس اتشنق ... الفرسان بتموت في المعارك بس.

سعدون: وانا بقى اللي حيتشنق ... ويتخوزق؟!

شحاتة: ضروري يتشنق حد ... مش ممكن الكل يبقوا فوارس!

سعدون: يبقى ح استنى إيه، أنا اشنق نفسي واخلص!

شحاتة: على كل حال ماتشغلش بالك، ممكن تنجو من المشنقة ماتفكَّرش.

سعدون: فعلًا الأفضل يموت الواحد وهو مابيفكرش (يبكي).

شحاتة: وفَّر دموعك ... مش حيحصل أي شنق إلا بعد ما ننقذ «شامة» ... ونهزم الساحر ونرجع بكتاب النيل وانت تبقى حاكم ... ولما حتبقى حاكم ماحدش حيجرؤ على شنقك ... مافيش حاكم بيتشنق بالسهولة دي!

سعدون: سي اليزل ... إنت حكيت لي قصص اتشنق فيها ييجي ألف حاكم ... غير اللي اتخوزقوا على العرش.

شحاتة: على كل حال إنت لا بقيت حاكم، ولا لسه اتحاكمت.

سعدون: والعسكر اللي زي الجراد ... مش بشاير الشنق؟ ... أرجوك؟ ... قول لي بصراحة ... فيه شنق والَّا لأ؟

شحاتة: أكيد فيه شنق.

سعدون: حيرتني! ح احكم والَّا ح اتشنق!

شحاتة: وحتى لو اتشنقت مش ح تموت.

سعدون: إزاي؟!

شحاتة: في قصص الفوارس يفْضَل الجلَّاد رافع سيفه، لكن قبل ما ينزل به على رقبتك؛ أقصد رقبة التابع ... يظهر الفارس زي النسر، وينقض زي الصقر، ويخطف التابع بإيده اليمين بعد ما يفك قيوده بإيده الشمال ... ويختفي الاتنين زي البرق ... كل الحكايات والسِّيَر اللي زي حكايتنا دي مكتوب فيها كده.

سعدون: المصيبة إني مش باعرف أقرا ... (يتأمَّله ساخرًا) وحكاية الإيد اليمين (تك) والإيد الشمال (تك تك!) واسعة قوي ... ماتزعلش منِّي ... أنا أصلي جعان، ولما أجوع مخِّي بيضلَّم وماعدش مصدَّق أي حاجة لأن مخِّي هنا.

(يُشير إلى بطنه.)

شحاتة: إسمع يا سعدون ... كفاية لحد هنا.

سعدون: إيه؟

شحاتة: كفاية لحد هنا ... إنت قمت بواجبك واكتر، ماقدرش أحملك أكتر من كده.

سعدون: لا ... عايز ترجع في وعدك ليَّ؟ والطابية؟! بتتخلى عنِّي؟

شحاتة: الطريق بيطول، والحرس بيزيد وبيكتر ... وانت اتحمَّلت كتير.

سعدون: مش ح اسيبك، أنا مايهمنيش الجوع.

شحاتة: والمشنقة والخازوق؟

سعدون: إنت حتنقذني ... أيوه ... حتفك العقدة بإيدك دي، لأ دي ... وتشيلني بإيدك دي ... مش مهم بأنهي، المهم إنك حتنقذني والسلام.

شحاتة: إفرض أنا مت قبلك؟!

سعدون: ماينفعش يبقى فيه غلط ... مافيش فارس يموت قبل التابع ... كده يبوظ التاريخ ... ويغرق العالم في ظلم ماترضاش بيه كتب الفرسان.

شحاتة: وعرفت منين يا سعدون؟

سعدون: عرفته بالفكاكة ... الفرسان مش ممكن يسيبونا للكلاب والشياطين لا ... مين حيرعانا غيركم؟ ... مين حيشفي أوجاعنا وجوعنا ولو بالحلم؟ ... مين ينقذ البنت الغلبانة «شامة» وانت اللي عارف شكلها ومكانها. ماتآخذنيش إذا كنت خرَّفت عشان جعان ... لكن الأصول أصول ... أوعى تتخلى عنِّي بعد ماامليت قلبي بالحلم «شامة»! ... الطابية! كتاب النيل ... لأ ... مش راجع ... مش ح اسيبك حتى لو كان الشنق قبل الحكم.

شحاتة: الله ... اسمعي يا أرض مصر المحروسة ... اسمعي كلام سعدون واشهدي ... على الصداقة اللي حتخلينا نواجه الموت وتقدَّرنا على الخطر.

دلوقتي أنا زاد إيماني حنرجع بكتاب النيل ... وحتتم العلامة وحنكون المعجزة ... بص ... مش قلت لك ... حرس الشرف ... «شامة» ... مش قلت لك ... مش حيهزمنا الجوع ولا التعب ولا اليأس.

(لمحة من خيالٍ مختلط بالواقع ... الفتاة مرتدية ثوبها الجديد، والحمَّارة والخمَّار يقتربون ... يبدو المشهد وكأن هناك استقبالًا وديًّا للفارس.

الحمَّارة يُخفون شِباكًا وحبالًا معهم ... لا تبدو في البداية، يتم المشهد فيما يشبه رقصة ... يُحضِر الخمَّار كرسيًّا كالعرش ويضعه في المنتصف ... ويقوم وكأنه يزف إليه شامة ... ويُلبِسه عباءة ... وحتى ينتهي المشهد يكون هو وسعدون مُقيَّدين بالحبال ...

الأغنية لها إيقاع يسمح بالخلط المطلوب.)

شحاتة:

شامة يا ست الجمال
أنا خُضت ساحات القتال.

سعدون:

وبعد ماطال العذاب
ضرب العصا وشك الحراب
الدنيا اهي صارت جميلة.

الخمَّار:

فهيا يا بطل الفوارس
هيا ادخل القصر وآنس
تستنظرك شامة الحبيبة
وجه القمر نور المجالس
في آخر الرحلة الطويلة.

الحمَّارة:

فارس فوارسنا البطل
هيا انحنوا له في أدب
وعشانه زيدوا في الغنا
وماتسألوش عن السبب
بعد العذاب تبن وحمير
نشرب عصير قِرَب قِرَب
تلبس بدال الخيش حرير
عجب عجب عجب عجب
مش صار لنا بعد العذاب
فارس بألف دينار ذهب!

كيف حرَّرت شامة سعدون وشحاتة وجنَّبتهم الشماتة!

رئيس الجوقة:

آه م الخيانة وآه م البايع الخاين
وآه ... من الطمع والجشع
وآه من حمَّار صار خمَّار قليل الأصل والذمة
خان اللي دَلُّه يكون إنسان صاحب همَّة
عمَاه رضا الوالي ... والسلطان وحب المال
حبس صديقنا وصاحبه ف أربعة جدران.

شاعر الربابة:

نزلنا بحر الكلام والشِّعر مِقدافنا
موجة تشيلنا وموجة تانية تحدفنا
نعشق تراب الوطن والفن قدرنا
نعوم في بحر البشر مكشوفة أسرارنا
نحلم ببكره يحرَّرنا رجال فرسان
راجعين نكمِّل لكم حدوتة الموعود
فارسنا هذا الذي كان صادق النية
فظن أن الخيال يمحي الليالي السود

ضاع حلمه مابين جحود ظالم وقلب حسود
لأنه جهلَ السبب في قهرة الشقيان.

(في قبو الخمَّارة شحاتة وسعدون مقيدان.)

سعدون: سيف اليزل!
شحاتة: ليه بتصحيني يا سعدون للمرة الألف؟
سعدون: قادر تنام هنا يا ابن الأكابر ... وانا اللِّي الأرض كلت من جلدي راقات مش قادر؟!
شحاتة: ده لأن قلبي مليان ايمان.
سعدون: ربنا يزيدك ... بس قول لي ...
شحاتة: نعم ...
سعدون: هو مافيش قدام الفوارس إلا السجون والضرب وقلة القيمة ونكران الجميل؟
شحاتة: لا بد من إبر النحل يا سعدون ما دمت عايز تغرق في العسل.
سعدون: كلامك حِكَم ... لكن من يوم مادخلنا كار الفرسان ده مادقناش لحسة عسل ... كل ماكلناه كان رفس وعزق.
شحاتة: الفروسية طريقها صعب وطويل ... ومشوارها فيه النصر وفيه الهزيمة ... كر وفر هكذا دواليك.
سعدون: دواليك! يبقى احنا بقى اللي منحوسين. دواليك دي مش بتتحقق طول الوقت ننضرب ونفر ... فين الدواليك بقى؟!
شحاتة: العالم الغرقان في الجهل من الصعب يفهمنا بسرعة، والناس زيَّك يا سعدون مايحسوش إلا بالمحسوس ... إنت مثلًا ... مش حتصدق إنك حتبقى حاكم طابية إلا لما تجيلك الطابية على طبق من فضة.
سعدون: طبق! ... ليه ح احكم زلطة؟!
شحاتة: شفت؟ مش قادر حتى تفهم لا الرمز الجمالي ولا التشبيه البلاغي.
سعدون: لا جمالي ولا معيزي ... أنا كل اللي شفته الضرب الحميري ... كان القصر طول عمره خمَّارة.
والعرش اللي قعدوك عليه امبارح بكل احترام طلع سجن وسلاسل.
حتى «شامة» اللي قلنا إنها أميرة ... تطلع بنت من الموعودين!

شحاتة: لأن عدونا شرِّير وخطير ... متسحَّب تحت جلد الناس وتحت سقفهم بيعيش ... ولا يمكن تقدر عليه وتهزمه لو شكيت لحظة أو ضاع إيمانك ... لكن المعجزة لازم حتحصل ... فاكر إزاي عاقصة أنقذت أخوها «سيف بن ذي يزن» ... من قرار البير؟

(سعدون ينتبه إنه صار يتحدَّث عن سيف بن ذي يزن كشخص آخر.)

سعدون: يعني هو؟ ... أنت؟ سبحان الله!
شحاتة: أيوه يا سعدون أنقذته ... زي ماهي ممكن تنقذنا دلوقتي ... هس أهه! سامع؟
(تُسمع من بعيد آهات غناء البنت) ها ... لازم يحصل! وإلَّا ماكناش فرسان ... سامع؟ ... المعجزة يا سعدون!

(صوت البنت يقترب ثم تبدو كخيالٍ يتجسَّد في ثوبها الجديد وكأنها في الخمَّارة ... ثم تنفصل عنها إليهم حيث هما مقيَّدان.)

الفتاة:

لو كان عند أمي فدان
كان لازم يخطبني غفير
ولو أبويا تاجر مليان
كان حيجوزني لوزير
ولو كان خالي قبطان
يمكن كان يخطبني أمير
لكن أبويا عاش غلبان
وحبيبي زي أمي فقير
ارجع لي يا حلم الفرسان
افتح باب السجن وأطير.

شحاتة: «شامة»! ... المعجزة يا سعدون، حقيقة مش وهم! في الوقت اللي تضلم فيه الدنيا تظهر «شامة» زي الشمس ف ليل الزنزانة وتنقذنا.
سعدون: تاني!
شحاتة: مش مصدق؟!

سعدون: الواجب ننقذها احنا.

الفتاة: حطيت لهم داتورة في البوظة ناموا زي الحمير.

شحاتة: وماذا تمَّ في أمر حراس الطوابي والأبراج؟

الفتاة: أنا ماشفتش غير الحمَّارة ... إنما صاحب الخان ومراته راحوا للوالي عشان يبعت حرس يقبض عليكم.

شحاتة: الجبان ... ذهب ليطلب النجدة، ولكننا سوف نصمد لهم حتى ولو أحضر جيش السلطان نفسه.

سعدون: أنا رأيي إنها تفكِّنا بسرعة عشان نفلت بسرعة.

شحاتة: نهرب كالأرانب يا سعدون؟! ... فما قيمة معجزة «شامة» إذن! إذا لم نتحدَّهم ... سيكون ذلك خطأً بالغًا.

سعدون: الخطأ الأفظع لو بقينا لحظة واحدة.

(شحاتة يغضب) أنا قصدي نبعد، ناكل لقمة ... وتهدا الأمور ونفكَّر في خطة لمفاجئتهم ... خطة ماتخرش الميه.

شحاتة: ده رأيك؟ ... لا بأس ... هيَّا «يا شامة» واستعدي للرحيل معنا.

سعدون: كده تبوظ الخطة ... الدنيا مقلوبة علينا، وإن جت معانا يعرفوا مكاننا، إنت نسيت رأيك في النسوان؟

شحاتة: خجلان نهرب ونسيبها وهي اللي فكَّتنا.

الفتاة: خدوني معاكم ... دانا خلصت توبي الجديد ... ماتسيبونيش للوحوش دول.

سعدون: اهدي يا ست «شامة» ... حنرجع (هامسًا) ناخدك فين يا بنت الدايخة؟ ... ما ربنا موجود ... (يرفع صوته) يا «شامة» ستبقين هنا لتعطيلهم ... عشان الخطة تنجح.

الفتاة: أمركم.

شحاتة: قلبي لا يطاوعني ... ولكن لن أغيب عنك ... قليل من الحزن يشد أزر الحب حتى أعود.

الفتاة: كفاية ... شفت توبي الجديد ... ح استناك وعارفة إنك حترجع.

(يتأثَّر فيحتضنها.)

سعدون: يا سي اليزل مش وقته الغزل ... أنا لسه مربوط ... مطاردة ألف دينار دهب أشد من مطاردة جيش مفتري خصوصًا في بلد فقير ... رمَّانة في بلد جعانة ... ياللَّا.

شحاتة: هش ... وصلوا ... استعدوا للمعركة ... سنخرج لكم أيها الأوغاد ... إنني أسمع أصوات أقدامكم فوق الصخور.

سعدون: وطِّي صوتك.

الفتاة: لا ... ده صوت حوافر البغل الداير في الطاحونة.

شحاتة: كده ... طب فُكِّيه.

سعدون: قطِّعي الحبل ... أنقذينا عشان نرجع ننقذك ... دواليك!

هروب شحاتة من أسر الجدران
يجعل سيرته على كل لسان

الحكواتي:

ويفضل الحلم غير العلم حدوتة
القلب عاجز
والادين عاجزة
على حدود الأمل سيف الأمل ... مكسور
لكن ما بين اللسان والودان تتنقل القصة ... ومن القلوب
للقلوب تتغيَّر وتتبدَّل
تصير أحلى تصير أجمل
تبقى ع اللسان أعدل
وما أسهل الحلم ع المقهور وع المشتاق
يكفِّن الحزن أحلام الوطن بالشوق
فتملا قلب البشر بالحلم بالأشواق
بين الكفور والدساكر ... ما بين الفَعَلة والشغِّيلة
والتراحيل ... وحتى على لسان العساكر
القصة تصبح مشاعر
أكبر من الفارس وم الشاعر
تلف وتطير على لسان البشر وتسافر
تكبر تزيد على قد ما الحلم بيزيد وبيكبر

وتبدأ السهرة ... يطول الليل
يدوروا في الحكاية عن خلاص مستحيل
ولا حد شاف «سيف بن ذي يزن» ولا حضر عصره
ولا حد شاف ما فعل
سي شحاتة سيف اليزل
إذ حرَّر المساجين وحقَّق المعجزات ... وهرب من السجن
حين كان الجميع نايمين
الناس تشوف نفسها في القصة منصورة
مرة تشوف نفسها من نفسها مجبورة
يفصلوا الصورة
تنوَّر ليلهم العاتي بضي دنيا جميلة
تخفِّف عذاب عيشهم اللي كان تحت حكم العثمانلية
أزرق من النيلة.

شاعر الربابة:

ولما دخلوا عليه الحرس والوالي في العنبر
ضحك شحاتة اليزل لا خاف ولا اتأثر
سلَّط عيونه ف عينيه وهب صارخ فيه
انشل راس الحرس والرعب كتف ايديه
هجم عليهم بقوه وشتَّت العسكر
صار السجين حر، والسجانة بقوا مساجين
سبحان الذي بيغيَّر الأحوال ولا يتغيَّر.

(الجوق يتحولون إلى سامعين في مجاميع حول الشاعر أو المنشد ... أو ينتقلون من مكان لآخر ... أو يدور عليهم منشد وراء الثاني.)

راوٍ:

السِّجن كان بابه حديد
من صلب قاسي شديد

وشحاتة كانت عيونه
في الضلمة تطلق شرار
زعقت في قلبه قوة الفرسان
وقع الحجر واتهدت الجدران
وانشل جيش الظلم والأشرار
وبكى من القهر والي سلطنة عثمان
لما فارسنا قال بكل فتوة
اسمع يا حاكم غريب
قادر بكفي اخبزك في النار
واعصُر عساكرك ... زي العسل والطحينة
وافرُمك ممبار
باسم المظاليم تسافر اسطنبول
تقول لسلطانك آخر الإنذار
يحل عن كتفنا داحنا رجال أحرار.

مداحه:

واحلف يمين بالمولى رب الغلابة
السِّجن كان مقفول سبع ت اقفال
حواليه رجال عثمان كلاب وديابة
لكن شحاتة سي اليزل أبطال
قرا على الأختام بكل مهابة
ساح الحديد بالحق مي ... وسال
عنتر صرخ في القبر قال يا ربابة
نادى على أبو زيد فجاله رجال
والبهلوان حمزة هجم بصلابة
جعل صحاري ازلزلت وجبال
غنَّى شحاتة سي اليزل في صبابة
ولعب بسيفه وقسَّم الموال

ومشى الجميع للحرب جيش وصحابه
زاحوا الغريب، واتعدلت الأحوال.

(الوالي يبدو وكأنه بيسمع ويدور يتسمَّع ما يُقال.)

رئيس الجوق: الشعراء قالوا وغنَّوا،
ومشي الكلام من بلد لبلد ... ومن مولد لمولد
وكل لحظة يزيد، وكل ليلة يكبر
والي البلاد اللي كان عثمانلي مستعمِر
حاكم على مصر بالقوة وحد السيف
سمع بنفسه الغنوة والحدوتة.

(الوالي ثائر يزوم كالأسد المحاصَر.)

الوالي: هذا كلام لا يجوز ... لا بد من قطع دابر ذلك القراقوز،
لا يمكن اسمح بتاتًا لفلاحين يحكوا حكايات عنَّا،
ولا لشعرا يقولوا روايات ... تسخر منَّا،
إلغي جميع احتفالات وموالد ... ممنوع غناء ... إكسر ربابات ... صادر الكتابات ... ممنوع حكايات بدون استئذان ... إلا حكاوي بطولة بني عثمان.
رئيس الجوق: ابني سجون للكلام،
لكن يا والي الزمان، الكلمة تمنعها تزيد،
هذا قانون أكيد.
(يهمس له) دوَّر على الحيلة ... هذا قانون السياسة يا حامل الصولجان ... ما بيملك الفلاح حين تكثر الأحزان ... غير اللسان ... علشان يفضفض ... وإلا انتفض بركان.
الوالي: إيه العمل؟ شحاتة سي اليزل ... تعدَّى الحدود، مرَّغ في الطين هيبة الجدود، أطلَق سراح مساجين الأسطول ... وهدَّد أمن الدولة صيرنا في خطر ... ولا بد من تأديب.
رئيس الجوقة: وحتنسى صنعة صنفك الحكام؟
للضرورة أحكام ... وحين يغضب الحاكم بيفقد حكمة التدبير، فن السياسة كيَاسة، الهدوء سلطان ... إملا عينيك بالابتسام.

(يطيع الوالي.)

واهدأ وروق ... داري الحماقة ... وكن مثال الذوق فكَّر ودبَّر ... دي أصول صنعتك ... وميزة كل مَن كان يرتدي جبتك ... مش علَّموك حين أرسلوك ... ولمصر بعتوك ... وعلى عرشها أجلسوك ... لازم تكون بحر هادي ... لو عُزت تطفي النار.

(الوالي في تمثيلٍ صامتٍ يتأثَّر بالنصيحة تمامًا ... ثم يفكِّر وكأنه وصل لفكرة، ثم يُشير ... فينزل المُنادي ويدور مُعلنًا:)

المُنادي:

يا أهل مصر المحروسة في كل مكان
ياللي كرَّمهم ربنا فذكرها في القرآن
يا مَن فُزتم بالعدل والإحسان
في ضل بني عثمان
بُشرى من حبيب القلب
بُشرى من الوالي ... عن الفارس ... الغالي حبيب الشعب
والألف دينار اللي كانت تَمن لرقبته
صارت هدية لمن ينقل إليه بشارته
ويطمنه على قرب وصال حبيبته
في قصر الوالي ... اللي بيستناه على أحرِّ من الجمر
يا خلق قولوا لفارس الفرسان
القصر مفتوح له بلا استئذان ... فقد ظهرت العلامة وسيتم زفافه «لشامة»
في زفَّة ما لها مثيل
ولا شافت زيها بلاد النيل
يا أهل المحروسة من الظلم والطغيان
من أول الزمان.

(يغيب صوته مع إظلامٍ تدريجي.)

شحاتة فارس العصر وما جرى له في القصر

زوجة الوالي: شهدت لك! ساعات تبقى عليك تقاليع ... أمان ربي منك أمان!

الوالي: مش تقاليع يا عبيطة ... دي سياسة لمصلحة دولة عثمانية.

زوجته: المهم نضحك عليه زي ما ضحَّك علينا الناس.

أنا جهَّزت نفسي عشان أضحك على تخاريفه.

الوالي: ضحكنا على تخاريفه كفاية ... آن الأوان يكون للضحك نهاية ... وإلَّا ... انقلب لضده.

أصبح بطل في نظر الناس ... وله سيرة في كل مكان.

وأهل مصر لهم فنون تعمل جنون كتير ... وخطير.

زوجته: ولا خطير ولا حاجة ... ده مسخرة ... في كل مكان بيزفُّوه العيال ويتمسخروا عليه.

الوالي: في الأول ... لكن دلوقتي الأطفال بيخوفوا عساكرنا باسمه ... والمصيبة إن العسكر فاكرين إنه ممكن يطلع عليهم في أي مكان وفي أي لحظة ... ويخنقهم ... كارثة مصيبة كبيرة جدًّا!

زوجته: تهويل ... الناس كلها عارفة إنه بيخرف وعمايله كدب.

الوالي: طول عمرك مابتفهمنيش ... مهما أفهِّمك ... أنا مايهمنيش هو عمل إيه ... ده خيال مآتة ولا يسوى، وأي عسكري عثماني ممكن يدفنه حي ... الخطير مش عمايله ... لكن اللي بيتحكي عنه ... ده بقى ولي من الأوليا ... بيحلفوا شافوه في تلات حتت في وقت واحد ... وبيبرَّق للحديد يسيح ... وموَّت مية من حرَّاس القلعة، وحرَّر الأسرى ... وما دام الناس صدَّقوا إن أهبل عمل كده ... ممكن يتجرأ عاقل ويطيَّر رقبتي بكرة ... فهمتي يا مخ يا تخين إنت؟

زوجته: آه ... يعني انت تجيبه هنا تقتله ... لا ... اقتله بعيد عن هنا ... عفريته في قصرنا يسكن.

الوالي: يا مخ تخين ومغفَّل ... أنا لا يمكن أقتله لا هنا ولا هناك.

زوجته: بتخاف منُّه؟

الوالي: أنا ممكن أفرمه بين صوابعي ... لكن لو قتلته الناس حتصدق حكاياته للأبد ... والحكايات تكتر أكتر ... والمواويل تظهر أخضر وأحمر ... والفلاحين يفكروا يبقوا فرسان ... ويتفرعنوا الزعران ... في كل مكان ... لا ... ونضيع احنا في خبر كان ... فهمت يا غفلان ... أنا دعيته عشان أفضحه أكلبشه بصداقتي ... وكل ما يطمع ح اديله أكتر ... وأريَّحه ... الحكاية تهدى ... يهيص في النعيم، ينسى الناس حكايته ... أحكي حكايتي أنا على طريقتي ... حكاية عن واحد ... هجَّاص ... هلَّاس ... دماغه محشية قلقاس ... (يضحكان).

ويبقى مضْحكة ... ينساها الناس في غلبهم الأزلي ... فهمت يا فار سمين راكب بقرة غرقانة ... انتي؟

الزوجة: فهمت يا بطبوط في المطرة محطوط انتي.

(يخرجان وهما يتبادلان الغزَل والضحك على سي اليزل.)

الوصول إلى نهاية السَّبق ...
حيث أكل النبق أو يصدق النبأ

(يدخل سعدون وهو يتأمَّل ما حوله من فخامة، ثم يتبعه شحاتة أنهكه التشرُّد والتفكير المتفجر في رأسه ... يجعله أكثر نبالةً وعقلًا.)

سعدون: كده بقى وصلنا لغاية المُراد من ربِّ العباد ... ده قصر بحق وحقيق، صاحبه أمير حقيقي وتشريفة حقيقية لا حمَّارة ولا خمَّارة.

شحاتة: قلبي بيقول لي المرة دي بالذات وصلنا لخمَّارة ... يا سعدون!

سعدون: لأ بأه ... إنت بتحب المخالفة ... إذا كان الأمير هو اللي دعانا بعد ما عرف قيمتنا ... حاسس إنه حيوهبني أكبر طابية عنده.

شحاتة: مش حاسس هنا أي نسمة محبة، ولا شامم ريحة صدق اللي دايمًا بتدل قلبي ... «شامة» مش هنا يا سعدون!

سعدون: طب والطابية؟

شحاتة: يمكن تكون هنا طابية ... لكن المؤكد أن المكان ده مش المكان اللي بيدخلوه الفرسان إلا عشان يهدوه على دماغ اللي فيه.

(يدخل الوالي مرِّحبًا.)

الوالي: مرحبًا ... ببطل الأبطال وسيف الرجال ... وفارس الهول المهول ... محرِّر عبيد الأسطول ... الفارس العاشق اللي الدنيا بتحكي عنه عرْض وطول.

شحاتة (متحفِّظًا)**:** مَن أنت يا هذا؟ ... ومن أين تعرفني؟

الوالي (سعدون يحاول تخفيفَ التوتر بحركاتٍ صامتةٍ وتحذيرات)**:** مَن أنا؟! ... شُفت يا صديقي ... مستغرب إني أعرفه ... أنا الأمير اللي حيختم بالمجد رحلتك العبقرية ... حتنول ما تشتهي ... أيًّا كان ... عندي تفويض من السلطان.

سعدون: أنا يا باشا لي في ذمتكم طابية ... صغيرة ... قد كده! كان وعدني بها سي اليزل أول ما جينا نشتغل.

الوالي: اختار أي طابية ... تبقى لك ... وده وعد زي وعده ... تمام.

شحاتة: لا أعرف ... إن كان حُسن حظك وضعني في سكتك ... والَّا سوء حظِّي هو اللي رماك في طريقي ... أنا ... (مقاطعًا.)

الوالي: وفيلسوف كمان! ... فارس وصاحب فلسفة ... ده هو الكمال بذاته ... الكمال اللي حيجعل لصبرنا معنى خطير ... ولانتظارنا ...

شحاتة (مقاطعًا)**:** كنت أفضِّل لو كانت «شامة» هي اللي في انتظاري.

الوالي: وهي في انتظارك فعلًا.

شحاتة: مش ممكن ... في الأمر شيء غريب أو مريب!

سعدون: جرى إيه يا سي اليزل ... ما غريب إلا الشيطان!

الوالي: لا يا سعدون ... فعلًا ... فارسنا له حق في إحساسه، للأسف الشديد مش ح اقدر أخبِّي عليه الأمر المحزن اللي حصل، لكن وشرف السلطان العثماني ... أنا حاولت بكل ما أملك منْع الكارثة ... لكن أنا مش فارس، وماعنديش الكفاءة عشان أتصدى «لسقرديون» اللي هاجمنا امبارح ... وسخط «شامة» وشوَّه جمالها ... آه! أنا حاسس بالعار ... ويا ريت تتقبَّل أسفي.

شحاتة: مستحيل! (يخاطب سعدون ويلومه.)

هذا عقابي العادل ... لأنني استمعت لنصيحتك القاصرة ... وهربت بجلدي كالأرنب ... هيَّ فين؟

الوالي: الصبر يليق بالفرسان ... وبالإنسان الكبير القلب اللِّي زيك ... حتشوفها بالتأكيد ... اهدأ ... كل شيء حيكون على ما يرام.

(يأخذه ويمضي مواسيًا ... وبإشارةٍ خفيةٍ يدخل بعض الجنود والسُّياس يحيطون بسعدون ويحجزونه ... وهم يرحِّبون به.)

سعدون: هو ده وقته يا سي اليزل؟! ... مش كنت تخلينا في الهم!

(السُّياس يحاولون مجاراته لكسبِ ودِّه.)

كانت حبيبته طول الوقت تحت مناخيره ... وف بيته ... ومش شايفها، عايزها أميرة، يوه ... مش كنا خلصنا الطابية وبعد ساعة وحياتكم أنقذ له أميرته دي ... سواء من خمَّارة البوظة أو من تراب الفرن ... وأقدمها له على طبق ... فضة حقيقي. بس أستلم مفاتيحها وحتشوفوا يا عيال ... أنا ح اعمل إيه في التاريخ ... والنبي ... لاعمل فيه زي الحدَّاد ما بيعمل في حتة صفيح ... كده هه ...

سايس: تقدر؟

سعدون: إنتم مين؟

سايس: إحنا ولاد كار، سيَّاس خيل وحمير الوالي ... جايين نرحب بك.

سايس: أهلًا بأشهر سايس بين سيَّاس العصر والأوان.

سعدون: أنا؟!

سايس: وصديق أشهر الفرسان.

سعدون: أنا؟!

سايس: إنت مش عارف قيمتك والَّا إيه؟!

سعدون: مرحبًا، وعايزين إيه؟

سايس: اسمع بقى ... إحنا دلوقتي لوحدنا ... إحنا أخوات.

سايس: وأولاد كار.

سعدون: أي خدمة ... تحت أمركم.

سايس: إحنا دلوقتي لا معانا سادة ولا سلاطين.

سايس: إحنا المولودين العايشين في الطين.

سايس: المنحطين.

سايس: نتكلم مع بعض بصراحة ... زي همه ما بيتكلموا دلوقتي مع بعض.

سعدون: همَّه مين؟

سايس: أسيادنا ... سيدنا وسيدك.

سعدون: أولًا هو مش سيدي ... هو صاحبي ... إنما دكهه سيدكم مش صاحبكم.

سايس: الفرق مش مهم قوي ... كلهم أسياد مع بعض واحنا خدم.

سعدون: لأ ... فيه فرق ... هو صاحبي وانا مش خدامه ... وبعد شوية أنا ح ابقى حاكم طابية قد الدنيا.

سايس: لا يا شيخ!

سعدون: طبعًا ... أنا حاكم طابية ... إزاي بقى الرءوس تتساوى؟!

سايس: طب ما انا مَلك الاصطبل!

سعدون: بتنكِّت؟ ... إنت لا حاربت ولا اتغرَّبت ... ولا ضربت وانضربت، أنا دفعت عشان حكم الطابية دي كتير قوي ... دم وعرق وجوع ودموع ... وألم ...

سايس: يا عم روق. إنت تعرف صاحبك المجنون ده من كام سنة؟

سعدون: لو قلت عليه مجنون تاني ... ح اقول ع الوالي إنه أعرج وأعور وأعمى كمان ... وشحَّات.

سايس: بس ده مش حقيقي ... الوالي لا أعرج ولا أعمى ... ده أمير وعاقل.

سايس: بس ... ماتلاوعناش ... واعترف.

سعدون: أعترف بإيه؟

سايس: بالحقيقة.

سعدون: وانتم تعرفوا إيه عن الحقيقة؟ ... وانتم مابتشوفوش غير تحت رجليكم! الجلَّة والزبل والتبن والطين ... عايشين بين رجلين البهايم ... تعرفوا إيه عن الحقيقة ... الحقيقة اللي أعرفها عنه أطول من السكك اللي مشيتها معاه ... وأقوى من الشوم والعصيان اللي دقَّت على دماغي وكسَّرت ضلوعي.

سايس: ده باين أجن من سيده!

سعدون: قلت لك مش سيدي، ده صاحبي.

سايس: إنت بتخرف أكتر منه.

(يبدءون في زغده وضربه.)

سعدون: اسمع ... أوعى تفكر إن أنا خايف أرد عليكم عشان في قلعتكم لا ... أنا بأرد دلوقتي بلساني ... لكن أقدر أرد بإيدي وبأسناني ... آه!

سايس: إنت فاكر نفسك فارس إنت كمان يا معَّار ... إنت ولا حاجة ... واهبل زيُّه.

سايس: وحيمشي ورا المجنون مين غير الأهبل ... يا أهبل!

سعدون: أهبل؟ لا ... فليكن في علمكم أنني خرشمت ودشدشت ناس زيكم!

(تزداد سخريتهم ويناوشونه.)

صحيح كانوا حمَّارة ... لكن واضح إنهم كانوا أشرف منكم.

(يضربونه.)

آه يا غجر ... أيوه ... أنا كمان هربت معاه من القلعة بعد ما غلبنا الحراس ... آه ... وانا اللي كسرت الأقفال بتاع المساجين ... يا أولاد الكلب!

(يصرخ في وجههم فتزيد سخريتهم به.)

سايس: أمك اسمها طابية.

سايس: يا سلام سلِّم ... الطشت بيتكلم.

سعدون: باتكلم وباضرب كمان ... أنا مش هفيَّة ... آه!

سايس: طب خد ... اعدل لسانك المعووج.

سعدون: ماتضربش ... قلت لك!

سايس: خد ... عشان تعرف تكلم أسيادك.

سعدون: يا غجر يا مجرمين ... الحقني يا سي اليزل ... كلامك صح ... دي لا يمكن تكون إلا خمَّارة ... ودول حمَّارة ... آه ... ضربهم شبه ضرب الحمَّارين.

الوالي (يدخل الوالي وشحاتة)**:** ولد! ... امنع الضرب يا ولد ... يا غجر يا بقر، إزاي تضربوا ضِيوفي يا كلاب!

شحاتة: لا تتدخَّل ... لأنه قادر على تشتيت شملهم.

سعدون: يا سي اليزل دول أحمر من الحمَّارة ... ملعون أبوها الطوابي ... إذا كانت فيها إهانة كده!

الوالي: لا يا سعدون ... الطابية بقت بتاعتك خلاص ... اعتبر نفسك حاكم عليها من دلوقتي ... ده فرمان.

(يتباهى أمام السيَّاس المنحنين أمام الوالي.)

طول الوقت بافكر إنت ستستلم طابيتك منِّي أنا ... إنما انتم يا غجر ... فحسابي معكم بعدين ... امشوا ... واحبسوا أنفسكم في المطبخ عقاب لتطاولكم على سيادة الحاكم ... يا كلاب!

(يخرجون.)

سعدون: المطبخ؟ ... تسمح لي أتحبس معاهم ... وبعدين نرجع نسوِّي أمور الحكم يا مولاي ... أنا أصلي مايخففش من مواجعي قد ريحة المطبخ.

الوالي: إنت دخلت التاريخ ... ولا يمكن لمن يحكم طابية أن يأكل مع السيَّاس.

سعدون: ماتعقَّدهاش، أنا حاكم شعبي.

الوالي: لا تبدأ حكمك بالتنازل ... اصبر فهناك وليمة تليق بالملوك في انتظارك ... أنت صرت منَّا ... وأكثر ... فأنت الوحيد الذي شاهد أمجاد فارسنا الهمام ... أنت الشاهد الحي ... الذي رأى كل شيء.

(جونج.)

الحاجب: مولاتي الأميرة ...

(تدخل امرأة محجَّبة معها وصيفة.)

شحاتة: شامة؟! ... (يُسرع ويمسك يدها ويركع معتذرًا) ... لن أسامح نفسي لأني تركتك وهربت ... وعطيت الساحر الشرير الفرصة يعمل عملته الدنيئة.

(الوالي يخفي ضحكاته وتكشف الزوجة عن خِمارها ... ويضحكان.)

ماكنتش متصور إنه شوَّه جمالك لهذه الدرجة البشعة!

(الوالي يُفاجأ ... وتحس الزوجة بالإهانة.)

يا لدناءة ما فعل! ... لقد حوَّل أنفك إلى منقار بطة، لا بد أن يُعاقب على هذه الجريمة.

الوصيفة: يا أعمى القلب، دي مولاتي زوجة الوالي.

سعدون: ضاعت الطابية!

شحاتة: إذن فإنه لم يكتفِ بتشويهها ... وإنما لوَّثها ... وزوَّجها من غيري.

(الزوجة تصرخ ويُغمى عليها.)

الوصيفة: ده مش مجنون وبس ... ده حمار كمان!

الوالي: إنك تُخطئ كثيرًا يا فارس الفرسان.

هذه زوجتي ... ألا تستطيع أن تُفرِّق بين حبيبتك وحبيبة غيرك؟

سعدون: آه ... المسألة اتعقَّدت!

شحاتة: إذن فهو لم يكتفِ بتشويه حبيبتي فقط ... بل شوَّه زوجتك إلى هذه الصورة البشعة!

سعدون: كحَّلها قام عماها!

الوالي: مش عارف إن كان فيه باقي ف مخك ذرة واحدة من فهم؟

شحاتة: لك حق ... أحس بالتعب منذ دخلت إلى هنا، سأخرج لأشم قليلًا من الهواء النقي ... المكان ده مليان هوا فاسد وملوَّث.

الوالي: حاول تفرَّغ الهواء الفاسد اللي جوه نافوخك.

سعدون: خدني معاك يا سي اليزل ... ماتسبنيش وحدي هنا.

(يخرج شحاتة والوالي يعترض سعدون.)

الوالي: دعه يا صديقي، سنبقى هنا لنتحدث في شئون الحكم ... سنتكلم كحكام نفهم حقيقة تخاريف صاحبنا اللي مش حاكم ... إيه اللي حصل؟

سعدون: ماحصلش أي حاجة ... على الأقل أنا ماعملتش أي حاجة وحياة دقنك.

الوالي: ماتخافش، أنا عارف إنك ماعملتش حاجة، إنت غلبانة، هو اللي غواك وضحك عليك.

سعدون: ضحك عليَّه وغواني؟!

الوالي: طبعًا ... إنت فلاح لا لك في الطور ولا في الطحين ... إيه رأيك؟

سعدون: أنا رأيي أن الست بتاعة سيادتك أجمل أميرة في الدنيا ... وعلى الأقل أجمل وأحلى من مراتي.

(تكون الزوجة قد أفاقت.)

يا صلاة النبي ... إيه!

الوالي: يا سعدون زوجتنا تحب الفلاحين ... وعلى فكرة هي صاحبة الطابية اللي حتحكمها.

سعدون: الله!

الوالي: طبعًا ... بس عايزة منك تحكي لها عن أعمال صاحبك المجنونة، احكي من البداية إزاي فاتحك في الموضوع ... ومين شُركاته؟ ومين اللي ساعده في تهريب المساجين؟ ... واللي ساعدوه على الهرب مين؟ وكده احكي ... احكي لها!

سعدون: أنا مابحكيش عنه ... الناس هي اللي بتحكي.
الزوجة: وانت ... لسانك مقطوع ... مش كنت معاه طول الوقت وشفت كل حاجة؟!
سعدون: أنا ما اقدرش أقول عنه أي حاجة ... عشان أنا مابحبش الكدب.
الوالي: حنعتبرك شريكه ف كل جرائمه.

(ثم يتدارك غضبه.)

أنا أقصد بما إنك شريكه في بطولاته ... احكي عن خططه، دانت الشاهد والراوي اللي حيخلِّد ذكره في التاريخ.
سعدون: التاريخ؟ ... تصدقوني لو قلت لكم ... إن حماري بيفهم في التاريخ أكتر منِّي ... التاريخ كتابة ... وانا أجهل من الفول الحِراتي.
الزوجة: لكن لك لسان فانطق!
سعدون: أقول إيه؟
الزوجة: اللي شفته ... من أعماله!
سعدون: أعماله بتتكلم عن نفسها ... ومش محتاجة دُهل زيِّي يحكيها، أنا لا شاعر ولا مدَّاح.
الوالي: مش وعدك يعطيك طابية؟
سعدون: أيوه ... لكن ...
الوالي: من غير لكن.
كان ناوي يستولي على الطوابي العثمانية ويفرِّقها عليكم ... مش كده؟
سعدون: يا عم لا ... دي ليَّ أنا بس.
الوالي: طب فين الجيوش بتاعته؟
سعدون: جيوش ... إنت بتصدق؟ ... ده وعدني ... وانا صدَّقته عشان هو راجل بيقرا ويكتب وانا جاهل ... زي ما انت وعدتني واجب عليَّه أصدقك.
الزوجة: وانت ماعندكش عقل تميِّز؟ ... بتصدق كل اللي يتقال لك؟
سعدون: وما اصدقش ليه يا مولاتي ... إنتم ناس أكابر ... ومتعلمين، وعيب على واحد فلاح زيي مايصدقش أكابره.
الوالي: اسمع يا تعلب انت يا مكار ... بطَّل لف ودوران ح اسلخ جلدك، إزاي صدَّقته وانت شايفه بيحارب الهواء ... وبيقاتل الحجارة ع الطريق؟!

سعدون: لأنه مش ممكن يحارب ويقاتل وهو قاعد في بيته زي السلطانية.

الزوجة: ده فلَّاح قليل الأدب ولازم يتأدِّب.

الوالي (متماسكًا يصدها)**:** واجبك إنك توضح لأهلك الفلاحين المساكين إنه بيشوف أشباح ... وإن اللي حكوه عنه كذب ف كذب ... واللي سمعوه عنه أكذب وأكذب.

سعدون: وإذا كانوا سمعوا كدب همه ذنبهم إيه في دنيا كلها كدب ف كدب! ... داحنا غلابة قوي يا بيه.

الوالي: والغلابة لما ينخدعوا ف واحد زيه مش حرام؟ ... ذنبهم في رقبتك!

سعدون: ربنا غفَّار الذنوب.

الوالي: إحنا مش عايزين الناس يتمسخروا عليه ... ساعدنا نوضح لهم الحقيقة ... عشان صورته ماتبقاش مشوَّهة في التاريخ ... وعشان مايقولوش إن فارس فوارسهم مجنون أو مهفوف.

سعدون: إذا كانت في الدنيا ناس دون وأشرار مالهمش شغلة إلا السخرية من خلق الله ... فسي اليزل حيقضي عليهم في يوم من الأيام.

الوالي: وانت طبعًا إيده اليمين.

سعدون: أنا معاه ع الحلوة والمُرة ... هو الوش وانا القفا ... خرجنا مع بعض وحنرجع مع بعض.

الزوجة: أو حتموتوا مع بعض.

سعدون: الآجال بيد الله.

الوالي: وتضيَّع حياتك من غير ما تعمل حاجة؟

سعدون: عملنا اللي قدرنا عليه (يتحسَّس ما به من آثار ضرب).

الوالي: آه ... عملتوا إيه؟

سعدون: حاجات بسيطة، خلينا بنت مسكينة تحلم بحياة شريفة ... وخلينا راجل نصَّاب يبطل غش؟ وريحنا حبة مساكين من السخرة؟ ترقيع يا مولاي ... حِتة عَدْل هنا، بسمة أمل هنا ... حاولنا نرقَّع وش عالم مايستحقش غير الحرق.

الوالي: وهرَّبتم المساجين عشان يساعدوكم في حرق العالم ... مش كده؟

سعدون: افتكرهم مظلومين فخلَّصهم.

الوالي: أهه ... اعترفت إنه اعتدى على الشرائع ... وانت كنت معاه.

سعدون: ماتظلمنيش يا مولاي ... دانا غلبان.

الوالي (يعاود المكر به)**:** أنا أظلمك يا سعدون ... معقول! ... دانا حبيتك من أول ماشفتك ... إحنا أصحاب وزمايل ... ولما تبقى حاكم حتيجي تزورني ... وانا أروح أزورك ... تشاركني في تجارتي وانا أشاركك أفراحك ... حكام بقى. وبالعكس حتكون إنت حاكم من نوع فريد ... فلاح مصري بيحكم طابية عثمانية، مجد لازم تقدِّم الدليل على استحقاقك ليه، حتبقى مسئول قُدَّام السلطان عن الرعية وعن النظام ... المجنون ده هو عيبك الوحيد ... علاقتك بيه بتشوِّه صورتك ... أقول للسلطان وهبتُه أكبر طابية في ممتلكاتك يا سلطان وهو بيكذب ... ويخبِّي عليك؟! لازم أقول له إنك معانا ... وإنك راجلنا اللي حيكشف المجنون ده اللي عامل فارس!

(سعدون ينفجر في البكاء.)

سعدون: يا خسارة يا مولاي ... بتتكلم زي السيَّاس بتوعك مع إنهم تربية الاصطبل ... وانت سيدهم ... تصوَّر كانوا عايزيني أقول عن صاحبي إنه مجنون ... إزاي أنطقها يا مولاي ... إزاي أفتري عليه وانا كلت عيش وملح معاه ... وشاركني في أحلامه ... أعطاني أعظم حلم فيها ... خلَّاني لأول مرة أحس إن أنا مش دودة ... (يضحكان غضبًا) ... ودي حاجة بيتهيألي ماتضحكش، ممكن تضحكوا مننا عشان بنحلم في عالم مابيقبلش الأحلام ... عالم عينه فارغة ... مايملهاش إلا التراب ... لكن سي اليزل ... خلَّاني أحلم أحلام حقيقية ... ممكن البني آدم منا يمسكها بايديه ... لو كان أقوى شوية ... أو كان أشرف شوية أو أذكى بعضشي ...

الزوجة: ده حمار ومهفوف زيه.

سعدون: ماتشتميش الحمير يا مولاتي ... أنا كان ليَّ حمار بيفرق من أول نظرة ... بين الحشايش اللي تتاكل ... والشوك السام ... حمار أصيل لكن حتفهموا إزاي في الحمير؟ إلا إذا فهمتم إنني فاهم إنكم مش حتدوني الطابية إلا إذا بقيت كلب.

الوالي: أيها الناكر للجميل ... سأسلخ جلدك!

(يدخل شحاتة فيتظاهر الوالي بالهدوء ويرحِّب به.)

شحاتة: أنا حاسس إن روحي بقت أصفى من ضوء القمر، وأكيد ح اقدر أشوف كل شيء على حقيقته مهما اتخفَّى في صورة مخادعة يا سعدون ... بتعيط ليه؟ مين هنا اتجرَّأ على تبديد دموعك الغالية؟ ... خايف عليَّه ... ماتخافش يا سعدون؟ ... أنا مش ح اموت إلا بعد عمر طويل ... الفارس مابيموتش قبل التابع، مش كده يا سعدون؟

سعدون: أنا مش بعيَّط ... «اهئ» لكن أنا بادعي ربنا يحقَّق أحلامك وينجِّيك من شر السحرة والناس الدون اللي يكرهو لك الخير.

شحاتة: ممكن أكون أضعف من إني أنازلهم كلهم ... لكن ح احاول يا سعدون ... وح اكون أقوى وأقدر على مواجهتهم ... ما دمت انت معايا.

سعدون: أنا دودة ... يا دوب أنا دودة.

شحاتة: لا ... لا يا سعدون لا ... بعد كل المعاناة والألم مش ممكن الإنسان يفضل دودة ... مع بعض حنواجه كل أشرار الدنيا ... وحتحكم طابيتك اللي تستحقها.

سعدون: ماعدتش عايزها ... خلاص.

شحاتة: اهدا ... أنا مش خايف ما دمت انت معايا ... فماتخافش وانا معاك ... قدامنا لسه كتير ... وفَّر دموعك.

أيها الأمير ... أنا الآن على استعداد لمواجهة شر الدنيا كله لإنقاذ حبيبتي ... فأين سَجَنها الساحر؟

الوالي: مش عارف ... خطفها وخلاص ... وهربوا لما عرف بوصولك.

شحاتة: وراح فين؟

الوالي: راح لمملكته المسحورة.

شحاتة: وفين مملكته المسحورة؟ ... لازم اللي زيك يعرف مكانها.

الوالي: بعد السبع بحور والسبع جبال ... في النجوم.

شحاتة: في النجوم؟!

الوالي: طبعًا ... مش كل ساحر عايش في نجم ... ماتعرفش تنجيم؟!

شحاتة: شفت يا سعدون!

في الوقت اللي افتكرت فيه أننا وصلنا لقلعة أمير نبيل قلت لك إننا وصلنا خمَّارة حقيرة ... بص ... بيحاول خداعي وف وقت الجد ... يهزل ويقول نكت سخيفة!

الوالي: اخرس ... واعترف بعجزك وتخاريفك إن كنت مش قادر توصل لمملكته فأنت أعجز من أن تكون فارس.

شحاتة: أنا أقدر أشق البحر وأهد الجبل ... لكن النجوم. يمكن في يوم من الأيام ... يوصل لها غيري ... لكن أنا لأ ... دلوقتي أنا متأكد أن حقيقة الإنسان هي إدراكه لحقيقة قدراته ... وحدودها.

الوالي: برافو ... وعرفت دلوقتي إنك مجرد قراقوز مضحك ... ماعملش أي حاجة ولا حيعمل؟ ... أيها المهرِّج التافه ... صفِّقوا له ... فقد أتقن دوره ولا أعظم مضحك في الشوارع!

شحاتة (ضاحكًا)**:** شفت يا سعدون فعلًا وصلنا لقصر الساحر لا يمكن أن يكون الساحر إلا على هذه الصورة القميئة.

الوالي: اخرس أيها التافه البهلوان الحقير ... الكذاب!

شحاتة (يلاقيه بسيفه فيرعبه)**:** أنا سمحت لك تضحك بما فيه الكفاية، لكني مش ح اسمح لك بإهانتي أيها الوالي المتخفِّي في ثوب الساحر أو الساحر المستتر في هيئة والي. أيًّا ما كنت ... أشهِر سيفك ... وقاتل!

الوالي: أيها المهرج الأونطجي، اركع واطلب الصفح والغفران على كل ما قلتَه وما فعلتَه، واسترحمنا لنسمح لك باختيار الخازوق الذي ستُعدم به ... أيها الحارس!

شحاتة: لن يسمعك أحد منهم؛ فقد أغلقت عليهم أبواب المطبخ ... فهيا للمبارزة لو كانت لديك ذرة من الشرف!

(يتجمَّع الجوق حولهما أو يظهر في مدى البصر، ويحرضونه بصوت هامس يتصاعد ببطء أن يقتله.)

شحاتة: أستطيع أن أذبحك كالشاة، ولكني لست مخادعًا مثلك ... فإن كانت لديك ذرة من نبالة ... فلتبارزني كالفرسان ... (الجوق مستمر في تحريضه) لن أخون مبادئي ... فأشهِر سيفك، قاتل بشرف!

الجوق: اقتله ... فرصتك الآن ... بعد الآن يكون الوقت اتأخَّر.

شحاتة: لا ... أنا لست سفاحًا ... إنني فارس ... أعطيك الفرصة لتكون نبيلًا للحظة واحدة في حياتك ... قاتل بشرف!

(يستدير ليعدَّ خطوات المسافة بعد أن يُلقي إليه بسيف.)

(الأراجوز يضحك ضحكةً أقرب للبكاء.)

شحاتة (متوترًا بعض الشيء)**:** هيا ودافع عن نفسك أمام الجميع!

(الوالي يُلقي السيف ويُشهر خنجره ويسرع فيطعنه ... يسقط شحاتة في بطء ويتماسك.)

الفتاة (صارخة): سي اليزل ... (في ملابسها العادية الأولى.)

شحاتة: وصلت في الوقت المناسب ... سامحيني لأنني تركتك ورحلت ... ماعرفتش سكتي كويس ... الشر طمس على عيوني ... زي ما طمس على عيونكم ... لكن أنا حاولت إني أصنع حلم بسيط ... لي ... ولكم ... وأحيانًا بيبقى الحلم أقرب من حبل الوريد.

سعدون: ماكانش حقك تسيب له فرصة يغدر بيك.

شحاتة: وده كان حيغير إيه يا سعدون؟ ... دول كثير ... كثير قوي ... أكثر مما كنت أتصور ... المهم يا سعدون تساعدني علشان أكتشفهم، الرحلة أطول من خطاوي الواحد منَّا لوحده ... وأصعب من جهد فارس واحد ... لكن أنا مشيتها على قد ما قدرت.

سعدون: ماتسيبنيش ... وتموت ... إنت وعدت إنك ماتموتش قبلي!

الفتاة: إنت الأمل الوحيد ... نعمل إيه من غيرك!

شحاتة: لا ... ماتصدقوش ... لو كان الأمل الباقي، فارس وحيد، حتى ولو كان سيف بن ذي يزن نفسه ... يبقى أمل ناقص وحلم عمره ما ح يتحقق.

(الفتاة تنفجر باكية – الجوق الذي أصبح الآن يخفيه هو والبنت وسعدون يطرق في حزن ... الراوي يتأمل الأراجوز في يده ... يُلقي به على الأرض ... يظهر سعدون حاملًا سيف شحاتة وهو يمسح دموعه ... البنت تتعلَّق وتتحامل على رئيس الجوق الذي يتقدَّم.)

رئيس الجوق: وبكده يا سادة ...

يا منورين السهرة وزيادة ...

انتهت سيرة فارسنا المنصوري ... شحاتة البشبوري على غير ما جرت به سِيَر الفرسان، وإن كنت أظن أنها كلها تنتهي هكذا في العادة.

إحنا ياما قرينا وانتم ياما سمعتم.

وإن كنا قصَّرنا ...

فلأنه الألم عصرْنا ...

لكن في سكك الفن ما اتحسرنا ...

طول ما نفس مصر — مهما نشت ونغرب — يمصرنا.

(والكل يغنِّي.)

وتظل الناس ... تحلم وتعيش وتعيش تحلم ... تحزن تفرح ... تضحك تبكي
ترضى وتشكي وهي بتحلم
وعلى الأنفاس يركب أنجاس
مملوك صعلوك، فرعون تركي
وشاهات وملوك، ودوسيه سركي
بيدوسوا بقسوة حلم الناس، والناس بتعيش علشان تحلم
والدنيا تسير ع الحلم تعيش
ونعيد ونزيد نحكي ونعيد
في سكك أبو زيد، نحلم ونطير ويَّا الأساطير
علشان نخرج من قعر البير
للشمس لا تنسانا المواعيد ... ونعيد ونزيد نحلم ونعيد
لكن يلزم للحلم أكيد
يلزم تفسير
يا فراخ الطير يلزم لك ريش.

(إضاءة)

سيرة شحاتة سي اليزل (سعدون)

- قدَّمتها الفرقة النموذجية للثقافة الجماهيرية عام ١٩٨٠م.
  إخراج: عباس أحمد.
- قدَّمتها فرقة دمياط المسرحية عام ١٩٨٠م.
  إخراج: حافظ أحمد حافظ.
- قدَّمتها فرقة بنها المسرحية عام ١٩٨٣م.
  إخراج: ماهر عبد الحميد.
- طُبعت الطبعة الأولى بدمشق عام ١٩٨٢م ضمن مطبوعات وزارة الثقافة.

الليلة فنطزية

سهرة من تراث المسخرة الشعبية

حيص بيص والبحث في الهجيص

منذ أن حدا الحادي قافلة مسرحنا، تحرَّكت القافلة لتشرَّق وتغرَّب وتنحدف في شعاب اليسار واليمين والغثِّ والثَّمين. وضربت في بوادي التقريب والتغريب، والترغيب والترهيب، والتحديث والتجريب، والإسقاط والاستطراد، والتسطيح والتفصيح، والترويح والتباريح، والاستلهام والاستعلام، والكشف والتنوير، والتطهير والتطوير و... وإلخ، وتملحم «أدهم» حتى صار بريشتيًّا.

وتفرهد «بعجر» حتى أصبح وجوديًّا.

ورمز غطاء الحلة للقِدر الفولاذي، والكانون للثورة ... ورمز الفجل لمصر ... ودار صراع جدلي بين الملعقة وقعر الكوب؛ إذ إن الجدل الدائر بينهما أذاب فوارق طبقات السكر (ولا تنسى الرمز الجنسي الفاضح والواضح) ونسينا في غمرة توهان القافلة أنه من حق البسطاء الظرفاء أن يكون لهم مسرح كما لأرباب الحِرف والترف وأصحاب التحف والنجف مسرح كما كان للمثقفين يومًا، مسرح.

ومن هنا كانت هذه «الليلة الفنطزية» مسخرة شعبية ندعو إليها هؤلاء وهؤلاء ليشاركونا البهجة والضحكة والأزمة؛ إنها حالة من حالات دعم المتعة الفنية وتوصيل الدعم لمستحقيه.

حيص بيص العصفوري

الجوق المطلوب للتشخيص المكتوب

حيص بيص، نص نيص: ممثلان من تراث المسخرة الشعبية.
زقمانة: زوجة حيص بيص.
حشنيش: أو حسنين سابقًا، حشَّاش قراري لكنه يلعب دور النكدي عند اللزوم.
زعرب وزقرد ونطَّاط الحيط، شُرم وبرم، حناطة وعباطة وزعيط ومعيط: خُلاصة من الفنانين القادرين يُغنُّون ويرقصون ويفعلون السبعة وتمَّتها ... لو فلت الحبل.

الشخصيات المشخصة بلا حنشصة

- عمدة وفلاحون وأهل قرية بعبلهم.
- معلم قهوة وجرسونها وزبائنها الكرام.
- سلطان وسلطانة وحاشية طبعًا من أول كبير أمناء الخزنة إلى شيخ عموم غفر البلاد ... وطبعًا جلاد.
- صعيدي فلح كلح يصبح وزيرًا في خبطة حظ.
- بصاصون ومخبِرون ومنادي وبائعون وبائعات.
- والأمر مايسلمش، يلزم أحيانًا ديكور وإكسسوارات وميزانسين وألحان، وربما يلزم مُخرج غير حيص بيص لزوم المعاصرة!
- الجماعة من بقايا الارتجالين والمشخَّصاتية يعكسون ما نعرفه عنهم من معلومات مهوشة في الملابس وطرق الأداء ... إنهم غرقى يُطلقون صيحةَ استغاثة ... هباء؛ لأنهم يعرفون أن نجاتهم لا تتوقَّف عليهم وحدهم؛ فالبحر والريح والعصر ضدَّهم، فقد جاء بقيمه وفنونه وجمهوره وهم لا يحتجون على انقراضهم، وإن تفاخروا بماضٍ غامض واستدفئوا بوهج «فن جنوني» و«جنون فنِّي» حفظهم حتى قدِّر لهم أن يشهدوا فاجعةَ انقراض بساطتهم المعجزة وإنسانيتهم الساذجة ... وذكائهم الفطري الماكر ... وقدرتهم على الضحك والإضحاك حتى على مأساتهم هم والتي تجعلهم قادرين على الفرح بالحياة والابتهاج بممارسة اللعبة حتى اللحظة الأخيرة!

التقديمة

(على بروجي شعبي أو هيصة نحاسية يدخلون ويتجمَّعون في خطوات هازئة هازلة وفى ملابس ملفقة من تراث الصعلكة في الحواري والكفور ...

يتْلُون بيانَهم الأخير جماعيًّا وفرديًّا.)

الجوق:

ليلتنا فنطزية
ضحكة ماهيش أذية
وفرحة مش رزية
سمع ... يا حاضرين ... للفنانين المنقرضين
اللي راحت عليهم ... لكن مش معترضين ...
* * *
إحنا اللي راحت علينا زي سوارس يا بيه
بعد ما صارت القهوة كافيتيريا
والجرن صبح كباريه
والفن صار تطجين
وبعد ما صبح الفنان أسطى
على كل لون يا باتصطة
والتليفزيون اتلوَّن واشتغل من غير مفتاح
والهشك بشك ع الموضة تَوَل الفلاح

واتْلف السوليفان ع القشطة
والعتبة صبحت ميلامين ...

تليفزيون:

يا تجيب لي شاكلاته يامنيش لاعبة
وخدني في الطيارة أزور الكعبة

الجوق:

إحنا بتوع فن الكاني والماني ودكان الزلباني
بنوَّع فن كان يا مكان في كل زمان ومكان
فن الأدباتية المشخَّصاتية الكلمانجية والأراجوز
فن الحكاواتية الهلالية الزناناتية
وفرقع لوز ...
بتوع يا ليل ويا عين ... ويا آه
كالميميرا كالسبيرا كوم سي كوم ساه
إحنا اللي رطنَّا باللاوندي للاوندي
وبالرومي للرومي
وبالتركي للعثمانلي
إحنا اللي قلنا الكلام دوغري بما معناه
كدنا الممالك
مماليك سلطنة وولاة.

مغنٍّ:

علشان مراكبك تعدي لبكره يا بلدنا
ويخف حِمل الليالي عليكو يا أولادنا
والغُمة تنزاح عن الأمة وتلقى صباح
لا يتسرق مننا الصندوق ولا المفتاح
ويلاقي كل اللي زي حالتكو وحالتنا
سند ومُعين ...

إحنا اللي قلنا الكلام واحنا ندور ونلف
علشان تخف الحمول
والليل بنوركو يخف
الدنيا دي علمتنا ... لو يكون فيه خيط
أوعى تشدُّه لمنتهاه ... وتحف
لينقطع بك ... ومين راح يغيتك مين؟

* * *

إحنا اللي دُوخنا أتألمنا
وفهمنا الفولة لمَّا تعلمنا
من التعالب الدحلبة
ومن الحِناش السحلبة
ومن القرود الشقلبة
ومن النيران السهلبة، ومن الكرابيج اللهلبة
ومن الرياح الدردبة
ومن الفقير مد البساط الاحمدي ع المصطبة
ومن الحمير قوة الاحتمال
ونجوع ولا نمد الايدين
إحنا الفنانين المنقرضين ...

* * *

مانحبش الفرح هبهبة ... ولا الحزن مندبة
ولا الخناق عبعبة.

* * *

إحنا اللي طالعين من الطين ... ومن التاريخ جايين
وعارفين إن الزمن سابقنا
والوقت سارقنا
والموت ملاحقنا
واننا ضايعين ضايعين
وسط الفن الهجين والفن السجين
اللي فارش على العقول الغيامة

وحاطط ع اللسان والعقل ميت كمامة
وسايق الأيامة
ومخبي برانيطه تحت العمامة
وقاصد إن العصر الآتي
بموجه العاتي يغرَّقنا
من بعد ما يقطع حبال الجغرافيا والتاريخ ويغرَّقنا.

* * *

ولذلك نُعلن نحن ... نحن ... الفنانين
المنقرضين
نعلن باسم فننا المنقرض الهالك
المجتهد اللي مش متهالك
واللي مهما لفت به السكك واتلعبكت به المسالك
أصيل المدارك
فننا ... اللي رسم حدوده جدنا ابن دانيال
وعمنا ابن عروس
وتاج راسنا ابن النديم ... وانا
حيص بيص ...
فننا اللي خط خطوطه أبو فرقلَّة
وانا ... نطَّاط الحيط
واللي زبط زعبوطه جحا وأبو النواس
ومعيط ... أنا
وزعيط ... أنا
وبَرم طرطوره شكوكو ... وانا
شُرم ... بُرم ... وانا
نص نيص
نعلن باسم هذا الفن المنقرض العظيم
وبلسان فصيح وصريح
ونسجَّل هذا التصريح بكل وعي سليم وبعقل حكيم ...

* * *

بكره ابن النهارده
والنهارده ابن امبارح
والزمن آتي ... ورايح
ولكل وقت أدان
ولكل زرع أوان
واللسان حصان
ولذلك فالفن العظيم بيفضل حكمة لكل أوان
ومتعة في كل زمان ومكان
ومن هنا
من قلب القاهرة العامرة الطاهرة
اللي شهدت وشاهدت تفانين جدودنا العظام
نقدِّم هذه الحفلة الساهرة
وبنفترض
إحنا يا بتوع الفن المنقرض
إنها حتصحي في قلوبكم منابع الذاكرة
للفن البكر
اللي مش حكر على الكاسكيتة
ولا ع البرانيط
الفن الجميل البسيط
اللي مش عويل ولا عبيط
واللي يقدر يسحركم ويمتعكم وهو لابس اللبدة
والزعابيط.

حيص بيص:

ويلا للا يا نص نيص ... يا نوارتنا
دُق الطرمبيط
وخليك واد حويط

زمَّر وخبِّي دقنك
وبالهداوة ... لا يطق لك عِرق ... ويطلع آخر الزمر طيط.

(نص نيص يبدأ الملاغية في الوقت الذي يستعد الجوق لمشهد القرية.)

نص نيص:

ليلتنا فنطزية ... وفنطزية من الفنطزة، ودي معناها القلب الدافي والجيب الخالي
وهي عكس العنطزة
العنطزة قلاطة والفنطزة بساطة
الخواجات بتوع بلاد الخواجات يقولوا على
الفنطزة «فنتزة» مايصة ... ومعناها
السَّرح بالعالم وخيالات الهلبمبم
واضربك بونيَّة تخش الحيط
وارقصك ع الحيط واغرقك في الهجايص
لا ... وألف كلا
الفنطزة جدعنة ومجدعة ... آه
معاك قرش فنطز بيه على أول صاحب يقابلك
أو فنطز بيه علينا يا بيه
إوعى تخبيه بخل ... أو تنكره عوالة
لأنه إن مكانش معاك ... حط إيدك على
كتفنا وتعالى نسرح مع بعض ... نشحت سوا
عشَانا عليك يا رب ...

حيص بيص (معترضًا يسرع رافضًا سِكة الابتزاز والشحاتة):

لأ، شهرتنا الليلة بلوشي ... للي معاه وللي مامعاهوشي
للناس البلسم اللي ريحها يشفي الكرب ويفرَّج عن القلوب
وللناس العلقم ... اللي بتمرر الريق والمطرح

لكننا مابيهمناش ... نفعتونا والَّا مانفعتوناش
المهم سهرتنا ماتروحش في الطناش ...

مغنٍّ:

ويا قلب صافي وصادق النية
ريش حمامك افتح البنيه
واخضع لحكم الفن والغية
تصبح ليلتنا أُنس للمتآنس
وفنطزية تلم فرط المجالس
تفضح المتواكس والمتوالس
وتفك أَسْر المحابس
دي الأرض نشفت ... طالبة الميه ...

حيص بيص: ويحلا بينا الكلام.

(يبادله الكلام وهو يستعد للتشخيص ولعب دور العمدة.)

خُش ع الكفر اللي مايتسمَّاش اللي سمَّاه ...

نص نيص:

بس حسك عينك إنت ويَّاه
تزود ع اللي شفناه وسمعناه
أصل يا ابني انت ويَّاه ... ابن آدم مننا
إن مااتمسكش من لسانه ... ح يتعلق من قفاه!

كفر حماقة

(عمدة كفر حماقة وبعض أهلها ... تتخلق المشاهد من بعضها البعض، لا حدود بينها، وكل اللعب على المكشوف.)

النكدي: والعمل يا حضرة العمدة؟ ... ده مش كلام!
نموت احنا بقى دونًا عن بقية البلاد اللي حوالينا!

(يتدخل «نص» كمُخرج وموجِّه للعبة.)

نص نيص: وله ... جاك ضربة الدم اللي تِعوجك ... حتمثِّل زي بتوع التلفزيون ... فلاحينا مش بالألوان يا ابن الرفضي.
خش صح لا خلِّي ليلتك أبيض واسود.

(يعيد إلقاء الكلام حتى يرضى.)

العمدة: ماتموت يا أخي ... تخِف الذرية، وعلى روحك نقبض قرشين من بتوع حاجة بلاش كده.

(يضحكون مجاراةً أو نفاقًا أو رغبةً في شدِّ السلخ على أيهم.)

قال يموت قال ... تكونشي فاكر إن فسل زيك لما يموت ح يعلنوها كارثة قومية!
حناطة: والَّا حيدوا إجازة للمصالح الحكومية!
شرم: لأ ... دول حيقروا عليه قرآن ومزيكة عسكرية!
برم: وانت الصادق حيعملوله جنازة حارة ... والميت كلب!

زقرد: تعرفوا يا أولاد ... حيعملوا له تمثال ... تمثال كبير قوي ويهروه بالجزم!
النكدي: انبسطتم؟ ... ارتاح بالكم؟ ... لقيتوا اللي تتمقلتوا عليه؟ طيِّب ... مقبولة ... لكن أنا حيا الله حتة فلاح ... إن رحت والَّا جيت ... لكنها بقى تخيل عليك يا عمدة ... إنت لما تموت برده اسمك من سلك الحكام.

(يضحكون غصبًا نفاقًا للعمدة.)

زقرد: اقلبها غم ... يا باي! ... صدَق اللي قال إن أبوك كان بيضحك شُكك.

(تعود الضحكة الصاخبة.)

عباطة: عمدتنا مش وش موت ... دي بلدنا أساسها هو وبنوها حواليه بيت بيت.
النكدي: وزريبة زريبة.
حناطة: جاك داهية تغمك ولد وانت شبه جحشة أبو حشيش!
العمدة: سيبوه يطوِّل لسانه ما هي عادته، ح يشتريها؟!
الله يرحم أمه ... كانت عاملة أبونيه في البازابورط!
الأبعادية حتبور لو ماجاش القطر؟ إنت يا واد عمرك ركبت دراجة؟
حناطة: عايز القطر عشان يلحق الديوان.
شرم: ح يعلقه في الساقية.
برم: يا جدعان لأ ... ده عايز يروح بيه البندر يمشي من جنب السور.
النكدي: يا خلق ... فوقوا ... ح تفضلوا لامتى ناسيين إنكم منسيين من سنين على شط القرن العشرين. هو أنا عامل على روحي؟!
العمدة: طول عمرك عاملها على روحك!

(يعاودون شد السلخ.)

عباطة: يا فضيحتي! ... وتركب القطر ازاي وانت كده؟ ... طب صن شويَّة!
النكدي: آهو ده اللي احنا شاطرين فيه ... لها حق الحكومة طبعًا مايعبروناش في الصرمة القديمة!
ما دام الكَفر مش عامل لروحه اعتبار، مين يعبَّره؟
عنها المحطة ما اتبنت ... حينوبني أنا منها إيه؟!

آني رجلي والقبر ... مش مخلَّد زي العمدة اللي كلامه خفيف على قلبكم.

كلامي تقيل عشان في مصلحتكم ... معلهش!

كل اللي حوالينا حيلحقوا القطر ... يركبوه ويعدُّوا علينا للمستقبل ... وهو يزرط على بلدنا.

علشان يغيظها أكتر ...

آني عامل على مستقبل ولادنا.

العمدة: وهو انت يا ولد اللي عامل على المستقبل لوحدك؟

أنا عملت ما لا يعمل ... وقابلت في الموضوع ده من أول العسكري أبو بريزة ... لحد باشكاتب عموم الخطوط في البر والبحر ... أبو بريزة حمرة ... والكل قال مافيش ... مافيش محطة لبلدكم ... مش مصروف محطة لكَفركم!

أعمل إيه بقى يا فطين؟!

زقرد: طب ما نروح لغيرهم.

عباطة: نشوف مين اللي ف إيده أُس الحكاية وأساسها ... حتى لو كان الشهر العقاري.

حناطة: أو سواق القطر نفسه ... ونشوفه برده بحاجة!

العمدة: يا خرابي ... صدَق اللي سمَّاه كَفر حماقة! ... يا جاموس أبيض افهموا ... السواق ما هو إلا ميكانيكي بيمشِّي القطر ... لكن الحكومة هي اللي في إيديها توقَّف وتمشِّي حسب مواعيد موقوتة!

النكدي: وفين كلمتك المسموعة عند الحكومة؟ ... طول عمرها بتسمع منك ... قول لها على حالنا ... قول لها مرة إن روحنا متعلقة بشريط القطر ... ياخدنا لبكرة ... قول لها ع اللي فينا مرة ... ما انت فاهم كل حاجة، هو انا ح اقول لك!

العمدة: غلبت ... كفر حماقة مش داخلة للحكومة ف زور!

النكدي: تبلع وراها حاجة ...

تزلط ... ده تاريخ يا عمدة وطول عمرها بتبلع!

العمدة: محشورة المرة دي ... كل ورق البلاد اتأشَّر عليه بالاعتماد إلا كفر حماقة ... زي المرَة اللي مابتخلفش أولاد!

حناطة: يعني إيه؟ ... هو احنا اللي واقعين من قعر القفة!

العمدة: عشان اسم بلدكو يا حماقة.

زغرب: هو احنا اللي كنا اخترنا الأسامي؟!

زقرد: حتى الحكومة حتتمقلت علينا! ... وده نكد إيه ده؟!

عباطة: وعشان إيه نفضل مضحكة للي يسوى واللي مايسواش؟

النكدي: طبعًا ... إذا كنا احنا بنضحك على نفسنا ... وبنتمقلت على بعضنا ... لهم حق!

شرم: إحنا وعينا لقينا اسمها كده.

برم: واتولدنا فيها كده ... حد كان خد رأينا في شيء؟

عباطة: يمكن احنا اللي سميناها ... ومش فاكرين!

حناطة: أو يمكن فاكرين وناكرين!

زقرد: الحكومة اللي سميتها.

زعرب: أكيد كان لها غرض.

زقرد: مؤكد كان لها غرض.

العمدة: جاك سِم بدنك منك له ... إنت يا واد يا أبو دلق يا ولد حتتهم الحكومة إن لها غرض وانها سمَّت البلد ... غرضك إيه ... ياوله؟

زقرد: ماتضربنيش يا عمدة، تضربني على سهوة ليه؟

هو كان أبويا اللي سمَّاها كفر حماقة؟!

العمدة: مايكونش هو ليه؟ ... مش هو اللي حبس الديب في غيط القمح وقال آهي الجسور سدة عليه للصبح؟!

شرم: كان نظره على قدُّه.

برم: الحَلفا كانت عاملة زي الجدار.

العمدة: جتكم نيلة حِزَم ... والباقي حِزَم ... فضحتونا ... قال قطر قال!

خليكم مرطوطين ومتداريين عن الخلق ببلاويكم.

النكدي: وعايزنا نفضل مرطوطين ليه عمدة ... ما احنا أهلك واللي يرطنا يرطك ... واللي يحط بينا يحطك ... عايزين محطة القطر تنجدنا ... تاخد ولادنا للدنيا وتاخدنا.

العمدة: وتاخدكم ليه ... ما ربنا موجود وقادر؟

حناطة: يا خسارة! ... القطر كان برده حيطلَّعنا على وش الدنيا.

زعرب: ياللَّا ... نبقى نتمشي على القضبان.

زقرد: آهو ينوبنا م الحب جانب ... عفرة ودخان.

النكدي: يا عمدة لازم تعمل حاجة ... ودلوقتي قبل بكرة ... بكرة حيبقى الوقت فات ... العالم بيتكلم عن الذرة وحرب الفضاء واحنا بنحلم بمحطة قطر؟! دي نيلة إيه دي يا أولاد!

عباطة: ولو ما اتبنَتش المحطة الوقتي ... ولا عمرها حتتبني.

زقرد: يا عمدة ياما عملت إنجازات!

شرم: أفضالك ع البلد لا تُعدُّ ولا تُحصى ... تمِّمها.

العمدة: عملت ... ياما ... لكن المرَّة دي مش عايزين عشان اسم البلد المنيل ده ... هو موال حنقول ونلت فيه؟

النكدي: يا عمدة قصة الاسم دي تلكيكة ... وتمحيكة.

حناطة: الحكاية فيها إنَّ.

زقرد: إنت سِيد مين يقنعهم ... إنت فاهم لغوة الحكام.

(يشخص كأنه يتحدَّث لموظف ومحاولًا رشوته) ... إيه؟

والنبي ما انت قايل لأ ... هه ... داني ماشي لك بلاد ومسافات عشان أطالع بهاء بهويتك.

ومشِّي حالك تمشي المراكب ... ما انت عارف طول عمرها على كده!

العمدة: كلامك صح يا أبو شنف ... وانا ياما رطنت معاهم بلغاهم وكانوا بيدوا في الكلام ... وياخدوا.

لكن أول ما الورق يبقى ع الإمضا ... يروحوا ضاحكين ويقروا اسم البلد وينزلوا سلخ.

اللي يقولك مش بلدكو دي اللي طابور منها وقع في حفرة! ... واللي يقولك مش بلدكو دي اللي منها الواد اللي صابه الجفاف فأبوه عصره!

ولما حب يرضَّعه دق له الببرونة بمسمار في صدره!

مع إن عمر ما حد عرف إيه الباروما دي!

إنت تعرفها يا ولد؟

طب انت يا ولد؟ (يردُّون بلا ... وراء بعضهم.)

طب انت؟ ولَّا انت؟

يبقى أكيد في بلدنا حد غريب بقى! ... (يضحكون.)

زقرد: طب بس بتضربني ليه على سهوة ... والنبي عمري ماشفتها ... اتهمونا بقى.

النكدي: حلو قوي ... وانتو بقى فرحانين بنكتهم عليكم دي ... قولوا كمان ... يمكن نتقدم لقُدام لو فِشِّتكم عامت من الضحك زيهم ... هه ... والَّا تخفوا من البلهرسيا ... اضحكوا ... الجراب ياما فيه نكت يا غاوي ... مضادات حيوية ضد الهم والقهر ... أقول لك نكتة يا افندي؟ ... طب قول إنت؟ ... نكت؟ ... مافيش أحلى من الضحك ... يا راجل ... فكَّها هو حد بياخد حاجة معاه في القبر ... وحياتنا ومستقبل ولادنا ... يروح ... في ضحك الافندية ... والسلام.

عباطة: يا حلاوة ... كل النكت دي على بلدنا ... طب على كده احنا وبلدنا مشهورين قوي!

حناطة: إلهي ربنا يحظِّهم أكثر لحد مايفطسوا من الضحك!

زعرب: يا هَناك يا فلاح! ... بقيت نكتة على لسان أهل البندر والافندية!

شرم: تيجي يا عمدة تؤمر نلبس كلنا «زنز» ونبقى أفندية!

برم: آه ... عشان مايلاقوش فلاحين يضحكوا عليهم ... يموتوا من الغم.

العمدة: وبكده نِحل الموضوع.

برم: ننكد عليهم بدل ما ينكتوا علينا.

العمدة: فالح زي أمك!

شرم: طب تعالوا نطَلَّع عليهم نكت.

العمدة: قول يا ناصح ... طلَّع!

شرم: مرَّة كان فيه واحد أفندي جارر جاموسته وطالع أسانسيه المجمَّع.

(يضحكون ويبتكرون نكاتًا شبيهة ولكنها لا تُضحك أو غير موفَّقة.)

النكدي: يا ناس احنا مش ضد الضحك ... داحنا عاملين الليلة دي مخصوص عشان الناس دي تضحك مش علينا ... يضحَّكوا الافندية وينبسطوا بس مايضحكوش علينا ويهفوا المحطة ... ينكتوا زي ما هم عايزين ... بس المحطة تلزمنا ... وتلزم بلدنا ... لأنها لو ما اتبنَتش حتبقى النكتة سخيفة وسئيلة ... وضحكة مش مقبولة حقِّنا في المحطة مش حيضيع علشان همه بيضحكوا وينكتوا علينا ... لأ ...

دول همه بيضحكوا وينكتوا عشان يضيعوا حقنا فيها.

وده الضحك اللي مش قابلينه.

حناطة: هو ده الكلام اللي مايتعيبش.

العمدة: ما هو بس لو ماكنش الاسم المقرف ده!

النكدي: اسم إيه وبتاع إيه يا عمدة! ... إنت مصدَّق؟ ... دي حجَّة ... تفرق إيه كفر حماقة والَّا كفر ظرافة ... نغيَّر الاسم يا سيدي ... بلاش من حماقة يا سيدي ... صحيح ... إن الحماقة أعيت من يداويها!

العمدة: والنبي بلاش فلسفة ... هيَّ مصيبة تقيلة وخلاص ... سكة القطر حتنهب من أراضينا الشيء الفلاني ... ولا حينوبنا غير دخانه وزعيقه ونهيقه.

وانا بقى ماعدش ف إمكاني ... عملت اللي ما يُعمل وقالوا مافيش لبلدكم ولا موقف حمير حتى!

يقولوا لك ... معقول؟ ... محطة قطر تنكتب في أوراق الحكومة وفي الخرايط الرسمية كده ... حماقة!

طب ولو ترجمناها وسألوا السياحة ... في بلاد برة ... نقول لهم إيه؟ ... كفر الفوليش ... نيس!

قال ودي قباحة وشتيمة قال!

وحنبقى قلة قيمة للبر كله.

زقرد: وسكِت لهم يا عمدة؟

العمدة: أنا ما اسكتش أبدًا! اشتكيت لي فوق ... ورفعت الأمر لفوق اللي فوق ... مافيش فايدة ... مكتوب عليك يا كفر حماقة ... تموت بالحيا وتكفنا أساميناً.

(جرس تليفون ... ويجري الحديث بطريقة كاركاتورية.)

العمدة: ألون ... أيوه أنا حماقة ... طب يا سيدي ربنا يضحكك ... ويحظك أكتر وأكتر ... هه؟ ... لأ دي نكتة قديمة ... ربنا يسامحك؟ ... إيه؟ معقول؟ لأ؟ مش معقول؟ ... لأ ... معقول؟

(يضع السماعة ... وهو مذهول من الفرحة.)

العمدة: زغرطوا يا بنات ... راح يبنوا محطة!

الجموع: معقول؟ ... مش معقول؟

(العمدة يقود الزفَّة وأثناءها يتحول إلى حيص بيص يقود الجوقة.)

إيه هو اللي مش معقول
د المفتوح أصلًا مقفول
هيَّصوا يا بنات
وارقصوا يا اولاد
راح يبنوا محطة
وخلاص من بكره
ح يدقوا حديدها
وبلدنا حماقة
تزبَّط مواعيدها
وف كل خريطة
فلتحيا حماقة ... حتى بلافرنجي
وفوليش ياللي انت
تنكر يوم عيدها
نخرج للدنيا ... ونشوف النور
وعلى المدنية كَفْرنا حيفوت
بمكن ومداين ... توت توت
سينمات وجناين ... توت توت
كازونات الابندة ... توت توت
بوتيكات ولوكاندة ... توت توت
اصحى واتحرك ... يا هلفوت
ع الفقر ودقه ... بالنبوت
توت توت ...

(وتدور الزفة التي تُصبح زيطة صبيانية تعكس أحلامًا ساذجة وبدائية عن معنى المحطة الجديدة إلى المدينة.)

زقمانة

(زقمانة تمسك بخناق زوجها فينفرط العِقد وتسكن الزيطة.)

زقمان: حيص بيص يا منيل داير تتصرمح مع العيال؟!

حيص بيص: كل الشنبات دي وتقولي عيال!

زقمانة: عاملين دوشة على إيه؟

حيص بيص: ع المحطة.

زقمانة: شي الله يا محطة! ... شبعنا كلام.

حيص بيص: لأ يا زقمانة خلاص ... المرَّة دي دقُّوا الحديد ورسموا الخرايط ... توت توت ...

زقمانة: تعالي هنا ... النهاردة سوق البندر.

مش تلم صبيانك! ويالَّاعشان تسعى على رزقك.

حيص بيص: النهارده «فكنص» ... خلاص من هنا ورايح مش رايح ... فننا حيبقى لأهل كفرنا.

زقمانة: وناكل منين يا روح أمك ... حيلة أهل بلدكم إيه؟!

كلهم عارفين ملاعيبك ... زي ما انا عارفة عيبك!

حيص بيص: عيبي! ... عيبي جيبي، وده مش مهم في ميزان الرجالة! ما دام الفنان قلبه دافي وعينه مليانة ... يلزم بعد كده إيه للإنسان يا ولية يا ... مادية!

زقمانة: يلزم له ياكل ... حتى لو كان مشخصاتي زيك بتلاتة مليم ما دام له بيت يلزم له مونة لبيته ... والمونة مئونة ... والمئونة مش معونة ... ولا تحت البلاطة مدفونة!

حيص بيص (يفاجأ بكلامها فينزعج): بلاطة؟ ... بلاطة إيه؟!

(لنفسه) إيه اللي عرَّفها باللي تحت البلاطة؟ ... (لها) يكون في عِلمك مافيش أي حاجة تحت البلاطة!

زقمانة: ما لك؟ ... اتلخبطت كده ليه يا عكر؟ ... فيه إيه تحت البلاطة؟

حيص بيص: طبعًا مافيش حاجة ... هو انا حيلتي إيه عشان أشيله تحت البلاطة؟

زقمانة: الفلَس! طول عمرك محوش الفلَس ... وجاي دلوقتي تتصرمح وتزمَّر بلوشي وحتضيع السوق!

حيص بيص: يا ولية البلد في عيد وحنشخص لهم ونهيص لحد البابور مايشرَّف.

زقمانة: وحنقبض إيه؟ ... حيدُّولك قطر تعمله مرجيحة ... والَّا ح يعيِّنوك سمافور؟!

حيص بيص: يا ولية عيب تهزئيني قُدَّام الناس اللي جاية للفرجة مش للنكد!

زقمانة: يا فرحتي، قبضنا وصرفنا ... كله بيتفرج بلُّوشي.

حيص بيص: عيب ... إحنا فنانين ... مش بنشحت ... بلاش إحراج ليزعلوا!

زقمانة: اللي يزعل يتوكل ... واللي ينفَّعنا أهلًا بيه ... ولد يا زعرب ... يا زقرد ... يا شُرم ... يا بُرم ...

انزل يا واد منك له ... الافندي عازمهم (ببونات) ... عشان يتفرجوا أونطة ... لفوا عليهم يا اولاد ودفَّعوهم ماتفوتوش حد.

حيص بيص: عيب يا ولية ... الفن خدمة إنسانية ... زي الميه والهوا ... حنبيع الضحكة؟ ... حد بيبيع الشمس والَّا النسمة الحلوة؟ ... الفن مش للبيع!

زقمانة: فُوق يا فالح ... كله اتسعَّر واتباع ... اصحى ... يا روح امك ... لافرَّج عليك خلقه!

حيص بيص: آه ... دعوة أمي عليَّه ... شردتني وحكمتك فيَّه ... آاه ... يا خسارة!

زقمانة: اعمل لك هِمة يا واد منَّك له ... (لحيص) ما هو لو كنت فلحت لك في شغلة غير شغلة الهم والفقر دي ...

حيص بيص: يا جاهلة شغلتي أنبل شغلة ... دي مهنة اللي قلوبهم شايلة العالم في قلبها وشغلة اللي حُب الحياة ماليهم.

زقمانة (تزغرد ساخرة): واللي بطنهم فاضية وعقلهم أفضى يا فقري!

حيص بيص: الفقر مايعيبش الفنان.

زقمانة: الفقر عيب وعار وشنار على كل من كان ... فنَّان والَّا سجَّان ... شحططتني ويَّاك من يوم ما اتنيلت اتجوزتك ... الجوع طول عمره تالتنا ... دفنتني معاك بالحيا ...

واللي زيي في البندر من كتر العز بيغيَّروا أجوازهم زي الشَّرَابات، روح يا شيخ منك لله ... عريتني وجوعتني!

حيص بيص: قطط! ... زي القطط نسوان تاكل وتنكر ... داحنا يا ولية ياما كلنا ويما شربنا!

زقمانة: في بيوت الناس، صدقة، بواقي المعازيم ... في كل البيوت إلا بيتنا.

حيص بيص: ده من محبة عشاق فننا لنا.

زقمانة: ما يحمكش يا روح المرحوم! ... اسمع ... يا تركب صبيانك وع السوق، وإلَّا واللي نبَّى نبَّى النبي نبي لاسوقك غصب عنك!

حيص بيص (بطريقة مبالغة): تسوقيني يا زقمانة؟!

زقمانة (تبكي من شدة قهرتها): زقمانة؟ وبتقولها بملو الفم يا حيص بتدوس على عقدتي النفسية وبتنطقها قدَّام الناس!

حيص بيص: حنعيط؟ ... مش ده دورك طول عمرك؟!

زقمانة: تعايرني بدوري وباسمي ... يا لهوتي!

حيص بيص: الله! ... هو احنا يا نعيَّط يا نصوَّت ... إسمك وقسمتك كِده!

زقمانة: من حظِّي النكد، من أب خُلقه على قده لجوز رِزقه على قده!

حيص بيص: يا قلبي لا تحزن، حقَّك عليَّه ... (يحايلها.)

زقمانة (تتجبَّر): حقك! وجع حقك!

حيص بيص: تاني! ... طب اتفلقي ... زقمانة ... وطول عمرك زقمانة، ولا تقدري تشخَّصي غير زقمانة ... هه! (تبكي.)

(يعود الأولاد ويشخللون بالنقود بالقرب منها فتعود للتسلُّط.)

حيص بيص: تعالى هنا يا ولَد منك لُه ... لميتوا كام؟

زقمانة: مالكش دعوة باللي لُّوه.

حيص بيص: تعالى يا شرم.

شرم: أيوه يا معلمي.

حيص بيص: هات اللي معاك.

شرم: المعلِّمة تضربني.

زقمانة: تعالى هنا يا مقصوف الرقبة.

شرم: سمعًا وطاعة يا مولاتي.

حيص بيص: مولاتك في عينك ... أنا مولاك ومعلِّمك يا حمار ... هات يا زعرب.

زعرب: ماكانش انعزر ولا باع جزر!

زقمانة: ما لك بيهم؟ مش كنت بتقول مايلموش؟ ... مش كنت بتعارض؟

حيص بيص: لكن دول لُّوا خلاص.

زقمانة: لا يا شيخ! ... هات يا واد ... لِّيتوا كام؟

زقرد: هباء ... ياما رخصت يا مرسح!

زقمانة: قول له ... عشان يقول لي فنان ... يا أخي اتنيل، دي نقطة دي؟ ... ده لعب عيال ... قال فن قال!

حيص بيص: فني مايتقدرش بمال ...
غصبن عنك أو برضاك.

زقمانة: إنت وفنك لو بعناك ... مش ح تساوي نص ريال.

حيص بيص: لا ... لا ... يا لَضيعة الحياة! ... ما أنا للبيع لا ... (يؤدي بطريقةٍ يوسفية) إن فنِّي هو نبراس الوجود، وشمس عقل الدنيا في عصر الجهالة ... والطغاة ... لا ... ولاه ... والغباء المتناه ... وافهمي يا جاهلة ... إن هذا المبلغ التافه يعني أنك أتفه منُّه ... فاشبعي بيه ... ولكن لا تنسي أن تذهبي للسوق ... وأحضري لحمًا وأرزًا وبطاطس ... علَّنا نوقد في الرماد نارًا ... إذ نشمُّ روائح التقلية في البيت وهاتي سمنًا بدلًا من الزيت ... الذي حرق قلوبنا ... فلم يَعُد الحب يجمعنا زي زمان ... يمكن لَّا اللحم يشبَّعنا ... الحب يرجع يجمَّعنا ... يا زقمااانه.

(تجري وراءه غاضبة فيهب منها هو وصبيانه.)

زقمانة: طيِّب يا بوز الإخص، والنبي لاحرق قلبك ع اللي تحت البلاطة، فاكرني كروديا ... ها ... قال أنا زقمانة ... حقَّة يا جدعان! ... والنبي أنا مش الجازية والَّا عبلة والَّا مراة المأمور حتى ... والنبي لعرَّفك مقامك ... بعد ما اخد اللي تحت البلاطة وع السوق أمنجه نفسي ... وكفاية اللي شفته ... من فقرك ونكدك ... قال زقمانة! اللي زيي ف مصر اسمهم زوزو يا ندل ... إن ما وريتك مين زقمانة يا حيص بيص يا ابن الأتانة!

السوق

(تذوب زقمانة في السوق حيث يظهر بائعون وبائعات أشكالًا وألوانًا ... أصوات البيع والشراء تتداخل – مزايدات نداءات تختلط فيها السرقة بالخناق بالخطف – اتفاقات طعنات، هبش هنا وهناك ... البيع والشراء أقرب إلى المصارعة والقتال – طعنٌ في هدوء ... لعنات وسباب ... عض ونهش وأحضان نِفاق وضحكات ... مع تبادل البضائع يتمُّ تبادل القبلات والطعنات.)

الحق الحق ياللي ما تلحق اللي اتأخر مالهوش ملحق
اللي ف بُقَّك هفّها غيرك واللي لغيرك تصبح حقك.

اخلط لخبط
هرَّب درَّب
واقلب قبل ما تشرب مقلب
خوِّن دايمًا واوعى تآمن
دقُّه قبل ما هو يدُقَّك
بكِّش هوِّش
لملم كوِّش
خف الإيد تكبر وتريَّش
سحلب دحلب ... واقلب شقلب
سمم هبش
اقتل انهب ... اسلب نتش
ادبح واخنق ... حوِّش لوِّش

نافق خانق
زانق لاحق
واعمل وحش ماتعتقهوش
حلَّق حوش
وحش حتبقى ف وسط قروش
كرش وتبلع أعتى وحوش
واللي نشف تفُّه من بُقَّك.

(تندمج الأصوات وتندغم ... تشتبك المقاطع وهي تتحوَّل إلى تكتكاتٍ وكزِّ أسنان، وأنفاس تفوح، وآهات وغمغمات حناجر تستجير من خناجر ... صيحات مسعورة تعلو وتهبط وتشكِّل إطارًا للحركة ... حيث يدخل نص نيص متنكِّرًا في ثياب أفندي فهلوي نصَّاب ... ثياب ملفتة حديثة وقناع ... نلاحظ آخرين يرتدُون مثله ومعهم أقنعة شبيهة.)

نص نيص: خُش وغامر، الحق نفسَك، واوعى ترنَّخ والَّا تكش ... لما تكون السوق غشاشة، فنَّك إنك فيها تغش.

حجَّر قلبك، ذنبك جنبك، هذا وإلا رجعت تنش، السوق حامي والدنيا والعة ... وانا إيه رماني ع المر غير الامر منه ... آه يا زقمانة يا بنت الأتانة ... تجرجرينا وراكي هنا ليه؟ تحويشة العمر حتضيع يا جدعان ... ده عالم اللي ما يحرقش فيه حينحرق ... واللي مش ح يبيع بينباع ... واحنا ما حيلتنا غير كلام ... وكام جنيه تحت البلاطة هفِّتهم بنت الكلب ... لكن لأ ... مش ممكن يروحوا ... اتحرَّك يا نص نيص ... ده مصير شعب بين ايديك ... شعب الفن المنقرض الفنان بينياديك ... اتفهلو واتفنَّط ... طول عمرك بتبيع كلام للناس ... وكتر البكا يعلم النوح ... إنت النور المتنور ... خش يا واد بقلب كلب ... هع ... هاااه!

(يلاحِظ أن بعض ذوي الأقنعة يُحيِّونه فيتعجب ثم يسوق فيها ... ويستغل خوف البعض منه.)

نص نيص: خد هنا يا ولد.
رجل: ماعملتش حاجة يا بيه، دانا جاي أصلَّح ناف بهيمة جوز خالتي!

نص نيص: تصلَّحه وتروَّح جري ... لاطلع روحك!
الرجل: حاضر يا بيه ... (يجري.)

(يمر به أحد الأقنعة.)

نص نيص: أهلًا! الله! ده بيضرب تعظيم! المخبرين زي الرُّز! ... حيكشفوك وتروح في داهية! ... اثبت ... لأ ... هاع ... زاحم لاحم ... إن مادُستش حتنداس ... خُد تعالى هنا ... (المخبر يأتي مهرولًا) إنت ...؟
المخبر: تمام يا فندم.
نص نيص: مع مين؟
المخبر: هنا يا فندم مع البيه.
نص نيص: طب فتَّح عينك ... وابقى ادِّي البيه تمام.
المخبر: تمام يا فندم.
نص نيص: انصراف ... (لنفسه) شُفت ... دانت ملعب ... إحنا بتوع اللعب! ده اترعب منِّي ... نخش في الموضوع ...

(تدخل زقمانة ... تبحث هنا وهناك أو هي موجودة من فترة في التشكيل مرتعبة، بعضهم ينادي عليها، ونلاحظ رفضها واحتجاجها على الاسم يدور حولها ... كمن يُطارد صيدًا ... ويفتعل الاصطدام بها.)

نص نيص: لا مؤاخذة يا ست الحلوين.
زقمانة: معلهش يا اخويا ... حصل خير.
نص نيص: الخبر بين ايديك.
زقمانة: طب ابعد إيدك كده.

(ينادي عليها بعض المعارف وهي تتضايق.)

نص نيص: قطع لسانهم من لغلوغه ... ناس معندهمش نظر!
زقمانة: قصدك إيه؟
نص نيص: كل خير ... قصدي الجهلة بتوع كفر النيلة دول ... حد ينادي لِست الحلوين بالاسم ده؟! ... مافيش نظر، جتهم البلا!

زقمانة: شفت يا افندي ... بختنا الحزين ... من أب عقله على قده؟
نص نيص: لجوز رزقه على قده.
زقمانة: إيش عرَّفك؟
نص نيص: دي عايزة معرفة! ... حلوة زيك ... أكيد ... مظلومة ... ومجوزينها واحد مايستاهلش التراب اللي تمشي عليه ... وتلاقيه بينادي لك زيهم كده.
زقمانة: أي والنبي ... تصدق!
نص نيص: مصدَّق طبعًا، ماهي الدنيا مشقلب حالها ... تدي اللي مايستحقش واللي يستحق ...
زقمانة: تدِّيه على دماغه.
نص نيص: عليك نور.
زقمانة: لسانك زي العسل.
نص نيص: دانتي كمان بتفهمي!
زقمانة: ربنا يخليك.
نص نيص: وحلوة.
زقمانة: ماتقولش ... حنروح فين من بنات البندر!
نص نيص: أعوذ بالله ... إيش جاب لجاب!
زقمانة: إنت عايز إيه يا أمير انت؟
نص نيص: أنا ... لو عندي حصان أبيض كنت أخطفك ولا الشاطر حسن ... عايز أسعدك.
زقمانة: لأ ... يا اخويا ... ابعد عني.
نص نيص: مش قصدي ... ممكن حظك يتغير وتنولي السعادة.
زقمانة: البخت باين ... مايل والحمد لله!

(ينادون عليها باسمها فتتضايق.)

نص نيص: ماتردش عليهم وش الفقر دول.
زقمانة: ولا ح اعبرهم.
نص نيص: العقدة هنا ... ولو واحدة زيك عندها عقدة سحر ... وتفضل تحل فيها على مهلها مش حتنحل أبدًا ... إنما لازم ساعة الضرورة تقطعها وتفك أَسْر نفسها.
زقمانة: كلامك حلو ... بس مش فاهمة ... يا افندي!

نص نيص: معايا مفتاح سعدك وحظك وعرفت عقدتك ... وف إيدي حلها.
زقمانة: إنت بتعمل أعمال يا اخويا ... (تتف في عبِّها) بسم الله الرحمن الرحيم!
نص نيص: زي كده ... لكن بالعلم ... الأعمال والرمل والودع والحاجات دي ... زي الحمارة قصدي زي ركوب الحمارة ... لكن اللي عندي ... زي القطر ... الطيارة ... إحنا العلم والتكنولوجيا ... وعشان كده فهمت حالتك فورًا وعلاجك عندي.
زقمانة: يا صلاة النبي ... وحالتي إيه؟ ... شخَّصتها؟
نص نيص: دانا المشخصاتي نفسه (يغنِّي).

أول ماشفتك ... حسيت بحوستك
ومن عيونك ... عرفت ليه.

زقمانة: يُجبر بخاطرك ... وشفت إيه؟
نص نيص: شخَّصت حالتك، وعرفت ماذا السبب في خيبتك.
زقمانة: يخليهم لك ... وخيبتي ليه؟
نص نيص: في كل شيء له شيء يُشبه له ... بالتكنولوجيا. ورور يالوبيا.
إحنا اللي كله ... نقدر نحلِّه ...
مهما تعقَّد ... فنحن ليه!
زقمانة: يا رب زِيده وإديه كمان!
نص نيص: لذاك يلزم، لزوم ما يلزم ... القرش قادر يشفي الجنان.
زقمانة: طب بس ... بس ...
نص نيص: بسبستي ليه؛ حظك رماكي، ما بين إيديه.
وانا لما شفتك، قلنا ح نخدم ... واجب عليه.
زقمانة: كله بثوابه ... ربك كريم!
نص نيص: لأ يا حبيبتي ... المونة تلزم للشغل لازم ... والمونة يا اختي ماهيَّش مئونة ... ولا معونة ... وانتي اللي أدرى، يلزم له دمغة ... ورسوم لوازم ... ومواد خام ... أو يفتح الله ... ربك يعينك يا نور عينيَّ.
ومع السلامة ... باي باي سلام!
زقمانة: بس أنا كل اللي معايا تلاتة جنيه لميناهم من الخلق دي قرش قرش!
نص نيص: شحاتة ... حرام!
زقمانة: عرقنا ... وتلاتين جنيه جوزي كان مخبيهم.

نص نيص: شحاتة وسرقة ... لا ... لا ... حرام!

زقمانة: ومش حرام تسيبني في الغُلب اللي أنا فيه؟ دانا عشتي هيَّ اللي حرام! والنبي ربنا يسعدك خلَّصني ... ودلِّني على بختي ... خُدهم حلال عليك.

نص نيص: يا ستي مايكفُّوش.

زقمانة: يا بختِك المنيل يا زقمانة ... جت الحزينة تفرح مالقيتلهاش مطرح ... يا زقمانة ... يا منيلة وغلبانة!

نص نيص: قلت لكِ ماتبوظيش الشغل وتنطقي الاسم ده على لسانك.

زقمانة: أنا عارفة بختي ... أنا حظِّي في مناخيري ... وانا اللي قلت لقيت لعيشتي الهباب دوا ... أتابيني باتشعلق بحبال الهواء ... يا زق ...

نص نيص: لأ ... ماتنطقيش!

زقمانة: خُدهم يسعدك!

نص نيص: طيب ... بس ماتنطقيش الاسم الملعون ده ...

ولا تردِّي على اللي يندهلك بيه ... وخدي ... آدي بذرة عقل العفريت عكروش ... ومصارين نملة الملك سليمان ... وريش بيضة تعلب منقرش ... كل ده وتولعي عليهم، وماترديش على حد ... وتقفلي على نفسك لحد يوم الحد ... اسمك من دلوقتي ست البنات ... تقوليه «١٠» مرات كل دقيقة ... تلاقيك ست البنات ... ربنا يعمل اللي فيه الخير.

زقمانة (تزغرد): يا رب ...

نص نيص: هش ... ولا كلمة ... داري على شمعتك تقيد ... أوعي حد يسمع اللي دار بينا ... ياللَّا ... وماتبصيش وراك.

(تمضي كالمسحورة المنوَّمة ... وتخرج ... بينما هو يضحك ويعدُّ الفلوس يمر عليه مُخبر يحيِّيه فيجيبه ويُخفي النقود ... المخبر يبتسم في مكرٍ ويتحسَّس جيبه هو الآخر ولكن متحسرًا ... ثم يُفاجئه حيص بيص فينزعج حين يُحيِّيه.)

حيص بيص: تمام يا فندم.

نص نيص: مين ... حيص بيص؟!

حيص بيص: هه ... عملت إيه؟

نص نيص: خلاص ... جبتهم منها ... وحتحبس نفسها لحد يوم الحد ... بتسبَّح على إيدها ... ست البنات ست البنات ... ست البنات ... لحد ما يُغمى عليها.

حيص بيص: دانا يالَّه روحي طلعت لما لقيت البلاطة مش مطرحها ... وانا اللي شايلها للزنقة قلت لما يبدأ الشغل في المحطة ... نعمل قهوة محترمة ... نشخَّص فيها ... بدل اللف في الموالد والاسواق وهد الحيل ... يجولنا الناس ونستقر بقى يا نص نيص ... ويمكن ده يخلِّي زقمانة، قصدي ست البنات، ترضى علينا.

نص نيص: أفكارك طول عمرها جهنمية ... موافق ... خد آدي الفلوس وآدي الجرسون كمان.

(ويبدآن في تجهيز القهوة ويتخلَّق منظر القهوة خلال الأغنية القادمة، ويتخذ المكان صورته وضجَّته، ويرتدي نص نيص ملابسَ الجرسون.)

حيص بيص:

وآدي الجمهور ...
...
جهِّز يالَّلا معايا القهوة
ضربة حظ وجت على سهوة
قِيم النصبة
وقيد النار
لجل اللحمة تخش الدار ...

* * *

شهِّل ... كمِّل شِد الحيل
إن كان بخت الفن قليل
ربك ع الفنان ستَّار
بكره زباينك يبقوا كُتار ...

* * *

رُش الميه
رُص كراسي
فتَّح مخك خليك واسي
داحنا غلابة في زمن قاسي
إزعق زي اولاد الكار.

نص نيص:

أيوه أنا جاي
ينسون شاي
في الخمسينة قوام مطلوب
ع الريحة وزيادة وصيَّة
واتوصَّى بالمونة شوية
والدخان مصري يا حبوب
واجهز بالمزبوط في البوسطتة
شهِّل يا اسطى وزيد النار.

الحشَّاش

(ومع تحوُّل القهوة إلى قهوة ... يرتادها عمَّال بناء ورجال لزوم الازدحام الإنساني، وآخرون لهم سِحَن وملابس متشابهة ... في الخلفية ... يدخل حشنيش «النكدي» حاملًا الجوزةَ في خطواتٍ خاصة به يتأمَّلهم ... ويقدِّم نفسه.)

حشنيش: ها ... أخيرًا ... قهوة ف كفر حماقة ... قطر وقهوة بيعملولنا مركز بين الجهات الاربعة ... أخيرًا دماغ كفر حماقة المخروم حيستقر ... قهوة شعبية على محطة رسمية ... إيه السعد ده! ... حنرتاح ... حترتاح يا حشنيش ... على فكرة ماكانش ده اسمي ... أنا اسمي كان حسنين ... ده قبل ما انسخط واتشخَّص في السامر الهباب ده ... كنت ولد ... بطل الجري الاجتماعي في الكفر ده ... يا حسنين ... (اللبن بيتوزَّع في المستشفى، الحق يا حسنين) ويجري حسنين كله يبقى تمام والعدل ياخد مجراه ... يزعلوا منِّي بتوع المستشفى لكن الستات الأرامل ... يدعولي (يخليك يا ابن زهيرة ... يجبر بخاطرك ... يا ابن زهيرة ... يخلوهلك يا زهيرة، الحق يا حسنين ... الواد بتاع الجمعية بيمضِّي الخلق على بياض تاني) واجري ... أعرَّفه حدوده ويزعل ويزعلوا بتوع الجمعية اللي هافِّينها ... لكن أهل البلد يدعولي (آهي الرجالة كده يابلاش ... يا سلام لو عشرة زيه ف بلدنا يا حسنين! الحق يا حسنين ... المدرسة الإلزامي تبيع الكراريس بتاع الحكومة للتلامذة) واجري ... يتغاظ اللي يتغاظ لكن التلامذة يلفوا في البلد يهتفولي ... وهكذا دواليك ... عاديك ... (حشنيش ... الحق يا حشنيش) إيه ده؟ مين ده؟ آه ... دا الواد الاهبل ابن زنوبة ... عايز إيه؟

(العسكري بتاع النُّقطة مجرجر زهيرة ع النقطة) وجريت ... كانت الخلق ياما ... وأمِّي في التراب ... قال عشان التسعيرة ... والبلد كلها عارفة غرضه الحقيقي ... كان نفسه منها من أول ما وصل البلد مش التسعيرة ... كان عينه من أمي ... أمي اللي ربَّتنا ... بعرقها وبشرفها. قلت للناس أمي في التراب بتتمرمط يا خلق هووه ... دي زهيرة أم ابن زهيرة ... حسنين ... بتاع الحق يا حسنين ... يا ولاد يا خلق هووه ... ولا حد عبَّرني ... مادريتش بنفسي ... كانت البدلة ... والزراير نساير نساير ... وخليت بنطلونه يطل من ياقة الجاكتة ... واللي حصل حصل ... مرمطت بيه الأرض ... وعاديكم ع اللي جرى ... آه ... لا مايتحكيش ... لازم تجرَّب ... لازم تدخل التجربة ... إيد الحكومة تقيلة قوي ... ماتتاقلش وقرايبها كتير يا جدع! ... لأ ... مش ح اقول ع اللي حصل ... مسيركو تجرَّبوا ... لأ ... بس كان بمزاجي ... أنا أصلي صاحب مزاج ... أهم حاجة التخصص ... اللي متخصص هنا ... واللي ... متخصص في ده ... وايش ... هنا وهناك ... وكله فاهم اللي بيعمله ... لأ ... لأ ... ماينحكيش ... اللي ذلني وكسر نفسي ... إن الخوف كان ملجم الخلق ... زهيرة خلَّفت ... لكن البلد ماخلَّفتش! لكن ماكرهتهمش ... بعد اللي شفته عذرتهم ... وصعبتْ عليَّه نفسي ... لكن برده صعبت على أولاد الحلال ... (روَّق يا حشنيش.)

خلاص بقيت كده بعد وضع النقط على الحروف (روَّق يا راجل واقعد، شِد يا راجل شِد، حد واخد منها حاجة، تعالى بطَّل مناهدة وسيب كلابها على ديابها، ملعون أبوها ومن جابها ... شِد) وشَديت (اكتِم!) وكتمت ... وأخيرًا ... حنستقر ... حتى م الجري ع الغرز ... والنومة من غير غطا ... قهوة المحطة دي مركز الكون ... (بلا قلة قيمة ومرمطة، الدنيا دي ماتستاهلش غير جزمة وطا!) (أجدع حاجة الفرجة!) أنا كمان ح البد هنا واتفرَّج ... النار قريبة ... والشر بره وبعيد! وشِد واكتم!

التحقيق

(على المقهى يتجمَّع عمال البناء معهم عواد حركة الطلبات والحديث والضحكات ... والدندنة ... الرجال ذوو الملابس المتشابهة يدورون بينهم ... منهم ذلك الذي كان يحيِّي نص نيص في المقهى ... يقترب منه يتفرَّس فيه ... يختبره بتحيته ... يهمس لرئيسه ... ولكن دندنة العود وغناء المغنِّي يطغيان مؤقتًا على همساتهم.)

المغني:

كل الجدران دي، هيلا بيلا
شِيلْتها على كتفي، بالشيلة
وبلقمة بالملح قليلة
ما دام لك ضهر ... تشد الحيل
هوبة وشيل ... عبِّي وشيل
ياما لسه ولسه يا بكر تشيل
اوعى تفكَّر راح تتعكَّر ... خلي الليلة تفوت عِنَّابي
كركر حبة وقوم ترتاح ... مشوار بكرة أكيد كعَّابي
وانت يهمك ... يحرق سيرك ... دانت لا بد يا شاب مسيرك
تلقى الحلوة اللي ح تلمك ... وح تعمل لك ... لقمة ترُمَّك
بقى معقول، تفضل على طول
تلفح ياما حمول وحمول

وتعلِّي عمارات وبيوت ... وتيجي تموت ... من غير ماتطول شبر ف شبر في شبر يلمَّك
حقة وهقة ... وألفين لأة ... دا يبقى خزوق جامد وأصيل
هوبة وشيل ... لله تدبيرها ... ولا ح تعيش وحتاخد غيرها واكتر من ده تزيح يا جميل
هوبة وشيل ... عبِّي وشيل، ياما لسه ولسه يا سمرة تشيل!

(تتزايد حركة المخبرين ويثقل وجودهم، يُحاصرون الجرسون «نص نيص» مع نهاية الأغنية يحصرونه ... ممزقين بالقبض عليه ما كان قد توحَّد بين الحاضرين ... وتنغيم الحوار التالي مقصود لخلق درجة من عدم الواقعية، سواء في الأداء أو في التنفيذ.)

مخبر: هو بنفسه بتاع السوق.
مخبر: بتستخبى! إحنا كاشفينك.
حيص بيص: يا عم سيبه ده واد غلبان، مشخَّصاتي بنص لسان.
مخبر: بيتهيألك، ده تِعْبان، وابعد انت، إحنا عارفينك.

(يتدرَّج الأمر من استجواب نص نيص إلى استجواب الجميع.)

نص نيص: فيه إيه يابا عملت إيه؟
مخبر: مش مصروف لك إنك تسأل، إحنا بنسأل وانت تجاوب.
مخبر: اسمك إيه؟ م الحرافيش الغجر، وعامل لي بيه!
مخبر: طرِّي مخك ... هذا وإلا ده يرُخك ... (مشيرًا للكرباج.)
كنت في السوق تعمل إيه؟
مخبر: كنت ويا ...؟ والَّا ويا ...؟
طب وليه مش ويا ... ليه؟
مخبر: وانت من ده والَّا من ده؟ ... والَّا من ده؟ قلت إيه؟
مخبر: كنت فين؟ ... جاي منين؟
مخبر: ليه يمينك مش شمال؟ ... ليه شمالك مش يمين؟
مخبر: عيب عليك وسمعت إيه؟ ... وسمعت ليه؟

مخبر: مين معاك ... كنتوا كام ... روحتوا فين؟
مخبر: كنتوا تلاتة والَّا اتنين؟
مخبر: شِد ودانه ... فتِّش جيبه ... شوف خلجاته.
حيص بيص: ليه كلات ده؟ ... يا ناس ده حرام!
مخبر: دخلك إيه؟ ... محموق قوي علشانه ... وليه؟
رجل: بس يا عم الرحمة جميلة!
حيص بيص: ممكن أعرف تهمته إيه؟
مخبر: أيوه يا بيه ... عايز تهمة ... هات له وحضَّر له المطلوب!

(أحدهم يُحضِر شيئًا ما غريبًا يخرج منه تُهم في أشكال أغرب.)

مخبر:

حطَّة يا بطَّة ... يا دقن القطَّة
حالي بالي ... يا دقن الوالي
حادي بادي ... شِد قصادي
هوبة يا لوبة ... يا سهلة يا صعبة
اقرا وقول له من الناحية دي
والَّا تحبها م الناحية دي
آدي دليلنا ... وإذا مش عاجبك
يبقى عليك يا عزيزي إثباته ... وساعتها ذنبك على جنبك!

مخبر: اثبت عندك من بصماته ... إنه كأنه بإنه لأنه ... كان سايق في السوق حركاته.
حيص بيص: بقى ده كلام! طب وانتم مين؟
عين وصابتنا ... إيه تهمتنا؟
مخبر: أول يوم نفتح قهوتنا ... اللي من الشارع لمتنا.
رجل: حسدوا الأقرع على شعر مراته!
مخبز: إحنا اللي كاشفين حركاته.
مخبر: فتِّشوه!
مخبر: فتَّشناه.

حيص بيص: وإيه لقيتوه ... دي الريح ساكنة تحت بطاطه!
مخبر: أمر طبيعي مانلقاش حاجة.
حيص بيص: يبقى الحق بانت علاماته.
ده فنان ومافيش اخواته.
مخبر: إحنا مش ممكن راح نغلط، هذا الصنف احنا كاشفينه مايشيلش الممنوع ويَّاه.
مخبر: وأكيد حيدلنا على ذنبه ... أول ما حنحلق شنباته.

(يتكاثرون عليه ويوسعونه ضربًا ورفسًا في طقس كلاسيكي.)

حيص بيص: إيه يا اخوانا ده حتى حرام!
ودي معقول ... حتى التهمة ليها أصول!
مخبر: إنت بقى مش واثق فينا؟
مخبر: فين شهاداتك ... البلدية ... والصحية ... والسياحية؟
مخبر: فين أسعار حق المشاريب؟
مخبر: اعمل له محضر أشغال.
حيص بيص: يا اخوانا الحلم جميل ... ده واد غلبان شغال عندي رزقه ورزقي على الله.
مخبر: دانت شريكه؟!
حيص بيص: طبعًا ... أنا صاحب القهوة ... بس ده كله يا ناس تمثيل ... تشخيص فنِّي ... دانا بس اللي عملت معلم ... قهوة تلم الفرقة بتاعتي ... نقدِّم فن لاهل الكفر ناوي ع الخير وغرضنا شريف.
مخبر: واللي بيعمل خير يتنكَّر ... ويشلفط وشه كده ليه؟
حيص بيص: حوشوا يا ناس ده تمثيل ... وأصول فنية.
قهوة ديكور ... حوشوا يا ناس!
مخبر: بتحرَّضهم، عايز الكَفر يقوموا علينا؟!
حيص بيص: حيلك ... دانا حيص بيص ... إنت حتقلب جد معانا؟
نص نيص: وانا نص نيص.
مخبر: لا يا شيخ! بقى معقول؟ ... آه يا خراشي!

مخبر: إحنا حقيقي ... يا حيص آسفين!
نص نيص: بعد ما خزَّقتوا لي عينيه ... أصرفها منين أسفين وبكام!
مخبر: غلطة ... بقى ... وخلاص ... مردودة.
وتعيش بس وتاكل غيرها.
مخبر: ياالَّلا بعودة.
مخبر: بس الحق إنت الغلطان ... تسكت ليه؟!
مخبر: ليه ما اتكلمتش؟
نص نيص: واللي نطق سيبتوه يتكلم؟
مخبر: قلنا خلاص آسفين يا معلم!
مخبر: وإن كان عاجبك ... ياالَّلا ... يا دفعة ... بينا قوام.
حيص بيص: وده معقول ... هو دخول الحمَّام برده زي خروجه!
داحنا الليله سعداء جدًّا، بيكم طبعًا وبأفعالكم.
لازم نعمل ليكو هليلة ... حفلة تشخيص، لكن إيه؟
حفلة جميلة حتمتعكم وحتنفعكم ... قال عايزين يسيبونا يا نص ... ويمشوا!
نص نيص: يمشوا ... لأ وحياة ضهري المسلوخ ... ودماغي المفتوح ... لأ أبدًا ... الشاي ع النار!
حيص بيص: مش ممكن ... قال يمشوا قال ... دي الحفلة حتبقى ... ما حصلتش ... حفلة عشان نص نيص ... اتبرَّأ وعشان كفر حماقة اتجرَّأ ... وحتبقى له محطة قطر.
نزِّل يا نص الطلبات ... للبهوات.
وكله على حساب الصندوق ... دخان وشايات ... وضروري ينسون بالذات ... وسمَع هُس ... رش الميه وعلَّق زينة عشان اخوانا ... دي ليلتنا مندورة عشانهم ... (شوبش نقطة ومزيكة.)
الرجالة ...
بتوع الأمن ... الزراعي والقومي ... والثقافي ...
المخبرين الألاجة ...
فخر الدولة ... الجدعان ... اللي ايديهم بتخر إنسانية ...
ولسانهم بيشُر عسل.
واللي شرفوك بالضرب محبة ... يا لبيب ...

إذ إن ضرب الحبيب زي أكل الزبيب ... وضرب الزبيب زي أكل الحبيب ...
يالَّلا وانا وانت ...
عشان الحتة الأصلي ... حكاية زمان.

(يرتدُون الملابس ويجهِّزون قطع الديكور أو ما يوحي بالانتقال إلى المشهد التالي.)

الحكاية الجميلة اللي أحلى من ألف ليلة وليلة ... وأجدع من شمشون ودليلة ... فيها خبرة وعبرة.

فاسمع ياللي مالكش ودان ... وانطق ياللي مالكش لسان ... داحنا في رحاب رجال الأمن والأمان ... اللي استبدلوا القلم بالخزران ... عشان يعلموا الإنسانية للإنسان ... هُس سمَع هُس ...

داحنا الآن في قصر السلطان!

التشخيصة ...

السلطان: دبَّرني يا وزير ... يا وزير ... الله فين الوزير؟ ... طبعًا لازم بِكُت ... ماحدش عايز يتحمَّل المسئولية ... تعالى ...

بناء: أنا؟

السلطان: أيوه انت ... أمَّال خيالك؟ ... ما لك؟

البناء: وانا ما لي ... ماعملتش حاجة!

السلطان: خايف ليه؟ ... تعالى هنا ... دانا ح اعملك وزير!

البناء: خبر اسود ... أنا ماعرفش أقول إيه بالوزير!

دوَّر على حد يكون بيفهم، أنا ما انفعش!

السلطان: أنا قلت تنفع ... كلام السلاطين لا يكب ... إنت الوزير وبطَّل مقاوحة ... أنا اختارتك لدور سهل ... أخف من دور العيا، مطلوب توافقني وترافقني، هيا ورُد قوام لما أقول ... (دبَّرني يا وزير.)

الوزير: التدابير لله يا سلطان الزمان.

السلطان: شفت وكأنك مولود ع الكرسي ... عليك تدبرني، سايبني وحدي ألوص والحالة بقت زفت ... والمدينة منيلة بستين نيلة ... اعمل حاجة.

الوزير: أنا لسه متعيِّن حالًا ... حتحط كل البلاوي دي على دماغي ليه؟

السلطان: حتقضوا عليَّه وعلى شبابي ... هلكتوني ف شغل المملكة وغرقتوني ف شغل البيت ... دي عيشة زفت ... جتكم نيلة ف بلاويكم إن كانت برة القصر والَّا جواه!

(تدخل الملكة وهي شرسة شلق؛ وهي نفسها زقمانة طبعًا.)

الملكة: عيب على شيبتك ... عَمَّال تعدِّد زي الست اللي ضاع خلخالها في المُولد ... حتفضحنا قدام الدول!

السلطان: يا فتاح يا عليم، ع الصبح ... إنتي سيبتي فَرْشتك ليه يا ست البنات؟ لم تتعبين نفسك وانت مريضة وقد تموتين؟ ... قول يا رب!

الملكة: نفسك تقتلني عشان تورث ... إيه شغل البيت اللي عملته ... شَرَاباتك زي ما هي م الجمعة اللي فاتت تحت العرش ... لما كمكمت ... فكَّرت تنقعها والَّا ترميها ... يا راجل دا الكلب اتسمم عشان كَل واحد منها؛ أُف!

السلطان: طبعًا لكي حق تقولي أكتر من كده ... ما دام سلمتك دقني انتِ وابوكي.

الملكة: بفلوسي.

السلطان: كده بتعايريني بالملاطيش اللي سالفهم من ابوكي بالفايظ ... ارحمي أعصابي ... أنا الآن منعقد مع وزيري تاريخيًّا لبحث أمور خطيرة.

الملكة: أمور خطيرة ... من غير شورتي ... ماينفعش ... بلَّغ بابا يتصرف!

السلطان: يا ستي اهمدي ... ده شيء مايخصش باباكي ... دي أمور داخلية ... وانا مش ح اسمح له يتدخل في شئوني ... هُس ... اخرسي!

الملكة: بتشخط ... على إيه؟ ... م الصبح أَلِم هدومي واروح على بابا ... واخليه يسحب كل جيوشه اللي بتحميك وفلوسه اللي صارفها عليك ... ونبقى نشوف حيديرها معاك إزاي الدُّهل اللي انت جايبه م الشارع ده!

الوزير: عيب يا جلالة الملكة ... عيب تردحي في قاعة العرش، التاريخ بيسجل ... يقول علينا إيه! ... وعليكي بالذات يا مدام!

الملكة: والله اتنجَّرنا وعُدنا بنرطن أهه ... إيه يا روح امك ... لسه يا دوب متعيِّن وحتتدخل في الأمور العليا ... لأ، فُوق لاعرفك مقامك واخلي وراك قدامك!

السلطان: إنتي ملكش صالح بيه ... سيبيه ... ده وزير من قلب الشعب ... وناصح ... وبيثبت إن الحكم ده مش صنعة ... ولا كيميا ... أهه ... بيزغر وينطر ويحكم ... هايل إنت ولد تمام ... مع إنك هزأة ومن الدهماء!

الوزير: لأ ... يا سي «حيص بيص»، أنا مش هزأة ولا يمكن أتهزأ باسم وزارتك ... خد آدي عبايتك مش لاعب.

السلطان: لأ ... ماتزعلش يا ولد ... أنا باهزر ... آهو انت كده يا شعبي الحبيب، مابتعرفش امتى بنهزر وامتى مش بنهزر.

الملكة: سيبه يغور ... هو عايز يبقى وزير بلُّوشي!

الوزير: يا ست الكل أنا مش عايز ... أنا قبلت أشخَّص معاكم، خدمة عامة يمكن نلاقي حل للمشاكل اللي بتقولوا عليها ... خدمة لا أكثر ولا أقل ... يا نشتغل صح ... يا امشي ... لكن أتهزأ ... لأ، يفتح الله!

السلطان: هايل ... شفتي ... صدقتي ... اتنوَّرت يا ابني لما استوزرت.

بقيت بتفهم كل حاجة ... مشاكلنا طقت في نافوخك وبقيت مسئول! ومفتح مع إنك لسه جديد!

الملكة: اتفتحَت في نافوخك طاقة منك له ... ده جديد ده ... ماهو شبه اللي قبله وقبل اللي قبله ... ويمكن أظرط ... (الوزير يحتج.)

السلطان: يا ستي أرجوكي ... اذهبي ودعينا الآن كي نُدبر أمور الحكم الشائكة واسكتي خالص ... أيتها المماحكة!

الملكة: ماتشخطش، أنا ماينشخطش فيَّه!

السلطان: طب اسكتي ... الأحوال عمَّالة تتدهور، وعايزين حل وإلَّا نضيع ... واللي زيه فاهم أحوال الرعية ... ويقدَر يساعدنا.

الملكة: هو إيه اللي بيتدهور؟ ما انت آكل شارب ونفسك مفتوحة ع الآخر! ... ماشفتكش مرة زُورت في أكل لما افتكرت الجعانين ... ولا اليه وقفت في زورك عشان الحالة اتنيلت! ... قال بيتدهور!

السلطان: أنا مش قصدي أنا ... بيت المال قرب يشطَّب ... وترع الري مسدودة والأراضي الزراعية باظت وبارت ... والناس هجَّت، مابقاش فيه أخلاق ... إمبارح اتنكَّرت أشوف أحوال الرعية ... سمعت شتيمة عيب قوي بودني دي ... وفيَّه أنا ... وواحد عمل نفسه مش عارفني ... وقعد يديني! فيه حاجة غلط ... الناس حتاكل بعض ... وحتاكلنا!

الوزير: العسكر ... كمان ظلمهم زاد ... الضرب ع الفاضي والمليان وخصوصًا إن كنت غلبان ... والنهب علنًا صَبَح شرع وقانون ... والفقر كأنه أزلي ... والجوع ... يا مولاي آه ... ناس بتبات من غير عشا ليالي طويلة ... وفيه اللي بيتعشى لوحده بأكل قبيلة!

الملكة: الله ... الله! ... سامع! آدي وزير نقاوة ايديك يا ملك الغبرا ... ده معاهم والَّا معانا؟!

السلطان: أيوه صحيح! دانت كأنك كنت حتاخدني قلمين ... إنت بتدافع عنهم كده ليه؟

أنا جايبك تدبَّرني مش تقطَّمني!

الملكة: نقاوة إيدك.
الوزير: أبدًا يا مولاي، أنا قصدي ... كان في نفسي إن أقول لك ...

(يغنِّي.)

اللصوص في كل حتة
والهدوم كَلتْها عتة
والولاد مش لاقية حِتة
تريح الجتة عليها ... أو سرير
كترت الرِّجل الغريبة
كل شيء أصبح مصيبة
وناس بتلهط لما تشبع في الفطير.

السلطان:

أنا جايبك أشتكي لك
جاي انت تشتكي لي؟!

الملكة:

ده باين مدسوس دسيسة
شوف ملامحه إزاي خسيسة ... يا مجير!

الوزير:

يا ملك الأمر باين
المدينة حيصة بيصة.

السلطان: والعمل يا ابن البُريصة؟
الوزير: الحقيقة الوضع أصبح شيء خطير!
الملكة:

غيَّروا اسم المدينة
واقتلوا الناس الحزينة

والحُمار سمُّوه سفينة
والدبَلان اصبغوه ... يبقى حرير.

* * *

وافرضوا حالًا ضريبة
ع اللي تحصل له مصيبة
واللي يعمل حاجة عيبة
واللي يتجرأ ويشكي ويستجير.

الوزير: لا يا مولاي تمهَّل!
السلطان: أعمل إيه؟
الوزير:

اقتراحاتها غريبة
لو طاوعناها مصيبة
داحنا نرضى بحالنا أحسن
والفرَج ساعته قريبة ... يا مجير.

الملكة:

الوزير ده ترفده
وعن القصر ابعده!

السلطان:

اسكتي إنتي إيش فهمك
دي أمور عليا وعويصة
خشي جوه لاخرشمك
إنتِ فاكرة الحكم هيصة
والَّا عرش الملك أصبح كالسرير!

الملكة:

إنت بتلقَّح عليَّه

وابويا اللي حاميك
طب وحق نور عينيَّ
ما انا قاعدة تاني ليك
وانا مالي انشالله تخرب
بكره ح اهرب
ولا ح اسأل تاني فيك (تخرج).

الملك: ياالَّلا فكر يا وزير سيبنا منها.
الوزير: روح صالِحها، الصُّلح خير.
الملك:

انتهينا ... قول لي كيف الآن ح نخرج
من مرار داهيتنا ديه
ياالَّلا دبَّرني وفكر!

الوزير: التدابير للإله ... الله أكبر ... وانت بعد الله تفكر.
الملك:

أيوه، لكن الوضع يوم عن يوم بيخطر
الرشاوي ف كل حتة – م المسافر خانة للسلخانة للسوق الكبير
والفساد ما خلَّا جتة
والعقول ... زي ما تكون اتحشت بصل وفول
الحيطان شُقع بُقع
والبنايات بتُقع
والخيام بقت رُقع ... أعمل إيه؟ قول ودبَّر يا وزير
إنت راجل عشت وسط الناس كتير.

الوزير (يلتفت نحو المخبرين):

التدابير للإله
وانت عارف ... أصل أنا ما عندي خبرة
وبلدكم غير بلدنا ... ده كلام مزبوط ويدِّي الخَلق عبرة

إحنا غيركم — حلوة دي — وف بلدنا حكمة قالت
الحمد لرب مقتدر
خلق الجِمَّيز على الشجر
فأكلنا منه وشبعنا ... ورمينا الباقي للبقر.

الملك:

هو أنا جايبك تعايرني ... وبأي كلام تنطق وتقول
والَّا انت جاي تدبَّرني ... هيَّ كلمة واحدة بس
فيه تلات تيام قصادك ... مهلة فيها تلاقي حل
وان ماجيتليش قبل وقتك
وف ايديك حل المشاكل ... كلها ح اقطع رقبتك!

(أثناء المنظر الماضي يُتابع الحشَّاش المنظر ويختار لنفسه موضعًا يرصُّ فيه أدواته ويتأمَّل ... ومع انتهائه يراه بوضوح في عالمه الخاص مع صوت الجوزة والدخان ... منفصلًا عمَّا يجري بعد أن يبدي سخريته من كلِّ ما جرى.)

الحشاش: شِد وكركر ... خلِّي الليلة تفوت عنَّابي ... واوعى تفكر ... راح تتعكر ... مشوراك دايمًا كعَّابي ... ده ... لازم يكون نشيد كفر حماقة القومي ... أيوه كركر ... عمرك ما حترتاح ... سرقوا الصندوق يا ابو صلاح ... لكن العبرة في المفتاح ... والمفتاح عند الحداد، والحداد عايز بيضة، والبيضة صبحت سودة، سودة زي الفحمة عايزة لحمة، واللحمة أكلتها القطة ... يا خرابي فُوق يا حشنيش، الدور جاي عليك حيسألوك تاني. لأ أنا ما اتسألش، اللي ينضرب مايتسألش لأنه مايعرفش إن الفرخة عايزة قمحة ... والقمحة عند التاجر عايز فلوس ... والفلوس عند الصرِّيف ... والصريف سرق الصندوق ... هأوه ... ما كنا حلوين نرقَّع هنا ونلزق هناك، وكانت بتتنيل أكتر ... لكن مالناش دعوة دلوقتي عملنا معلمين وفاهمين الفولة ... خطفتها الغولة ... لأ برده انت ابن بلد حتى بعد ما انضربت بالجزمة لك لازمة ما دام ده فوق دماغك ... حيجيب داغك ... ها ... كحح كح آه ... يا خرابي ... معايا ... آه يا دماغي ... دماغ الواحد منَّا ... جوزة هند ... أيوه لو تفضل على طول مقفولة ... تاخدها الريح ... يحدفها التيار للبحر ... تعوم ... وتقب ... تتخبط في الصخر وترجع ... تتهبد وتترزع ... لكن أكيد في يوم معلوم ... راح ترسي على بر أمين ... تتغرز في الطين ... تنبت ... تطلع شجرة ... ويمكن تطرح

... ياكلها غيرك آه ... لكن لو انكسرت ... هع ... حتاكلها ... وترمي القشر أو تشربها وتتروي بيها ... وبعدين ح تجوع تاني وتاني ح تعطش.

أنا بقى لما الدماغ ... قصدي الجوزة تتخرم ... حتصهرج فوقها النار ... دخان ... أحلام ... وتكركركر ... يبقى أحسن تسيبها والَّا تكسرها ... أجدع من ده ومن ده تخرمها ... خير الأمور الوسط ... عشان تكركر وتصهرج زي نافوخي ... تقدر تطلع من مناخيرك ... وتقدر ... تكتم ... تكتم ... اكتم.

(يدور الوزير حائرًا ... ثم يحاول أن يسأله عندما يقترب منه.)

الحشاش: اكتم ... انسد واكتم، إيه ده؟ بيعيط! ... إنت بتعيط؟ حد ضربك من عيلتهم؟ عيلة كبيرة قوي ... شايف قفايا ...

طب عيَّط على كتف اخوك ... عيب ... الدموع غالية ... أوه ... ده اسمه كلام؟! ده حيفوقنا ... يا عم انت بتشتغل إيه؟

الوزير: وزير.

الحشاش: لأ ... بسيطة! ... إيه؟ يا خبر اسود الحقونا ... طفِّي النار يا ولد كبسة!

الوزير: ماتخافش ... وانا وزير تشخيص ... شخصوني.

الحشاش: إنت بتضحك عليَّه؟

الوزير: لا أبدًا ... دانا وزير كده وكده ... ما انت شايف الحكاية من أولها.

الحشاش: شايفها وعارفها ... بس بقى مافيش أعز م الأم ... كان لازم أعمل كده ... مهما كانت الزراير ... آه ... اوعى تكون وزير العسس؟

الوزير: لأ.

الحشاش: الحمد لله، أمال وزير إيه؟

الوزير: ماقاليش ... هو نده لي وقال: روح تبقى وزير ... وصرفولي الملابس دي ... لكن زعل تاني وقال حيقطع رقبتي ساعة المغرب!

الحشاش: عادي جدًّا ... ما دام عيَّنك يبقى من حقه يقطع ... على كلٍّ ماتزعلش ... ضمنت معاش كبير لأولادك ... ريَّحت قلبي يا شيخ ... عشان مش وزير العسس ... أصل الأمر مايسلمش برده ... خد ... شم دي وماتقولش لحد.

الوزير: ماليش نفس ... وماتخافش منِّي أنا أصلي خلاص فنش ... وانا اللي جيبته لنفسي ... كروتوني وقالوا تمثيل وتشخيص، بس برده أنا طمعت واستاهل ... حيشنقوني المغرب.

الحشاش: طمنتني يا شيخ ... قبل ما يطيروا الكرسيين اللي معمَّرين النافوخ.

يبقى أنت بقى الوزير الهزأة اللي اتفرجنا عليه من شوية والمَلك عمَّال يهزأ فيه ويقوله حل ... حلها ... ويهزَّأك!

الوزير: أنا ... هزَّأني ... لأ.

الحشاش: ماتتحمقش قوي كده ... كل الناس شايفين مراته وهيَّ بتمرمط بيك الأرض!

إشمعنى يعني القلم لما ينزل من فوق ماتزعلوش!

كلامنا احنا اللي دمه تقيل ... روح يا شيخ وانت عامل زي الست أم رجل ف مناخيرها.

الوزير: أنا ما اسمحش انك تشتمني!

الحشاش: إيشمعنى قبلت منه هو ... هه ... ما احنا برده معلمين ... خلاص شوف بقى مين حيحل المشكلة، وابقى قابلني لما يعلَّقوك تتمرجح واحنا نتمزج ونسقف!

الوزير: تقدر تساعدني؟

الحشاش: المساعد ربنا ... واحنا راضيين بالمكتوب.

الوزير: دول حيقطعوا رقبتي!

الحشاش: أمر الله ... كلنا لها ... كل شيء بأوان، ولكل وقت أدان ... والحيطان لها ودان.

الوزير: حرام عليك ... أنا دُخت السبع دوخات!

الحشاش: وانا دخت م القعدة.

الوزير: اعمل معروف ... دلني على حل المشكلة دي.

الحشاش: ده عزرائيل نفسه لو سألوه ... عن حلها ... يعيط.

الوزير: رقبتي ح تطير ... يرضيك ده!

الحشاش: اللي يرضي الملك يرضيني ... (يبكي) الله! ده بيعيط! ... يا عم روَّق ماتندمجش قوي ... واحنا معمرين دماغنا، إحنا ناقصين؟ وانا بصراحة بقى مالياش في السياسة ... تُبت ... خُد وشِد، ده أحسن حاجة بدل الدماغ ما تنكسر ... تنخرم ... وتبقى عال!

الوزير: ماليش نِفس.

الحشاش: ومين اللي له ... خُد يا راجل، ماهي بايظة من زمان ... هو انت يعني كتافك اللي حتشيل وحدها ... ماتعتلش هم.

الوزير: لكن ده حيقطع رقبتي!

الحشاش: آه ... خايف على نفسك بقى!

الوزير: يعني؟ ... لكن خايف أكتر إنهم مايلاقوش حل بعد مايدبحوني!

الحشاش: مش حتبقى مشكلتك، حتبقى خرجت لباب الكريم ... وسيب كلابها على ديابها ... اشرب ... بس اكتم ... فيك من يكتم السِّر؟

الوزير: في بير ...

الحشاش: ح اصدَّقك ... هُمه قالوا لي بصراحة كده ... أفكر وأقول لك الحل.

الوزير: صحيح ... الله يخليك ... اوعى تكون بتكدب!

الحشاش: الحشاش عمره ما يكدب ... وخصوصًا وهو تحت السلاح.

(يسير بخطوةٍ عسكريةٍ رافعًا الجوزة.)

الوزير: وحتقولي الحل؟ هه؟

الحشاش: كله بأوان، ملهوف على إيه؟ ... أصل احنا يا صنف الحشاشة ماتفرقش معانا ... أحمد زي ازدحمد ... لأننا مابنفهمش في أموركم دي ... عشان احنا أجدع من يفهم فيها ... بس مابنقولش ... بنكتم ... برَّق عينك ... وبص لي زي الاهبل بقى، وكأنك لاول مرة بتسمع الكلام ده ... تقولي ازاي ... أقولك ... صلي ع اللي ح يشفع فيك ... يا بني الدنيا المكلبشة المغبشة المدغمشة المنعكشة ... ماتفهمهاش إلا الدماغ المحششة ... خدلك نَفس يمكن تفهم ... إنت مش أصلًا «بنَّا» ... م اللي بيبنوا المحطة ... خلاص ... في إيدك صنعة بتكسب دهب حتى لو الملك ده شنقك.

الوزير: إزاي بس ... إنت ح تخرَّف؟!

الحشاش: الله يسامحك ... فيه حشاش في الدنيا يخرَّف؟ ... دي مسئولية كبيرة.

الوزير: وعشان كده أرجوك قول لي الحل ... انقذني!

الحشاش: اسأل الملقِّن.

الوزير: مافيش ملقِّن ... ودوري ماكانش مكتوب.

الحشاش: خلاص مش حنحط العقدة قدام المنشار ... زي مايعمل الملك السلطان الأونطجي بتاعك ده ... كل الحكاية احنا بنتسلى وبنحتفل بنجاة «نص نيص» من ايدين اخوانا الطيبين دول، ومن عدالتهم! ولا يمكن ... نسمح إن رقبة واحد زيك تنقطع في حفلتنا ... وانت اللي اتطوعت بنفسك تستوزر، أنا لذلك لازم أقول لك على الحلِّ اللي يريَّح

السلطان ويبسط البلد ... ويحل كل المشاكل ... وينجيها من بلاويها ... ومن الأونطة والتهليب ... والسرقة والتهريب ... بس فوت عليَّه بعد المغرب يكون فكرت لك.

الوزير: لأ ... في عرضك بعد المغرب ... الوقت يبقى فات ... وشنقوني!

الحشاش: يبقى انت عايز حل لمشكلتك ... مش لمشكلة البلد.

وهنا مربط الفرس ... روح اختار لك جحش منه وروح هات الملك بتاعك ده ... وانا ح اقولكم الحل بنفسي.

الوزير: طب ما تيجي معايا القصر!

الحشاش: ده كلام! ... هو ينزل مرة، يطلُّ علينا ... داحنا حلوين قوي ... برده!

الوزير: بس اعمل معروف ماتمشيش ... وخد الحتة دي اتسلَّى بيها عقبال ما ارجع لك (يخرج).

الحشاش: إيه ده؟ ... حشيش! ... أعوذ بالله ... والَّا ده ماركة مضمونة ... هع ... زوق الراجل ده ... وخسارة في المشنقة ... زي ما انا خسارة في الدنيا دي والله ... اتكلمت مع الوزير بكل شجاعة ... ولا خفت منه ... مش تقول لي ... زمان كنَّا بنقرا عن الوزرا دوله ... لما ينزلوا متنكرين بيبصبصوا على أحوال الرعية ... لكن ده جريء قوي ... قال على نفسه بنفسه ... آه ... مش حيموت بقى ... لكن احنا يا اولاد البلد جدعان برده ... كان ممكن أتقالط عليه ولا اعبَّره واسيبه يغلي، لكن أنا قلبي طيب ... معلهش ما هو مأزق ... رجل في مزنق ... حيتشنق ... المغرب ... الله! ... يكونشي ده اللي خلَّاه يتواضع؟ ... يا سيدي! ... معلهش ... كح ... كح ...

(بوق وطبول ... الملك والوزير في الموكب الملكي الهزأة ... يلاقيهم من بين رموشه.)

الحشاش: ياه ... مالها الدنيا بمبي كده! ... إنت جيت يا مرزوق!

السلطان: مين ده؟

الوزير: ده الحلال ... قصدي الحشاش.

الحشاش: تاج الجزيرة ... ياما انت كريم يا رب.

السلطان: إيه ده؟ ... بيخرف ... إنت جايبني أزور حشاشين يا جدع انت؟

أنا السلطان «بهبهان بن كهرمان ساهنشاه الملح والمرجان» ينزل من قصره ... ويغالط عصره ... ويروح غرزة؟!

الحشاش: لأ ... فات عصر الغُرز، دي قهوة شعبية محترمة على محطة رسمية عصرية ... وإن كان عاجب سيادتك أهلًا وسهلًا ... مش ... مع ...

السلطان: إيه؟ ... إيه ده؟

الحشاش: إحنا حلَّالين العُقَد، من غير أي عُقَد ... ولاحظ انك ضيفنا هنا، ومالكش حُكم علينا ... الكلام ده في القصر تبعك والعصر بتاعك.

الوزير: معلهش يا مولاي استحمل علشان خاطر مدينتك ومشاكل شعبك.

السلطان: طول عمري باضحي عشان مدينتي ... ومدينة غيري كمان ... بس مش للدرجة دي!

الوزير: ده اللي حَداه حل المشاكل كلها ... ومعاه الدوا للأزمة اللي طلبت منِّي ألاقيلها حل ... ده عنده الدوا الأكيد والحل الوحيد.

السلطان: إيه؟ ... حشيش يعني ... قصدك كده؟

الحشاش: لا ... يا محترم ماينفعش، ماكانش حد غلب من زمان ... وكان حصل وتم المراد وارتحنا يا جميل.

السلطان: ما هو مش معقول ... تنزلني من عرشي عشان واحد زي ده يهزر معايا؟! ... هو ح يفهم أكتر من العلماء اللي عملنا منهم لجان سلطانية ... للبحث والدرس ... والَّا المشايخ والكهَّان اللي طلبنا منهم يصلُّوا في الجهر والهمس ... والَّا المجالس اللي شكَّلناها من أكبر المختصين في لجان متخصصة ... وكلهم فشلوا والحمد الله!

ده ييجي إيه جنبهم؟

الوزير: ده اللي ح ينجح.

السلطان: تعرف ... لو ماحلهاش أبو غابة ده ... أنا ح اكسر الدنيا!

الحشاش: شِد معانا نفَس تروق ... واعطينا مما أعطاك الله!

السلطان: ده شحات كمان!

الحشاش: الشحاتة م السلاطين مش شحاتة ... قب باللي يخرج من إيدك والَّا نزرجن ومافيش حل ... فين العطايا؟

السلطان: أنا مامعاييش.

الحشاش: مفلس؟ طب ازاي ح اغلبك ... قالوا المفلس غلب السلطان. طب لما مفلس على مفلس ماينفعش ...

السلطان: أنا مش باشيل الفلوس ... الفلوس هيَّ اللي بتشيلني يا مغفل!

الحشاش: ماليش دعوة ... تدفع ... تمشي المراكب ... ماكانشي اتكل!

الوزير: أنا باتعهدلك بكل اللي انت عايزه ... حدِّيك ما يكفيك بس خلصنا.

السلطان: دي تبقى فِردة بقى ... برطيل ... رشوة ...

الحشاش: فردة؟ آه ... عساكرك بيسموها إكرامية! ضرائب! حوافز ... جهد زايد ... حلوان ... اشمعنى أنا ... يعني ... هو أنا اللي واقع من قعر الفردة ... هع!

السلطان: والله دمك خفيف (يضاحكه).

الحشاش: أيوه يا راجل افرد وشَّك ... وزيح كرشك أُمال ... والَّا خايف رموشك تقع؟!

الوزير: أيوه كده علشان نوصل.

الحشاش: نوصل؟ ... داحنا وصلنا من زمان ... شِد أيوه ... ده جاهز تمام ... يابا ... معلم ... قراري!

السلطان: حلو قوي الدخان السُّخن ده!

الوزير: مش كده يا جدع! ... عيب تعمل فيه كده قدام الناس!

الحشاش: اسكت انت ... حينبسط قوي وكله ينحل ... جاك حل وسطك خايف عليه ... ليه؟

السلطان: بس انت مش حتضحك عليَّه ... يالَّلا ... ماعدش وقت نضيعه وح تضيع معاه ... المغرب حل ... ووجب الشنق ... إيه اللي عندك؟!

إذا الدوا طلع شفا ... والغمة انكشفت عن الأمة ...

كان بها ... لك الإكرام ... وإن ماكانش ... رقبته ورقبتك هاها ...

قول يا رحمن يا رحيم ... طاروا.

الحشاش: ده واخدها جد قوي ... حيندمج ويبوظ الدنيا.

(يفوق السلطان وينحمق.)

السلطان: وح اكسر كل الجوز حَتتك بَتتك ... وامنع شرب الدخان السخن ده!

الحشاش: ها ... ها ... لأ ... وانت تمام واحنا تمام ... وميت فل وعشرة.

السلطان: إنت باين نصَّاب ... ومافيش حل عندك.

الحشاش: لأ ... داحنا نفهمها وهي طايرة يا بيه ... يا رب يا سلطان ... وصدقني ... ح تبقى بيه كبير قوي ... إحنا عندنا الدوا ... والحل لكل الأسرار.

داحنا اكمننا عارفين الحل ... حششنا ... لا زرعنا ولا قلعنا ... قلنا إيه ... خير الأمور وسطها ... نقوِّم الدماغ دي وإيه؟ نخرمها ونلهلبها ... بدل ما تلهلبنا هيَّ.

السلطان: هيَّ مين؟

الحشاش: الجوزة.

السلطان: جوزة مين؟

الحشاش: القضية.

السلطان: قضية إيه؟

الحشاش: عمك شنطح.

السلطان: ماله؟

الحشاش: جالك ينطح ... تديه إيه؟

السلطان: إيه ده! ... لعبة دي؟ ... آه فهمت!

الحشاش: يا فهيم انت يا عاقل!

السلطان: طبعًا ... أنا السلطان لازم ولا بد أفهمها وهيَّ طايرة.

الحشاش: اسم الله عليك ... إيه الحل بقى يا فهيم؟

السلطان: ده بيسألني يا وزير ... يا سيَّاف ...

الوزير: ده بيهزر، أصله بيحب الضحك ... يخرب بيتك حتودينا في داهية!

السلطان: بيضحك علينا يعني؟ ... يا سياف ...

الحشاش: لأ ... ماتقولش كده ... إحنا مابنضحكش على حد ... إحنا اللي طول عمرنا مضحوك علينا ... إزاي نضحك على سيادتك معاذ الله ... واحنا اللي شلنا الهرم على اكتافنا عشان يندفن فيه اللي زيك ... وماقلناش ليه؟

وعملنا مراكب زينة وتجارة ركبها اللي زيك وقعدنا احنا في قعرها نقدف ... وبرده ماقلناش ليه؟

وفُتنا ع الصحرا كانت تخضر من خطاوينا وشرفك ... ولهفها اللي زيك ... يا بيه ... وكتمنا قولة ليه ...

عشان كده احنا عارفين الحل البريمو السحري ... وساكتين خرسانين ... حششنا عشان نعرف نكتم كويس.

الوزير: إنت ح تقلبها غم ليه؟ داهية تغمك المغرب حيدن!

الحشاش: ما يدن ... طول عمره بيدن وطول عمرنا كويسين.

بس هو من السلاطين اللي مش فاهمين.

السلطان: خش في الموضوع ... ويالَّلا ... بلاش لف ودوران وقلة أدب!

الحشاش: شوف ومع انك ولا فاهم كلمة م اللي انا قلته ...
مش قُصر نظر، لكن قُصر كلام ... يا سلطان الزمان ...
الغمة حاطة على بلدك ومدينتك اللي بتولد فقر وغلب وكدب ...
ونكد ... علشان بلدك يا سلطان الزمان يا ملك الكوتشينة ...
بلدك مليانة «أولاد حرام»!
بس ... خلاص.

السلطان: إيه ده؟

الحشاش: الحل.

السلطان: ده بس؟

الحشاش: آه ... بس.

السلطان: أولاد حرام يعني إيه؟

الحشاش: طبعًا ... مش حتفهم ... منين أجيب ناس ...

الوزير: إنت واثق من اللي قُلته؟

الحشاش: طبعًا ومتأكد ... اسأل اكتافي واجنابي ... اسأل الفقافيق والنفانيق والباقبيق ...

اسأل خوف اللي يتكلموا أو ينطقوا ... اسأل ... أُمال الهباب ده كله كان ليه؟! (يرفع الجوزة.)

عمر المدفع ده ما طلع فشنك ... مع إن المدافع المدافع كلها فشنك، لكن تعمل إيه! ... أولاد الحرام ماخلُّوش لأولاد الحلال حاجة ...

مخلوش إيه؟ ... حاجة!

السلطان: إنت فاهم حاجة من تخريف الراجل ده يا وزير؟!

الوزير: فاهم يا مولاي ... بس مش عارف بالضبط ... صن علينا شوية ... يعني إيه البلد مليانة أولاد الحرام دي؟ يخرب بيتك!

الحشاش: ولو تنضَّفوا البلد منهم ... ح تبقى البلد تمام ... والواحد يروق وينام ... وياكل حمام ... مع الملايكة.

السلطان: لكن انت جاي تحل اللغز بفزُّورة يا راجل انت؟! أنا ح اقطع رقبتك حالًا ... إن ماقلتش ح اعرفهم إزاي! ولاد الحرام دول ... وأنضف البلد منهم ازاي؟

الحشاش: تعرفهم ممكن ... أدلك ... لكن تنضَّف البلد منهم، دي ما اضمنهاش!
الوزير: طب قول لنا نكشفهم ازاي ... على الأقل.
الحشاش: شوف يا سيدي ... ياللي ما سيدك إلا انا ... لأ ...
ماينفعش ... كده ... اقعد وروَّق ... وشِد ... أيوه لازم تشد ... وتخلي المُنادي يلف ... ويقول:

(يتداخل طبل المنادي ضعيفًا ثم يشتد، يدور المنادي بين المتفرجين يخبرهم بما ينبغي عمله.)

المنادي:

بأمر سلطان السلاطين
أبو عِمَّة مبرومة طبقتين
إعلان لكل البني آدمين
صغار كبار شبَّان نساوين
يتجمعوا كلك في الحال
في قلب ساحة قصر الطين
من أجل ما نحل مشاكل
بلدنا كلها في دقيقتين
الواحد اللي ح يتجرأ
ويسك شيخه وأستاذه
ومعلمه قلمين جامدين
يصرف له بيت المال في الحال
من الذهب جنيهات تلاتين
واللي ح يرفض ... بالكرباج
يجلد بشِدَّة على الجنبين
لحد ما ننسِّيه اسمه
وشماله يبقى كأنه يمين!

المصفعة

(طبل وبروجي يبدأ بهما احتفال «اضرب واقبض»؛ حيث يتجمَّع الخلق ويجلس الملك ليبدأ التنفيذ – طابع خاص وتأثير مدروس، بعض عمليات الصفع تُثير الشفقة وأخرى تُثير السخرية والفكاهة، ويمكن ارتجال ما يعن ويفيد – دون تزيُّد.)

نموذج واحد

العجوز: يا ابني حِن عليَّه، فرصة وجت لحدك.

الشاب: يا ابويا لأ ... تنقطع إيدي ولا أمدها عليك.

العجوز: الدنيا صعبة، وحتى علامي مافادش. ٣٠ دهب ح يعتقوك من الهم والديون.

الشاب: يا عمي أروح من ذنبك فين؟

العجوز: ربنا غفور، دي نجدة من السما ... حتلاقي حتة تتاويك.

الشاب: أموت ولا أضرب اللي ربَّاني.

العجوز: فقري ... يا خلق في عرضكم اقنعوه، ما انا ياما انضربت على قفايا وببلاش ... قولوا له إن كلنا مناخيرنا لفوق واحنا ملزوقين على قفانا ... في البيوت، الشوارع ... يا خلق دول ٣٠ من الدهب الابريز ... هو حد ح يموت من الضرب يا ضنايا ... لكن ح تموت م الجوع!

نموذج تاني

العجوز: مصمَّم تضربني يا ابني؟
الشاب: معلهش بعد إذنك برده ... حاجة زي لفحة الهوا.
العجوز: هيَّ حصَّلت ... تتنكر لتعليمي فيك يا خسارة ع الجدعان!
الشاب: ماتحبِّكهاش قوي ... بعدين ابقى اديني ميت قلم.
حيجرى إيه؟ ... دي شكة دبوس ونفلسع بالمعلوم ونبقى ألاجة وألسطة ... وح اشوفك برده.
هو أنا ح اقب لوحدي ... أنا ح اضربك على القفا كده خفيف ... خفيف ... وانت تعمل الشويتين بتوعك ... نتأبج، ونقسم ... وسلَّم لي على البتاع.
العجوز: حسبي الله ونعم الوكيل ... في علامي وتربيتي فيك.
شكيتك لمن رفع السما وقادر يخسف بيك الأرض.
الشاب: مايضرش ... تلاتين دينار دهب ... نصوم لهم كفَّارة ... هأو!

(بدون افتعال ينقسم الشبان إلى قابضين ومضروبين جلدًا لرفضهم الضرب.)

السلطان: خلاص يا وزير الهم؟
الوزير: خلاص يا مولاي ... كل شيء تم.
السلطان: دول اللي ضربوا وقبضوا ... طبعًا حلوين! جدعان! سمعوا الكلام.
الوزير: طبعًا يا مولاي ... كلك فراسة.

(الحشاش يضحك معلقًا على ما يجري بطريقته.)

السلطان: ودول اللي رفضوا وانجلدوا ... بلا نيلة نكدية.
الوزير: تمام يا مولاي نظريتك ماتخيبش.
السلطان: فين الزفت صاحبك ... الطويل اللسان.
الحشاش: أيوه جاي ...
السلطان: نعمل إيه بعد كده؟ ... فين أولاد الحرام اللي انت قلت عليهم فين؟!
الحشاش: يا خبر ... ماعرفتهمش يا مولاي ... يا سلام. حكمتك يا رب ... اسمع! زمان كانوا يقولوا من علمني حرفًا صرت له عبدًا ... زمان كان الواحد يبوس الإيد اللي تعلمه الصنعة ... وتفتح له أبواب الكون والمعرفة.

زمان لما كان العلم والخبرة لهم معنى ... قبل الحركنة والفهلوة والبيع والشرا ما يملا مدينتك ... قبل ما تضيع الأصول عشان الوصول ... أهم قدامك ... وافهم!

اللي داقوا طعم الكربيج بكل شجاعة عشان مايدوسوش على اللي باقي للإنسان ياريت كنت أقدر بروايح الجنة أداوي جروحهم ... قبل ما ينقرضوا من الدنيا ... إنما اللي يضرب معلِّمه ... عشان الفلوس ... يبقى زي اللي بيضرب أبوه ... اللي يبيع العيش والملح والتربية، يبقى مستعد يبيع ضميره ... ويبيع بلده ... وأهله ... أيوه ... دولا أولاد الحرام يا سلطان الزمان الاغبر!

أُس الفساد ... وسبب الغمة ... وإن كنت عايز تنهي المهمة لف العمامة ... سوق الأيامة ... وبكل همة ... انهي المهمة!

السلطان: يا جلاااااد ... (يُسرع إليه.)

حالًا تقطع رقبة المجرمين دول ... حالًا ... عشان البلد تنضف.

(يتدخل نص نيص.)

نص نيص: لأ ... حيلك ... مش للدرجة دي يا ملك ... يطق لك عرق!

(حيص بيص مندمج.)

السلطان: لا بد من تطهير المدينة منهم لأنهم أُس البلاء ... وسبب كل المصايب ... مش انتوا اللي قلتوا ... آديني بنفذ اللي قلتوه.

إنت الشعب وده وزير من الشعب ... يالَّا يا جلاد.

نص نيص: الله! نسيت نفسك؟ مين اللي بيتكلم ومحموق قوي كده؟ إنت! طب معلم قهوة جايز ... عمدة استحملناك ... تنفع برده ... إنما سلطان يا حيص بيص ... ماتنفعش.

السلطان: اخرس ... يا جلاااد ... أنا سلطان بن ...

(يقاطعه ضاحكًا.)

نص نيص: فوق ... ما أنا اللي مسلطنك ... حتعملهم عليَّه أنا!

حيص بيص: أنا قصدي أن ننضَّف المدينة ... لازم نتخلص منهم عشان تتطهر ونتطور ... ده الطبيعي ... وده اللي لازم يقوله الدور ... والَّا انت غاوي تقطع كل سكة نمشي فيها؟

نص نيص: الكلام ده لما يكون حيص بيص قاعد مع نص نيص بياخدوا ويدوا في الهجيص، إنما سلطان البرين والبحرين ... اللي انت كنته لو فهمته ح يعمل حاجة تانية خالص ... والَّا يضيع ... يا ابني دانا فايق لك أكتر من حشنيش.

حيص بيص: طب وح يعمل إيه سلطان المدينة دي ... مش نكمل للناس الحدوتة ... لازم حبسهم طول العمر، جلدهم، نفاهم ... لازم يعمل حاجة!

نص نيص: طبعًا عمل ... حبسهم، بس في قصره ... نفاهم، في وظائف متعبة ... مرعبة ... إيشي جُباة ضرايب ... ملتزمين ... خشداشية خازندارية ... حكمدارية ... استادارية ... ومخبرين ... وخلافه ... أي ملك أو سلطان أكيد حيكتشف فيهم مواهب تنفع عرشه عبيد مخلصين للي فوقهم، ما دام عندهم قلب يدوسوا ف قلب اللي تحتهم ... حيلهفوا آه، لكن حيملوا بيت المال ... بالمال ... ويشغلوا الأشغال ... ويجمعوا الأموال ... ويروجوا التجارة ويعلو مقام الإمارة!

حيص بيص: دانت دماغك باينها مخرومة يا نص ... عرفت الكلام ده منين ... ده كلام حشاشين!

الحشاش: احسدونا بقى ... دي أدمغة متكلفة ... قال جيبته منين؟ ... جيبته منين صحيح يا نص نيص ها ... ها ...

نص نيص: من تواريخ المدن وأحوال الزمان ... يا سلطان الزمان قوم كمل اللعبة!

(مجموعة الذين قبضوا يرقصون وينشدون ... كلٌّ معه أدوات عمله الجديدة يرتدُون الأقنعة ... ينشدون نشيد القصر في قوةٍ يتضاءل معها الجانب الآخر ... وحيص بيص يعود ملِكًا ... حركاتهم تبرز تفسيرهم المناقض لكلمات النشيد.)

إحنا رجال القصر العالي ... وأصحاب الطبلية
مانحبش كلمة وانا مالي ... ونحب الحرية
نسهر نحمي الملك الغالي ... والشعب ف حنية
نتعكنن من الكيس الخالي ... دي الأعمال بالنية
داحنا رجال القصر العالي ... يا ويل الحرامية!

(حيص بيص ونص نص نيص والجميع يضحكون ويهنئون أنفسهم وكأن السهرة انتهت ويبدو عليهم السخرية من ضيوفهم ... الذين وجموا ... يجري

أحد المخبرين إلى رئيسهم بورقة ... يتنمَّر، ولكنه يكتم غيظه بعد قراءتها ... ولكنه بعدما يلاعب الساخرين بابتساماته الصفراء وحركاته المرعبة يوقف الضحك والمرح بقسوة.)

شمُّ البصل

المخبر: خلاص ... خلَّصتوا؟ رقصتوا؟ واتمسخرتوا كفايتكم؟ اللي سمَّاها كفر حماقة ماكدبش!

اسمع انت وهو اسمع ... كل عمال البناء من بكره ... يمشوا على بلادهم من طلعة الفجر.

الفلاح: والمحطة؟

المخبر: مافيش محطة ... خلاص ... بلدكوا ماينفعش لها إلا موقف حمير ... يا بهايم!

حيص بيص: والقهوة اللي صرفنا عليها دم قلبنا ولقينا سبوبة تغطِّي مصاريف الفن!

المخبر: مافيش قهوة ... يا سلطان الزمان ... يا ملك الأونطة ... وانت وهو بالذات لو رجعت ولقيتكم ماليتوش عزالكم ... نهاركم حيبقى طين ... وانت استنى عليَّه ... لك حساب ... يا ابن زهيرة!

الفلاح: والكفر يرجع تاني شمس الدنيا تمر عليه وتفوت ... والزمن يسبقنا أكتر ما هو سابقنا ... مكتوب عليك يا كفر حماقة ... زي زقمانة ... تفضل في الضلمة ... تعيش في الضلمة ... محروم م النور لحد الموت!

المخبر: من أعمالكم سُلِّط عليكم ... كفر حماقة؟! ... عايزين الاسم المقرف ده ينكتب في الخرايط والتذاكر؟ فضيحة! ... فضيحة عالمية! ... في الدنيا دي بحالها حد قرا أو سمع عن بلد رسمالها اسم بيفضح عقل رجالها!

الفلاح: نغيَّره يا عم ... الاسم اللي مش عاجب نغيَّره ... دي حاجة سهلة ... يغور الاسم واللي بدعه ... المهم المحطة.

زقمانة: هيَّ اللي ح تغير حياتنا ... يا جدعان ... أنا أمَّا غيَّرت اسمى ضحكتوا عليَّه أكتر ... مع إني غيَّرته عشان انضحك عليَّه!

الفلاح: انضحك عليكي لما غيرتيه ... لكن البلد مش حينضحك عليها لو غيَّرت اسمها ... دي حيبقى لها محطة ... والوابور ياخد ولادها ... للمدارس للمدنية ... وتدخل لها الكهربا والنور ... صدَّقوني!

فلاح: كنا بنحلم نركب الهوا سوا.

آخر: والمحطة كانت باب للحلم.

المرأة: غيَّروا «كفر الحماقة» غيَّروا لها اسمها ... إنشاالله تبقى كفر زفت!

المخبر: أنا ماعنديش كلام ... مش مصروف لي ... كله على بيته يروَّح.

وابقوا قولوا للحكومة ... غيَّروا لها الاسم ... يا سلام ... كان أصول سمُّوكم كفر فتاكة ... مين يا زقمانة ح يدفع أجرة التغيير وتكاليفه ... لسه فيه تحت البلاطة ...؟ فاكرة انه حاجة سهلة يغيَّروا اسم بلد ... فين مصاريف اللجان ... والانتقال ... وبدل سفر اللجان ... ودمغة التغيير يا روحي ... غيَّروا لها اسمها؟ ومين حيبحث في تاريخ الاسم وأسبابه ... وليه ح نغيَّره ... هه ... غيَّروا لها اسمها؟! مين هنا منكم جدع وعامل فهلوي؟ ... علشان يفكر في تكاليف طبع شهادات الميلاد ... الجديدة وشهادات الوفاة ... من يومين ما كان للكفر ده أعشاش في الخلا ... وسجلات الضرايب؟ ... وعقود البيع وأوراق المحاكم وشهادة القرعة من أيام ما كانت بدليَّة؟ ... وبطايق البنك والتموين وعقودات الجواز ... والطلاق ... واللي واللي ... ده تاريخ الكفر والَّا ح تشطبوه ... أيوه ما دام حيص بيص بقى سلطان ... يجوز ... اسمعوا من غير كلام ... الأوامر عندي قالت كل شيء يرجع لحاله ... وكل واحد على بلده وعلى بيته ... مافيش محطة ... ولا قهوة ... ولا تشخيص بعد النهارده ... والسلام!

(يخرج مخلفًا الذهول.)

حيص بيص: لأ ... لأ لأ ... لأ بقى لأ ... فيه تشخيص طول ما فيه دم ... آه ... وانا لسه سلطان الزمان ... وح افضل لآخر الزمان.

زقمانة: ح تشخص إيه تاني يا حيص بيص يا حبيبي ... خلاص ح تنام الناس في الضلمة ... مافرقتش معانا ... الضلمة خدنا عليها ... آهو حلمنا شوية بالنور ... كفاية علينا.

حيص بيص: لأ ... أنا لسة عندي في الجراب ياما ... اقعدوا يا اولاد ما تتكدروش ... لأ ... مش حتنهشنا الوحوش ... لأ ... قوم يا نص نيص ... قوم نكمل ...

نص نيص: إنت يظهر عجبك اللعب الملوكي ... اوعى يا حيص بيص ... دي لعبة خطيرة يا حصحص قوي ... وانت ما انتش قدها.

السلطان: أنا قلت اخرس ... يا وزير ... انده الجلاد وخليه يخرَّسه.

(الحشاش يحاول الاختباء ... ولكن ضياع الجوزة عندما أخفاها يعطله طول الوقت.)

فلاح: فضها دلوقت ... مش وقت الجوزة، لايمها ... مش شايف قلبت جد!

(رجال القصر يلتفُّون حول السلطان يدورون فينكمش الجميع الملك والوزير في الوسط.)

الحشاش: فينك يا وش المصايب ... فين الجوزة حبيبة قلبي؟ ... وسبب البلاوي! كان كل ده ليه؟ ... ما كانوا تايهين دول ف دول ... وساعات كنا نلاقي من دول ... في دول ... ومن دول ... في دول ... النهارده كله سَن اسنانه ... ودول ح يناموا في الضلمة ولسه حيحلموا بالنور ... يا بوي!

السلطان: دبَّرني يا وزير.

الوزير: التدابير لمولانا الأمير.

السلطان: يا سلام ... دانت اتنجَّرت قوي ... بقت التدابير ليه دلوقتي حتى ماهيش لله حتى؟!

أعوذ بالله ... أُمال انت بتعمل إيه؟ ... لما انا اللي ح ادبر ... والَّا هيَّ مناظر على الفاضي!

الوزير: جزء م المُلك الوزارة ... إحنا برواز الإمارة.

السلطان: يا سلام! ... برواز؟ ... خشب بقى والَّا ورق!

عايز تهرب والسلام!

الوزير: لا يا مولاي معاك ... بس الكلام أخد وعطا ... واللباقة من اللياقة ... والاثنين صنعة اللي تحت أمرك ... أنا عقلي وروحي رهن إشارة من طرف صُباع حضرة جلالتك.

السلطان: والبلد؟!

الوزير: مالها البلد! وحشة البلد؟ ... حلوة البلد ... نايمة في برميل عسل ... واحنا ما صدَّقنا لمينا ولاد الإيه ... ولقينالهم أشغال وأعمال تصونهم م الخيانة وم الحرام ... ومراكز تحمي نفوسهم الضعيفة م الانحراف ... كلهم صاروا بظلك يستظلوا ... يشربوا العطف اللي انت نبع بحره ... يفرَّقوه ع الناس حنان ... يدرسوا العدل اللي انت بدعت أمره ... يعكسوه ع الناس أمان ... باقي إيه؟ ... كل شيء هادي وتمام.

السلطان: البلد في الضلمة عايشة ... لو يغيب البدر ليلة بتبقى كحل ... يكتروا فيها اللصوص والجهلة واللقمة الحرام.

الوزير: ويبقى جوها شعري وساحر ... الظلام ستار على دنيا الغرام.

السلطان: ده كلام فارغ ... وزور.

الوزير: لما شعبك يا ملك ح يناموا بدري يصحوا بدري ... بكل همة في الصباح.

السلطان: الظلام غُمَّة وخوف ... البلد لازم تنوَّر.

الوزير: مافيش كفاية في الخزانة.

السلطان: يعني إيه؟

الوزير: يعني خطتنا على قد اللي عندي ... واللي جاي قد اللي رايح.

السلطان: إنما السلطان أمر ... وانا أمري لازم يُطاع.

الوزير: آدي الله ... وآدى حكمه ... لو حداك في خزينتك الخاصة حاجة باقية منك ... تحت أمرك.

السلطان (يتردَّد لحظة)**:** لو مافيش ح اخلقه ... في سبيل النور أنا ادفع رغيفي ... لجل شعبي ... خد ... وآدي مليون دينار لجل ماتنورلنا ليل المدينة ... خلي الشعب الطيب الغلبان يشوف أفلام ويسهر في القهاوي ... يقرا ميكي وألف نكتة ... ويشوف ويفرح بالمشخصاتية وأصحاب الفنون ... أنا عايز النور ينور عقل بلدي ... لو ح اشوفها في الظلام تاني ... ولو لحظة دقيقة ... راح أطيَّر رقابيكم كلكم ... إنت فاهم ... خد آدي مليون دينار ... وقصادك ليل نهار ... بعدها ... لو مافاضش النور على ليل المدينة وهنَّا ناسها ... اعتبر نفسك حمارة قطعنا راسها.

(يخرج السلطان ويفكِّر الوزير من لازمة موسيقية ساخرة ستتكرر مع الآخرين بعد ذلك ... نفس الحركات نفس النغمة.)

الوزير: مليون دينار؟ شايل على قلبه مليون دينار؟ تحت البلاطة! وساكت وعَمَّال يقول البلد في أزمة وكلام ملوش لزمة ... إيه اللي جرى للراجل ده من يوم الحشاش ما

قابله؟ يكونش دماغه انخرم؟ ... لا ... الحكاية عايزة تدبير وتفكير ... وانا في دماغي مليون فكرة.

الحشاش: لأ ... كتير ... مليون كتير! إنت لسه جديد ... كفاية نص مليون فكرة ... لجل الأمر يمشي ... بكرة تفهم.

الوزير: أيوه فعلًا ... نص مليون فكرة تكفي ... يا كبير الأمناء.

(يدخل كبير الأمناء على نفس النغمة.)

الكبير: أمر مولاي الوزير.

الوزير: اسمع ونفِّذ اللي أقوله بدون مناقشة ... عندك انت مهلة واحدة، للمغربية مع ندهة الله أكبر ... البلد توج نور، عايزين تلعلط ... الملك أمر، والملك أمره قانون، وقد رصد من حرِّ ماله، الخاص جدًّا ... نص مليون دينار ... لإنارة المدينة حارة حارة، ودار دار ... وإلَّا اعتبر نفسك مع الأدان حمار وراسه طار!

(يخرج بعد أن يسلِّم له المبلغ.)

الكبير: نص مليون دينار يا خبر ... يا خبر ... كبير الأمناء عبر ... دي حكاية عايزة تدبير م الكبير، وتفكير م المكير ... وانا في دماغي نص مليون فكرة ... هايلة.

نص نيص: لا، في عرضك ماتبالغش ... خف عشان تعوم ... ربع مليون على قدك ... لسه فيه رجالة بعدك.

الكبير: أيوه فعلًا ... يكفي إني أقدر أفكر وأشيل الهم شيل بجد ... ربع مليون من الأفكار كفاية ... يا صغير الأمناء ...

الصغير: تحت أمرك يا كبير.

الكبير: شوف يا ابني ... الملك أَمَر، وطبعًا أمره واجب ... المدينة لا بد لا بد يصير ليلها نهار ومهما كانت المهمة ... إحنا ليها ... وآدي الربع مليون م الدينار اللي مولانا رصدها للعمل ... عِدُّهم ... ربنا بينا وبين مال العموم ... وعلى المغرب تجيني بعدما تَقِيد المدينة كلها بالنور تجيني تقول تمام ... وإلَّا ... اعتبر نفسك ساعتها إنك حمار ع المشنقة ومش لاقيين له راس يربطوا فيها اللجام ... (يخرج ويتكرر الأمر.)

الصغير: شيء جميل ... وبسيط قوي ... المدينة مش كبيرة يكفي ليها ميت ألف فكرة عشان تنوَّر.

نص نيص: لأ ده عاقل ومتودِّك.

الحشاش: فاهم الفولة ... وعال ... ده أكيد مخضرم.

الصغير: كل فولة لها كيَّال ... وكل فكرة لها عبرة ... واحدة واحدة، إحنا مش مستعجلين. كله بيمشي واحنا باقيين للأبد ... علمتنا الدنيا إن اللي بيكبر فجأة يصغر فجأة لازم ... والَّا إيه يا معلمين؟ يا كبير حرس المدينة ... تعالى حالًا ...

كبير الحرس: تحت أمرك يا صغير ... إيه الأوامر؟

الصغير: عندنا م الليلة شغل كتير كتير ... الملك أمر وأمره أكيد مطاع ... واحنا كالعادة جنود ومجندين من أجل تنفيذ الأوامر.

الملك عايز المدينة في عزِّ ليلها تكون نهار ... وآدي مية ونص ألف من الدينار من خزينته الخاصة ... يعني فلوس حلال ... أعطاهم لي هدية لجل عيون مدينته ... ياللا يا ابني ... يكفي حتى المغربية ... أيوه يكفي ... ياللا ... وإلا – اعتبر نفسك حمار ع المشنقة ومالوش دماغ للحمرقة.

الحشاش: والحكاية اتسلسلت ...

نص نيص: كل خطوة بعد خطوه اتنيِّلت ... قبل ما يقِيدوا القناديل ... واتقندلت لحد ما وصلت لآخر السلسلة.

الحشاش: لرئيس عموم غفر المدينة.

ر. غ: هع ... يا حلاوة؟ ... بقى عايزها تنور كلها؟ نقلب الليل المدغمش لنهار ... يا سلام ع الأُبَّهة وتكرم ع المدينة جلالته قال — ومن حسابه الخاص رصد لجل الإنارة ... ميت دينار! حاجة تقرف! دي الجاموسة اللي دايرة في المدار ... أكيد ح تحرن لو حنديها علف بالميت دينار ... طب وكيف عقلي يفكر ... حاجة فقري ... همه طبعًا لهفوها حمري جمري (يدس النقود في جيبه في قرف).

عمرنا ضاع كله في تنفيذ أوامره ... والنهاية ... ميت دينار في شغلة عايزة ميت نهار ... الأصول الشخص منَّا يهج يطفش من البلد دي لأي داهية ... يلقى فيها اعتبار ... يا عساكر ... يا غفر ... اسمعوني يا غجر ... الملك حالًا أمر ... تجمعوا لي هنا قوام ... جميع مشايخ الحارات ... جرجروهم ... جرَّسوهم وهاتوهم لي قوام!

(ومع الموسيقى يجمع الغفر مشايخ الحارات حوله.)

نص نيص: كل عزومة وليها بواقي.
وارحم إنت لهفت الباقي!

الحشاش: حظك بُمب اللي فضل حاجة.
راسك للتفكير محتاجة ... (يعزم عليه بالجوزة.)
في زمن داير زي سواقي.
ر. غ: اسمعوني يا غجر ... الملك بالنور أمر ... وكل صاحب بيت ... عليه يجيب الزيت ... ويعلَّق على بابه فانوس ... الخزينة مافيش فلوس.
وكل واحد منكو مسئول عن بيوت حارته قصادي.
والليلادي ... إنتو أحرار في اختياركم ... يالفانوس ... يالمشنقة ... على باب دياركم ... وانتم أحرار في اختياركم يا تيوس ... مشنقة والَّا فانوس؟!

(رقصة نشطة تحت الكرابيج – سمكرة ومعاصر زيوت – عمل نشط تحت الضرب - الأغنية الراقصة تنتهي بفوانيس مضيئة كالنجوم.)

كورس:

شقَّق دقدق
لفَّق وفَّق
لزق عفق ...
كرباج ورا دي الحوجة بتحرق ...
قشَّر نشر
افرز مزمز
عصر مسمر
زيتنا دموعنا شموعنا تبصر
خطط بطط
زبط ربط
واوعى تلخبط ... أو تستعبط
شبك ... حبك
شلل سلك
كل ماليل الويل اتلعبك
تلقى فتيل الضي يشقشق.

حيص بيص: بس أنا كان قصدي مش كده يا نص نيص.

نص نيص: كان قصدك إيه؟ مين كان قصده؟ دي مدينة وملوك ... أمرا وسلاطين ... وليهم قوانين ... من مينا لعصر الملامين ... إن الملوك إذا ...

حيص بيص: ما انا كان قصدي إن نغيرها ... مش بس طاحونة ندوَّرها.

نص نيص: إحنا يا عم بتوع تفانين واللي علينا ... احنا عملناه.

لا في إيدينا نبني محطة ... ولا نعصر زيت للفوانيس ... شغلتنا نفك الترابيس ونحرر قلب المحابيس ... وعقول الجهل ... ننورها.

(مع الفوانيس التي تُضاء وتملأ المسرح يغنِّي كل المشخصاتية.)

إحنا اللي علينا ننورها
واحنا بايدينا نغيَّرها
مش معقول ح نبيض البيضة
وح نسلقها ونقشرها
ونسيبها ازاي لي هبرها
داحنا عرقنا اللي مخضَّرها
مليون سنة ساقية ندوَّرها
ياكل لحمتنا جزَّارها
يعصرنا لمونة اللي عصرها
لكن لزمًا ح نغيرها
لما بفوانيسنا ننورها.

نص نيص:

ويا ألف أهلًا ع الصحبة ديه
شرفتمونا وإن كان عليه
أهديكو قلبي يشهد عليه ... سيدنا الحسين.

الحشاش:

ويا ألف مرحب ملعون يا جهلا
الكون بيجري لا تقول لي مهلًا ... ولا تمهَّل
الفن نورنا ... مهما نعاني ... وبكرة أجمل

وانا إن سقطت فخذ مكاني
وشيل ... يعينك عبد المعين.

حيص بيص:

ويا ألف أهلًا ويا مرحبًا ... الفن يلطش كالكهربا
فاسمع ودقق ... مقق وبحلق
يا تشوف كويس ... يا تعيش متيَّس ... ع المصطبة
يا مشخَّصاتي ... شكشك وطبطب ... ضحك وكهرب
نكتة وآهن ... تحت السواهن ... نكشف دواهن
ونكون دواءً للمظلومين
وألف أهلًا يا مغنواتي
ماتشد حيلك ... صحي النایاتي
أنا طال سكاتي ... والجهل عاتي
نفسي أقولها ... في ريح مواتي
مصر ف قلوبنا
مش في جيوبنا
وإن كان ده عيبنا ... واكبر ذنوبنا
يا رب نفضل كده معيوبين ...

(جزيرة بدران، مارس ١٩٨٤م.)

الليلة فنظزية

- قدَّمتها فرقة السامر المسرحية بالثقافة الجماهيرية عام ١٩٨٤م، بوكالة الغوري.
  إخراج: سمير العصفوري.
- قدَّمتها فرقة منفلوط المسرحية في نفس العام،
  من إخراج: مسعد الطنباري.
- قدَّمتها فرقة زفتى المسرحية في نفس العام،
  من إخراج: السيد فجل.
- قدَّمتها فرقة بدواي المسرحية،
  من إخراج: سمير العدل.
  واشتركت بها الفرقة في مهرجان المائة ليلة عام ١٩٨٥م على مسرح السامر.
- قدَّمتها فرقة شباب من هواة المسرح بمركز شباب الهرم وتجوَّلت في قرى الجيزة ...
  من إخراج: محمد عبد المقصود.
- طُبعت بمجلة المسرح العدد ٢٤،يوليو ٨٥.
- قدَّمتها فرقة السويس المسرحية،
  من إخراج: أحمد منصور عام ٨٨.

واقرأ الفاتحة للسلطان

فرجة مسرحية

- قدَّمتها الفرقة النموذجية بالثقافة الجماهيرية باسم ... الغوري يبني الهرم الأكبر عام ١٩٨٦م بوكالة الغوري.
- من إخراج محمد سمير حسني، وقام المؤلف بدور السلطان الغوري.

ملاحيظ

تجرى هذه الفرجة على ليلة من حكم الغوري السلطان المملوكي بكلِّ ما تعنيه كلمة «مصر المملوكية» من أصداء ...

لا نريد أن نعيد ونزيد حول الممثل الشعبي والتشخيص وقواعد فن التمثيل كما أُنزلت ... فالدخول والخروج والإياب والغياب والتقمُّص والتحنشص، كلها مِلك ايدين الفِتك من الممثلين.

المسرح في أشد حالات واقعيته فنطزية ومتعة مخطوفة من براثن الواقع المر للمشاركة والتشارك والمماحكة والتعارك!

مافيش أي حساسية من استعارة بعض ملامح «سور الصين» ولا صفات «هوانج تي» ... فالسلطان والقيصر والملك والشاه والإمبراطور والزعيم الأوحد واحدٌ أحد من الأزل للأبد، والكاتب المسرحي مجبور لما يحل بيه ... لكن الذرَّة والنسبية مسألةٌ نسبية؛ لأن لسان السياسة الطويل سلطة ومعارضة ... مش قادر يعمل علاقة مع الأخرس العام ... وكل عام وأنتم بخير ...

نقطة

هذه ليست إرشادات إخراجية ولكنها هموم نقدية ... عند مؤلِّف منقود أو منقوط!

نقطة ثانية

الشخصيات التي دُعيت للحفل مش كل ما يجب أن يوجد ...

أنا آسف لي ما افتكرتهمش لكن الحالة المزاجية الآنية التي كُتبت فيها المسرحية فرضت دول كتنويعات وظلال للتيمة اليتيمة!

نقطة فاصلة

على المُخرج ... أن يتناسى كل هذا ... ويحتفل مع أي غوري بأي نصر في أي عصر ... وف أي مصر أيضًا ... وإن كنت أُفضِّل مصر المندفعة إلى كهوف العصور «العثمانية» المظلمة ... طبعًا!

بيان هام لأهل مصر المحروسة

الغوري يبني الهرم الأكبر!

وشجرة الدر ترقص الفالس مع ابن القارح بطل رسالة الغفران!

وكليوبطره تصيد للغوري «السمك المشوي» في بانيو الحمَّام، والحجاج بن يوسف يدرِّب المثقفين على أصول الحكم حتى لا يفلت الزمام ... بينما لا يكف ابن العاص وأبو العباس السفاح عن الشجار والنقار من أجل «أمة واحدة ذات رسالة خالدة» على الدوام!

وسليم العثماني يبارك بنفسه «انتصار الغوري على البرتغاليين» الذي خلَّده عنترة بن شداد بحد الحسام على خدِّ عبلة شعرًا ونثرًا ... رغم أنف التاريخ وابنة الغوري تبحث عن عريس يشكمها لتحبه! وتعاطيه الغرام ... والأم المصرية تشهد مقتل «ابنها الوحيد» يا حرام. بينما السلطان تنفقع مرارته من إشاعات يُطلقها «شاعر أخرس» ومهرِّج «بتاع كلام»، والشعب المصري يتفرج على الجميع «في وكالة الغوري بالحسين كل ليلة طوال شهر يوليو ١٩٨٦م» ... والدعوة مفتوحة لحضور العشاء السلطاني ...

في المسرحية التي كتبها ولفَّقها الشاعر سمير عبد الباقي ... ولحَّن أغانيها ونمَّقها أحمد الشابوري ولوَّنها وذوَّقها حسين العربي وهندسها ووفَّقها محمد سمير حسني ... وبيلعبها ويَّاكم من جوق الفن المرسحي بالثقافة الجماهيرية محمد أحمد، وفؤاد فرغلي، وكريمة الحفناوي، ولبنى ونيس، ومحمود بشير، ومحمد عبد الرازق، ونادية رزق، وعواطف عبد الفتاح، وسمير زاهر، وهدى مهدي، وهدى محمود، وأحمد برعي ... مصطفى شعبان، وعلي سلام، وكثير غيرهم؛ منهم المؤلِّف بنفسه! فيا أهل مصر المحروسة يا كرام ... لا يجب أن يفوتكم هذا الحفل العجيب الغبي ... الذي يجتمع فيه أبطال

التاريخ معكم على سُفرة واحدة من هنا لبولاق، وعلى هم واحد تعصره الأشواق المصرية وضحكة م القلب تجمع لَمَّة العشاق في سهرة عصرية ...

داللي بنى مصر كان ناوي يضحكها ... خلط المرار بالعسل والسم بالترياق ...

فاضحك وايَّاك تموت يا طويل العمر!

الجزء الأول

(افتتاحية غنائية بالطبل والزمر يقدِّمها الجوق كله، الأقنعة والشخصيات الكومبارس والعسكر ...)

اقرا الفاتحة لسلطان العصر الذهبي
ف أيام المماليك
أيام كان فيها الشعب المصري يا دوب
الله لا يوريك
من غُلبه ماشي يداري عذابه ف ضلة أقرب حيط
والكدب غنيمة؛ إن كنت جعان
وإن قلت كلام الحيطة ودان
تنده كرابيج الوالي لو اتكلمت ترد عليك ...

* * *

اقرا الفاتحة لسلطان الغوري اللي مايعرفش العيب
ولا عارف إيه اللي مخبي علشان حضرته في الغيب
والناس في طاحونة العيشة فريك
في السوق بتموت م الجوع تماحيك
أو في السراديب بتُهم تلاكيك
وإن كنت مريض بالشوق للعدل لا يمكن تلقى طبيب ...

* * *

اقرا الفاتحة لسلطان البر الغوري وقرَّب منَّا وشوف؛ المعزة حتصبح
كلب وابن الكلب حيبقى خروف؛ واللي حيبص لفوق
حيموت مشنوق مخنوق مخزوق
أو يتشنكل بالزوق، على حربة رعب وغدر وخوف
وإن كنت حترضى تعيش، كده زينا تاكل عيش
دراويش حرافيش زي الخفافيش، لكن من غير خرابيش
خليك زينا في الصبح بسيط، والضهر حويط، والعصر
شاويش، واهتف ويَّانا وقول للغوري، يا غوري اسم الله عليك!

(يصعد الطالب من وسط المتفرجين ملفتًا أنظارهم بوسيلةٍ ما من على المسرح يستغربون ولكنهم يتقبَّلونه.)

الطالب: النهارده المحروسة في عيد،
عيد تاريخي ماحصلش قبل كده في التاريخ ولا حيحصل.
النهارده في القاهرة أم الفنون والجنون،
كل الخلق واقفة على رجل واحدة ... وبترقص على الواحدة ابتهاجًا بعودة عسكر الأسطول السلطاني ... منتصرًا على البرتغاليين.
بفضل حنكة وشجاعة السلطان الحاوي لكل فضل الآن،
الملك الأشرف أبو النصر قنصوه الغوري الأشرفي،
الذي زالت بسلطنته الشكوك والظنون ... وقرَّت به العيون.

(السلطان يستعرض نفسه والأقنعة تزفُّه إلى الداخل.)

المشاعر النهارده في المحروسة فيَّاضة ... والسلطان الفرحان قرَّر إقامة هذا المهرجان إظهارًا للعرفان لأبنائه اللي راحوا في البحر غدر، واللي حيروحوا فدا للسلطنة والأوطان.

(يدخل البلهوان العجمي الشقنجي مع زفة أمامهم نموذج للأهرامات الثلاثة والطالب كمذيع أحد المواكب يواصل.)

(طبول جبارة، ويقود المهرِّج الأغنية.)

المهرج:

يا أهل المحروسة يا غاليين أدَّبنا البرتغاليين
لمَّا في المالح قابلونا وعلى خوانة جُم هاجمونا
بعزيمة الغوري لاقيناهم في بحور الهند وتاويناهم
وألسطة اللنش وراجعين

(الطالب تأخذه الحماسة فيذيع مثل المذيعين.)

الطالب: سيداتي سادتي لا تصدِّقوا ما روَّجه أعداؤنا عن هزيمة الغوري؛ فها هو احتفالنا اليوم أكبرُ دليل على …

(ينتبه لنفسه فيتأسف.)

أنا معذور … لأن اللي أنا شفته هنا الحقيقة يهبل ويجنن … إيه العز ده؟ … تصوَّروا … الناس كلها معزومة على سُفرة واحدة من هنا لبولاق … كمونية وألماظية وصواني لحم هُبر … سمك مقلي ومتبل وعسل أبيض منيل … وجبنة مقلية وطعمية محشية … وأوزي ومحشي وحمام … وعدس! … أشكال والوان … إيشي وإيشي إيه ده؟ … كل ده عامله للناس المحتسب المكتسح الكاسح الفالح … بركات بن موسى! ابن موسى مين؟ … عليَّه الطلاق ده ابن فرعون!

اللي يقدر يعمل سُفرة … زي دي في زمن أزمة وقحط ومجاعات زي ده … ويدعي لحفلة زي دي … ضيوف زي دول … ده يبقى ابن فرعون والَّا لأ؟ … يا خبر اسود ومنيل يا جدعان … دانا كلت أكل! وقابلت كل أبطال التاريخ العربي والمصري … هنا كلهم معزومين النهارده … وحتشوفوهم.

(يُقاطعه المهرج الذي يعود إليه مداعبًا.)

المهرج: لا … لا … لا … لن يظهر كل الضيوف الممتازين هنا … بعضهم فضَّل أن يبقى حضوره الاحتفال سرًّا … لتجنب بعض التعقيدات الدبلوماسية، والبعض الآخر توجَّه على الفور للجزيرة الوسطى (الزمالك حاليًّا) لينعم بمباهج الفنون والمُتع الصريحة المباشرة.

وكبار السن آثروا البقاء في الحريم لأسبابٍ مَرضية.

أما البعض الآخر ففضَّل صيد السمك لأنهم مصابون ببعض الحساسية الجماهيرية.
وأنا كلفت نفسي أن أخبركم بذلك.
علشان ماحدش يضيِّع وقته في انتظار ظهور حد يكون عايز يضحك عليه.
أو يكون عايز يشتمه أو يشمت فيه.
الطالب: معاه حق ... لأن المؤلف له رأي في ظهور بعض الشخصيات بالذات وكذلك الرقابة.
آه ... عنترة العبسي ولد شداد؟!

(يظهر عنتر وعبلة – قناعان.)

المهرج: عبلة لا تفارقه لحظة ... لأنه منذ أصبح من الأشراف ... وبعد جوازه بِست اشهر ... بدأت تنتابه حالات مراهقة صبيانية.
الطالب: احم ...
المهرج: لا تتناسب مع عاشق وفارس زيه ... إيه؟
الطالب: وها هو الحجاج بن يوسف الثقفي، مؤدِّب أهل العراق الشهير.
المهرج: جلا جلا، ابن جلا، متى أضع العمامة تعرفوني.
الطالب: سَمعته يؤكد للكثيرين من الضيوف الأكابر ... أنه لولا الضرب بشدة على أيدي أهل الكوفة ... لما أمنت الدولة مكر أهل دمشق ... أو الفسطاط.
المهرج: برافو ... اضرب المربوط يخاف السايب، واشخط في المزبوط يترعب العايب.
الطالب: بشت ... هس ... آه ها هي شجرة الدر التي وُلدت دولة المماليك من رحمها العاقر.
المهرج: ومن شابه أمه فما ظلم ... واكفي القِدرة على فُمِّها تطلع الدولة لامها.
الطالب: هي بدأت كل هذه المأساة يوم قتلت ابن زوجها توران شاه ابن صالح أيوب شنقًا وحرقًا وغرقًا في المنصورة.
المهرج: يا ويلتاه! ... أول الغيث قطرة.

(يتوالى دخول الضيوف الأقنعة.)

الطالب: فاتح مصر عمرو بن العاص ... مهندس الدولة الأولى الدولة الأم.
المهرج: يعني الأموية ... ها!

الطالب: أبو العباس السفاح الذي لن يترك له فرصة الانفراد بالساحة أية ساحة ... منذ أقام دولة العباسيين على أنقاض دولته ... فشتَّتها.

المهرج:

إن كنت فارس إحنا كمان فرسان
وإن كنت تعلب أنا يا بطل أُلعبان
وإن كنت خدت الخلافة بحد سيف المكر
والتحكيم
إحنا امتلكنا الزمام
بحد سيف الحسام
هيلا هوب ...

الطالب: وبنينا مجد الفتوحات بالقوة والإيمان!

المهرج (تأخذه الجلالة): أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة.

الطالب: وأظنني رأيت بالقرب من البوفيه ... بهاء الدين قراقوش ... وكافور ... آه ... غير معقول ... مَن الذي أرى؟

عبد الله بن محمد قائد ثورة الزنج ... سبارتاكوس بلاد المسلمين.

عجيب ... غريب!

(عبد الله بن محمد مقيَّد ويدفعه حارسان بينما هو يقاوم.)

المهرج: لا غريب ولا عجيب ... الغوري يحاول قُدَّام الضيوف إنه يؤكد اتجاهاته الديمقراطية.

عبد الله: عرفت لكن بعد فوات الأوان، لما صحيت لقيت خناجرهم بتحز رقبتي.

الثورة والقصر مايتقابلوش في عزومة ... خلُّوني أرجع عصري ... خلوني ألحق عصري ... خلوني أسبق عصري ... عارف إنكم مش ح تخلوني لا أرجع ولا أسبق ولا ألحق ... فاحذر يا مَن كنت شبيهي في أيها عصر ... إياك ترقص على سِلم أيُّها قصر!

الطالب: وعلى فكرة، أنا سمعت إن سليم العثماني ... موجود هنا.

المهرج: قبضوا على تلاتة أوغاد بيأكدوا إنه بعد ما تخلص المسرحية دي على طول ... حيضم مصر لأملاكه ... ويُسقط الخلافة العباسية ويقلبها عثمانية للأبد.

الطالب: ماحدش يعرف حاجة عن المستقبل! مين قال كده؟

المهرج: كلام الناس.
الطالب: مين؟
المهرج: كلام الناس! الرجل الأولاني ... قطعوا لسانه فاعترف بالمؤامرة.
والتاني ... نشروه من ساسه لراسه.
أما الثالث فسلخوه حيًّا ... واكتفى الاستادار بالإنكار كدليل على التهمة.
الطالب: اللهم احفظنا ... قطع ونشر وسلخ؟!
المهرج: وطِّي صوتك حد يسمعك تروح فيها.
الطالب (يزعق أكثر): أنا ضيف هنا وعندي حصانة ... لأنني مكلَّف بتقديم الحفل ... وتقديم الضيوف للضيوف ... تفضلي يا سيدتي ... لا تخافي ... تفضَّلي.

(تدخل الأم وابنها كقرويين يتفرَّجان مبهورين على المدينة.)

الأم: الله يسترك ...
الطالب: إنتي من الضيوف؟
الأم: أنا مش من هنا.
الطالب: وانا كمان، ما تخافيش إنتي مين؟
الأم: آني فلاحة يُسترك واسمى ست أبوها.
الطالب: تبقى ست الكل، دانتي الشعب، كل واحد هنا له اسم ولسان وبيزعق عشان انتي ساكتة ... قولي حاجة وخدي راحتك!
الأم: رجلينا فأفأت من المشوار ... أنا وابني مشينا سنة لحد هنا!
الطالب: دانتي وابنك تستحقوا تكونوا ضيوف الشرف ... سنة بحالها عشان تشاركوا في حفلة الانتصار! جيتوا في الوقت المناسب.
الأم: سامع يا متولي (يضحك دون صوت) ح نلحق الفرح ... وناكل.
الطالب: كل الأكل ده من خيرك، قلتي لي إنتي منين؟!
الأم: من بعيد قوي ... بس احنا أهل ... وقرايب مولانا — الأشرف اللي مايعرفش الكذب ولا العيبة.
الطالب: ياه ... إنتي حكايتك إيه؟
الأم: حدوتة ... حكاية ولا الحدوتة ... السلطان مرَّ من عشرين سنة على بلدنا ... كان بيصطاد ... وتاه عن رفقاته ... آويناه ... وكان عطشان سقيناه وخايف طمنَّاه ... وف حضننا داويناه ... ماكناش نعرفه سلطان.

حبِّيناه ...

الطالب: آاااه!

المهرج: وبعدين؟

الأم: ولا قبلين ... كَلنا عيش وملح ... وسافر وفاتنا ... معلهش ح يشيل هم مين والَّا مين ... شايل هم الدنيا كلها على قرونه.

إحنا ... فقرا ونستحمل، لكن لما الحالة بقت زفت والطاعون ضرب في الوادي ... جيت له ... (توشوشه.)

الطالب: يا خبر اسود ده ...!

الأم: حكمتك يا رب!

المهرج: انزل يا عم بالأدان ... دي فيها ولا ألف مدنة ... ياللا ... (الله أكبر ...) حكمتك يا رب ... آن ... آن ...

الأم: في عَرضك ماتفضحنيش إلا لما نعرف هو ناوي على إيه!

المهرج (مشخصًا): تم التحفُّظ على بعض العوام الذين حلا لهم التَّلفُّظ ببعض الكلام عن قرابتهم للسلطان ... بالحلال أو بالحرام ... قَطَع لسانهم من لغلوغه ... وسلَّم بعضهم للزيني ... فلم يُقر بما قاله ... فعصر من أصداغه ما اعترفش ... كسرت أضلاعه قال ما اعرفش لقطوا حلمات بزازه بكماشتين محميين في النار ... انكر ومانطقش!

الأم: أنا ح ارجع بلدي، ياريتني سمعت كلام الناس!

الطالب: كلام إيه؟

بيقولوا إنه مالوش صاحب ولا حبيب!

قعد يتمسكن لحد ما اتمكن، وأول ما شطح نطح الاتنين اللي سلطنوه.

المهرج:

مين سلطنك

اخلص منه

إياك تآمن وتسيبه

ولو عطاك ... آه ... خد منه

واعمل له إن انت حبيبه

بس اوعى يوم

تغفل عنه

لو زاغ ماتقدرش تجيبه
اعطيه أمان
واكسر سِمه
لحد ما يكشف عيبه
قنطر أبوه واخلص منه
تحلو ليام ويطيبو
مين سلْطَنك!

الأم: دول بيغنوها كمان؟!
الطالب: ما انتي عارفة أهل مصر لا يُطاقوا في لسانهم لو طلقوها على أحد ...
الأم: بيقول إنه يبيع أعز أصحابه!
الطالب: هو مين اللي بيقول؟
الأم: كلام الناس.
الطالب: وبتصدَّقي كلام الناس؟
الأم:

ح يعد إيه الفقير
لو عاش نهار لانتصار
وإيه ينوبه إن فلت م الموت
نهار الهزيمة
ما يطول في ساعة الحصار
إلا خراب الديار
والغوري بطل المرار
فايز بكل الغنيمة ...

الطالب: وده برده كلام الناس ...
الأم: الحمد لله، أنا ابني أخرس!
الطالب: أخرس؟!
الأم: خالص ... لسان الناس طويل وع الفاضي من أيام فرعون وهمه نازلين كلام ... ويقولوا حتتغير! امتى؟ ... عندك انت أخبار؟ ماسمعتش حاجة؟

الطالب: لأ ... ماسمعتش.
الأم: ما تسأل دول!
الطالب: دول من زمن تاني ... ولو عرفوا سرِّك حيفضحوكي.

(يدخل ابن القارح مع الحرس وهم يسيرون بخطوةٍ معينة وينشدون بطريقة معينة.)

الحرس:

انتصرنا ... انتصرنا ... وقول الله
واللي كان عايز يكسرنا كسرناه
عمر السلطان ما حيخسرنا
اللي على الكرسي احنا معاه ...

ابن القارح: يا أهل المحروسة، تخطَّى الأعداء حدود الله، وكسروا السد اللي ذو القرنين بناه ... ليحجز بين المؤمنين والكافرين، يريدون سحب التجارة منا والذهاب للهند غصب عنَّا ... لكن بفضل الغوري ... عاش ...
الأم: عاش يا اخويا عاش!

(يزغر للطالب.)

الطالب: عا...ش ...

(المهرج يأتي بطبلةٍ ويقلِّد حركاته ويردِّد آخر مَقاطعه.)

ابن القارح: ولا تستمعوا لطبالين الأعداء ... اللي قالوا اننا اتحاصرنا وانهم غلبونا! كلَّا ... وألف كلَّا.
قالها صعلوك ليس بمملوك ... بيتطاول على مقام الملوك ... ويقولك ده كلام الناس ... ولد أرشل أهوج أهرج كداب من أصل وشه.
ولكنا في سبيلنا للقبض عليه ... وسلخه حيًّا ... ومن ثم محاكمته محاكمة عادلة ... فنحن متحضرون ... ولكن مَن يردد أكاذيبه ... فنصيبه حيصيبه من نصيبه ... وعاش الغوري ...
(عاش ... عاش.)

الأم: كداب واحد ... وموقَّف سلطنة بحالها على رجل!
الطالب: وانتي جاية من آخر الدنيا بحكاية ممكن تقطع الرجل الثانية.
الأم: إحنا راجعين بلدنا ... أحمد، ورِّينا يا ابني انك أخرس، إحنا لا سمعنا ولا قلنا!

(تسحبه وتخرج.)

الطالب: سيداتي آنساتي ... سادتي.
أنا عارف اللي بيدور في دماغكم ... عارف اللي حيتقال عن الدراما ... وعن التاريخ ... حتقولوا بتضيَّع وقتنا في حاجات عارفينها كويس.
هو فيه مصري أو عربي مايعرفش تاريخ بلده ... خلينا نبص لقدام ... عامل حفلة بانتصار ماحصلش ... ليه؟!
المهرج: الضرب في الميت حرام.
الطالب: إيه يعني الغوري اتهزم ... أجدع منه وعملها!
المهرج: لكل جواد كبوة.
الطالب: ومايقعش إلا الشاطر.
المهرج: والكورة مالهاش كبير ... صح؟
الطالب: ثم إن هزيمة واحدة ... بقعة على توب كله أبيض ... وتاريخ كله انتصارات وأمجاد.
المهرج: وافرض إن طق في نافوخ الغوري يبني هرم الجيزة ... حصل إيه يعني؟
الطالب: أي عيِّل في الروضة عارف إن اللي بناه خوفو.
المهرج: خوفه والَّا خوفنا؟
الطالب: حتسألوا كل ده مقصود به إيه؟ ... مين الغوري ده؟ خلينا في اللي احنا فيه ...
الحقيقة مش قصدي اللي بيدور في دماغكم، أنا راجل نِفسه يمتعكم ... باكذب كذبة وانتو تستمتعوا باكتشاف الحقيقي من الكذب ... والصادق من الزايف ... يمكن نوصل للحقيقة أم حدين من الحقيقة أم وشين.

(دقة المسرح الأولى.)

أهه ... دقة المسرح ... المسرحية بدأت ... غصب عنِّي وعنكم زي أحداث التاريخ ... لكن بارجوكم تتذكروا طول الوقت إن احنا في مسرح وضيوف على التاريخ ... وأي

واحد أو واحدة شايف في نفسه إنه شخصية تاريخية أو مسرحية له الحق يحضر الحفلة ويطلع القصر في أي وقت وينقَّطنا بسكوته ... ولا ينساش إن زمن الحفلة دي هو الليلة، يعني واحنا متأكدين تمامًا ... إن الغوري مش بس اتهزم قدام البرتغاليين في البحر ... لكن وفي البر كمان ... وإنه مابناش أي هرم ... ولا هرم كاريوكا!

(دقة المسرح الثانية.)

حاضر ... على فكرة ... أنا ولا حاجة ... أنا مجرد حلية أو حيلة هبلة لجأ ليها مؤلف أهبل ... علشان يركَّب تركيبة هبلة.
دُقِّي يا طبلة!

(الدقة الثالثة.)

(يدخل المدعوون من كل مكان ممكن، ناس على راحتهم، مظاهر احتفالية، في كل ركن ضجَّة، ويدخل عنتر وعبلة واكلين الجو ... أصوات تحيِّيهم على طريقة أولاد البلد.)

– عنتر يا حاميها.
– أيوه يا عم صبرت ونُلت.
– اللي عطاك يعطينا.
– حنا للسيف ... حنا للضيف.

عبلة: شايف يا عنترتي، لولا صيتك وشجاعتك ماكانش حد خد باله مننا ... شوف حبِّي خلَّاهم يحبوك قد إيه!

عنتر: عبرنا بحر الرمال والربع الخالي، بحد سيفي اليمين بهدلت ألف ع الشمال، وبحد سيفي الشمال قندلت ألفين ع اليمين ... وسفحت دم العدا من شان عيون عبلة.

المهرج: اديله قُبلة.

عنتر: جيبت النوق العصافير ... مهر لبنت الأمير ... رقص عشانها الغني قبل الفقير ... أنا نصير اللي مالوهش نصير.

المهرج: وجيبت الديب من ديله.

عنتر: وشقيت صدور المغاوير واتحديت المقادير ... بيَّضت وش العرب، فرَّحت قلب القرايب وكِدت الغرايب ... ورفعت راية عبس تضوي بروس لجبال.

المهرج: يا واد يا عِترة يا أبهة ... إنت الجريء وعملتها.

عبلة: رقَّصت بلاد العرب على رنة الخلخال ... صح يا رجال؟

المهرج: أيوه صح.

الطالب: يا فارس الفرسان ... تسمح بكلمة ... بردون إن كنت قاطعتك.

عنتر: من أي حي أنت؟ وبأي لهجة بتلحن؟ من عبس؟ من فلول هلال؟ مين جبيلتك؟

الطالب: ما لي جبيلة، أنا عربي.

عنتر: عربي وما لك جبيلة؟! تبقى قليل الأصل «داسوس»، وذنبك مقتلك.

الطالب: حاسب بس خد نفَسك ... ذنب إيه ومقتل إيه؟ ... ما عدنا قبايل، إحنا ما شاء الله كُلنا عرب ... ساحت المسائل ... أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة.

عنتر: أسمعت يا عبل؟ بيقول هذا الداسوس المسائل ساحت! ... هل عبس تغلَّبت على باقي الجبايل؟

الطالب: يا عم لا عدس ولا عبس ... الحكاية ...

عنتر: إيش تجول ... يا عديم الأصول؟

الطالب: استنى بس ... أصل الدنيا اتغيَّرت ... هو انت ماحدش قال لك؟

عنتر: اخرس! ... ماجينا عشان نسمع تخاريف مثل هذا ... هذا زمان الهزايم.

عبلة: أيوه كده يا بطل.

المهرج: ماترحموش.

الطالب: يا سيد فرسان الزمان الزمان والعرب ... سمعت عن رأس الرجاء الصالح؟!

عنتر: كل الرءوس طاطت قصاد سيفي
لأن سيفي فوق جميع لسيوفي
هذا قانون للحرب ... معروفي.

عبلة: فن الحرب احنا بدعناه ...

المهرج: والجاهل ياما علَّمناه ...

الطالب: كان بودِّنا قانونك ينفعنا، كنا عايزين نستشيرك ... تنصح بإيه يا مولانا الغوري؟ ... يعمل إيه مع البرتغاليين؟ إسكندرية اتبهَّدلت قوي يا عنتر بعد امتناع البحرية.

عنتر: يبدو أنك لا تعرفنا ... وما تقصد غير تخالفنا.

المهرج: اللي ما يعرفك يجهلك يا بطل.

عبلة: إيه بحرية وإيه بريَّة؟ ... عنتر ما في شيء يعصى عليه.

عنتر: إحنا خلينا الصحراء بحور من دم ... بتريد النصيحة هيك والَّا هيك (يهدِّده بالسيف فيُفزعه).

عبلة: لا تخاف يا أزعر، عنتر ما ينازل غير الفرسان.

الطالب: كل قصدي إننا نسأل نعمل إيه مع البرتغاليين ... دول شددوا الحصار على بلاد العرب!

واسكندرية عليها العوض ... نعمل إيه؟

عنتر: أنا جيش وحدي ... وسأخرج لهم لأجعلهم عبيدًا لعبلتي.

(عبلة تزغرد.)

الطالب: بس دول راكبين يا عم مراكب!

(يمضي عنتر ليقوم فيهم خطيبًا.)

رايح فين يا عنتر؟

عنتر:

لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر في لبان الأدهم
ما زلت أرميهم بغُرة وجهه
ولبانه حتى تسربل بالدم.

المهرج: الله أكبر ... الله أكبر ... انتصرنا.

ربنا ينصرك على مين يعاديك.

الطالب: رايح يغني لمعركة فاتت ... مافيش فايدة ... وكأن التاريخ حجر نزعق من فوقه ... المهم نطلع بقصيدة خالدة.

(وهو يستدير فيصطدم بأحد الأقنعة) متأسف يا سيدي جدًّا ... لا تهتم بي فأنا أنفعل بالشعر ... دائمًا.

الحجاج: اقترب منِّي ... تعالى.

الطالب: يا سيدي ... لا تهتم ... فأنا مجرد صعلوك.

الحجاج: قُل مَن أنت؟

الطالب: أنا ضيف من الدهماء.

الحجاج: اقترب ولا تراوغ.

الطالب: أكرِّر شديد أسفي يا سيدي (مبالغًا) وأؤكد ... أنني لم أكن أقصد.

الحجاج (ضاحكًا)**:** تقصد؟ ... أعرف أنك لا تقصد ... وهل تجرؤ على الظن بأنه يمكنك أن تقصد؟

الطالب: معاذ الله ... إنني أضعف من ذلك يا سيدي الحجاج!

الحجاج: أنت إذن تعرفني؟

الطالب: أعرفك؟ إنت أشهر من نار على علم!

المهرج: أطفالنا يحفظون خطبك في المدارس ليشبوا على الطاعة والأدب، فلا يضحكون بلا سبب، ولا يشكون مهما كان السبب.

الحجاج: دائمًا تبالغون، الأمر يا بني لم يكن على هذه الدرجة من الصعوبة، كان عليَّه أن أفاجئهم قبل أن يفاجئوني ... أن أروِّضهم ... أستل من عيونهم نوايا التمرُّد بجمر عيوني ... هل أنت أبله؟ ... لم أرَ أحدًا في هذا الزي من قبل ... من أي فِرق الخوارج أنت؟

الطالب: أنا لست من الخوارج! بل أنا في الحقيقة من الدواخل ... ومن المعجبين بك ... فأنت تتقن دورك تمامًا ... أكنت تتدرَّب على الإلقاء قبل أن تواجه الجماهير؟

الحجاج: أيها الساذج ... إذا لم يتقن أمثالي أدوارهم اختلَّ النظام العام وأفلت الأمر من أيدينا جميعًا ... وعليك إن أردت أن تتعلَّم ... أن تتذكَّر ... لا عواطف ولا مُثُل.

لا عواطف ... إن الممثل الذي يسمح لنفسه بالاستسلام للعواطف على المسرح ... سيكون حاكمًا رديئًا ... قد يغتاله سائس بِغال ... أو بقَّال.

الطالب: ولكن معظم الذين أتقنوا الإمساك بالزمام اغتيلوا ... هم أيضًا!

الحجاج: ولذلك أنا لا أوافق الغوري على دعوته لأمثالك من العامة لحضور حفلات الانتصار؛ فأنتم لا تفعلون شيئًا في سبيله سوى أن تموتوا في المعارك.

الطالب: أو لا يكفى هذا؟!

الحجاج: يكفي أن تموتوا على أرض المعركة، حضوركم حفلات النصر خطأ فادح ... لأنكم ستظنون بعدها أن لكم حقًّا فيما يكون بعد النصر! مَن هذه المرأة التي تبحلق فيَّه وكأنها رأت شبحًا؟

الطالب: إنها مجرد أم ... أم مصرية ... كالأخريات.

الحجاج: أبعِدوها من هنا ... لست أدري لمَ يُسمح لكم بالدخول! إن هذا خطر جدًّا.

(يبعِدها الحرس بقسوة هي وابنها.)

الطالب: فهمت لماذا يلعنك الناس حتى أيامنا هذه؟

الحجاج: ولكنهم يخشونني أكثر.

سيفي يذكرني ... خوفهم منِّي يخلدني.

الطالب: وغدًا يا حجاج؟

الحجاج: ماذا تظن أنه سيحدث غدًا يا أبله؟ تأكَّد أن دوري مغرٍ جدًّا للكثيرين أمس واليوم وغدًا، أيها الشاعر الأحمق!

الطالب: لست شاعرًا.

الحجاج: ولكنك أحمق كالشعراء، فاحمد الله وإلا أجبرتك على قرض الشعر موزونًا مقفًّى.

الطالب: أنا هنا ضيف على السلطان ولِي حصانة.

الحجاج: لا تكن مطمئنًا؛ فإنها لم تصبح ديمقراطية بعدُ! وأستطيع أن أنادي أحد جنودي الذين تمرَّسوا مع العراقيين ...

الطالب: أظنهم مشغولين عنك هذه الأيام ... بأحداثٍ جِسام.

الحجاج: بأي شيء؟

الطالب: بإعادة فتح القادسية والعراك القاتل مع بعض المسلمين الأجانب ... أقصد المجوس!

المهرج: كلاكيت — عاشر مرة — فيلم الموسم «المشاجرة الكبرى» بين المسلمين والمسلمين!

الحجاج: وها أنت تطالبني أن أكفَّ! ... ما زلتم أهل الشقاق والنفاق.

وما زلت أرى رءوسًا في كل مكان حان قطافها إذ أينعت ... وإني صاحبها على الدوام. ها ها ... لا تخف!

فقلبي تعلَّق بك ... فمنذ وقت طويل لم أُحدِّث أحدًا بمثل هذه المودة.

(تدخل شجرة الدر مقاطعةً لهما وهي مندفعة في غضب.)

شجرة الدر: ما الذي يجري هنا ... هل انعدم البروتوكول في قصور المماليك إلى هذه الدرجة المهينة؟ أم نسيتم مَن أنا؟ ... ما هذا الاستقبال الفاتر؟ لا أحد في الشوارع ... لا طبول ... لا زينات لا برازانات ولا هتافات ... مَن الذي يستضيفنا هذه المرة ... لا بد أنه سلطان من سلاطين عصر الانحطاط!

الطالب: لا تغضبي يا سيدتي الجميلة ... بل لكِ أن تفرحي؛ فلم يشغلهم عنك إلا نصر عظيم ... يا صاحبة المنصورة.

شجرة الدر: هووه ... أووه ... شكرًا يا اسمك إيه؟

الحجاج: ولكن هذا لا يعطيهم الحقَّ في تجاهل سيدة نبيلة مثلها ... أيُّ ملكة هي؟ ... رائعة!

المهرج: الجهة الصالحية مِلكة المسلمين وعصمة الدنيا والدِّين ... ذات الحجاب الجليل والستر الجميل ... أو العكس بالعكس.

الطالب: الملكة شجرة الدر ...

الحجاج: أهو أنتِ؟!

شجرة الدر: هناك مَن يريد تدمير مجدٍ بنيناه.

الطالب: الغدر يهدم ما بنته الخيانة.

الحجاج: بماذا تهمهم يا ولد؟

الطالب: عفوك! فكلنا يعرف أن هذه السلطنة وُلدت من رحِمها – العاقر!

المهرج: مائتان وسبعة وستون عامًا ... كل شيء مُباح للدفاع عن الذات ... عن العرش ... عن الكرسي ...

وللمحافظة على الثروة ... التي جُمعت نهبًا وسلبًا ... وتسخيرًا وتشميرًا ... وتقصيرًا وتقتيرًا ...

الطالب: ولكنها صُرفت بكل (تبذيرًا)!

شجرة الدر: كان علينا أن نبني مُلكًا راسخًا ... يواجه الصليبيين ... ويحرِّر القدس ... ويوقف زحف التتار ... وينقذ الخلافة من أعداء الإسلام.

الحجاج (منصتًا)**:** برافوووه!

الطالب: بالطبع ... ولغرس جذور العرش في نافوخ الخاضعين — هناك دائمًا ما يحتاج للإنقاذ بالدماء من أجل البقاء.

المهرج: ومن أجل تزيين أسوار القاهرة برءوس المشنوقين.

ولِنقش حيطان دمشق بأشلاء الموسطين والمخزوقين ... ولملء أسواق بغداد ومكة بالمشموطين والكوفة بالمسمومين ... والقيروان بالمشنكلين!

شجرة الدر: الحكم مسئولية صعبة.

الحجاج: كنت أدرِّبه على السلطة، ولكن يبدو أنه غبي!

شجرة الدر: مَن أنت يا صاحب القلب الرقيق؟

الطالب: أنا لا أحد ... شبح غير حقيقي من زمن لم يحدث هنا بعدُ ... وجدت أن من واجبي التعريف بكم ما دُمتُ هنا.

شجرة الدر: ومَن أعطاك الحق في تجاهلي، أنا صاحبة النصر الذي كان؟

الطالب: أنا أتجاهلكِ؟! ... معاذ الله وأنتِ صاحبة الريادة!

المهرج: قتلت ابن زوجها ... ماذا في ذلك؟ كانت تضرب لهم المثل!

الطالب: سرير الهناء فوق بحر من الدماء.

شجرة الدر: رغم حدَّة لسانك أجدني أميل إليك ... تعالى، هل تسمح لي بهذه الرقصة؟ ... أتحب الفالس؟

الطالب: لم أكن أعرف أنكِ تتقنين الرقص على الطريقة الأوروبية!

شجرة الدر: لا تنسَ أنني التي هزمت الفرنسيين.

المهرج: وإذا أردتَ أن تأمن شرَّ قوم ... فأتقن رقصهم!

الطالب: أرقص معك؟ ... شرف لا أستحقه ... ولكنه للأسف لن يُذكر في كتب التاريخ!

المهرج: التاريخ مشغول دائمًا بتسجيل الأحداث السطحية.

(تقتحمهم ضجةٌ كمعركة بين اثنين، ومشجِّعون من كل لون، صياح وضجة.)

شجرة الدر: مَن هذان المقاتلان الرائعان ... مملوكان للفرجة؟

الطالب: لا، إنهما من الأشراف المنسبين ... التعلب والسفاح.

شجرة الدر: مَن تقصد؟

(تشاهد الأم وابنها ضمن الجمع حول المتبارزَين.)

الطالب: أحدهما ساعدَ معاوية على تأسيس الأموية بالخداع ... والثاني أقام العباسية فوق بحر من دماء.

شجرة الدر: ما أحلاهما!

الطالب: ومن يومها صارا مثل ناكر ونكير ... لم يلتقيا في أي مسرحية إلا وكانا كالديَكة.

الحجاج: ومَن منهما سينتصر؟

المهرج: انتصر دائمًا مَن كان معه خبير مثلك!

الطالب: لن ينتصر أحدهما ... ولكننا سنُهزم دائمًا لاختلاف التفسير.

شجرة الدر: هل أنت مطَّلِع على المستقبل؟ اقرأ لي كفِّي!

الطالب: أنا المستقبل يا ربة الصون والعفاف.

ولأني لم أفهم ماضيكم أصبحت أجهل مستقبلي.

(الحجاج يندمج في المبارزة ويخرج معها وتبقى الأم مع ابنها مشغولةً به.)

شجرة الدر: دعهم يذهبون واقرأ فنجالي ... اضرب رملي!

الطالب: أنا أقرأ كتبًا ... بها أكاذيب كثيرة ... ولكنها أفضل من الودَع وقراءة الفناجيل. ولكن أتعرفين؟ ... أنتِ ما زلتِ جميلة!

ولكن التاريخ قبيح ... صحيح أنه أعظم منجزات البشرية ... ولكنه أضعفها ... فكل كلب وصل إلى صفحاته بالَ عليها بكل غطرسة.

شجرة الدر: أيها البذيء ... أهكذا تتحدَّث إلى إحدى صانعات التاريخ ... يا قبيح؟!

الطالب: إنها هيصة يا سيدتي ... مهرجان ... وأنتِ بالتأكيد تحتاجين لبعض الترفيه الذي كان سِمة رائعة من سِمات دولتك السنية!

(بروجي وطبل يدخل عدد من الحرَّاس ويقودهم ابن القارح.)

شجرة الدر: ومَن هذا؟ ... بهلوان؟

الطالب: هذا ابن القارح ... جاء ضيفًا كالضيوف ... ولكنه لا يضيِّع وقته ... فله موهبته في الدخول إلى قلوب الحكام ... وجد عملًا يليق بمواهبه ... أصبح استادارًا.

شجرة الدر: استادارًا؟

الطالب: نعم استادارًا دائمًا.

شجرة الدر: إذن احترس! لا يجب أن يرانا معًا ... فمثله لا يؤمن جانبه!

الطالب: أترحلين بهذه السرعة؟

شجرة الدر: لو وجدني معك فقد تجد نفسَك على الخازوق!

ابن القارح (يدور حول الموجودين كالصياد)**:** هيا أيها السادة ... يا أفاضل ... كيف يفوتكم موكب النصر حين يبدأ ... هيا ... إنه أول نصر حقيقي لنا منذ عين جالوت.

الطالب: لا تنسَ ذات الصواري يا ابن القارح!

ابن القارح: هيا ... مَن ذا الذي يقاطعني ... أيُّ صوارٍ يا هذا أمام أسطول البرتغاليين الجبار؟!

الطالب: أقصد ...

ابن القارح: أعرف كلَّ ما تقصد ... فاخرس ... نحن هنا أمام منعطفٍ تاريخيٍّ فإما أن نكون أو لا نكون ... نندثر تحت رُكام حثالة الشعوب الكافرة التي تتطفل على التاريخ ... ولذا فهزيمتهم لها فرحة لا تُعادَل.

(تقاطعه شجرة الدر.)

شجرة الدر: أنا هزمت الفرنسيين وأسرْت مِلِكَهم ... يا هذا ...

ابن القارح: سيدتي ... صاحبة الصون والعفاف ... اعذريني ... ولكن الغوري احتفظ لمصر مع النصر بالخلافة ... وحافظ على موارد المال ورسوم البضائع ... احتفظ بنبع العملة البندقية وبالفلفل، والزيت والكمون وكله.

(يدور حول الطالب.)

وفوق ذلك كله ... احتفظ بالرعايا راكعين على الرُّكب، يهتفون فرحًا في الشوارع، ويفتدون السلطان بالروح والدم ... والوطن بالدم والروح!

ونحن يا مولاتي، جئنا بكم لكي تكونوا شهودًا على القبر، الذي سنبنيه ليكون مزارًا للسياح من أبناء أعدائنا، ليتأكدوا من خيبة جدودهم وهزيمتهم ... هيا ... السادة ... السادة فقط ... هيا لتروا بداية الموكب ... هيا ...

(يلمح الأم وابنها) مَن الذي سمح لها بالدخول مرة أخرى؟ قلت ألف مرة، أبعِدوا هذه الحثالة ... (يخرِجها العسكر.)

الطالب: إنها الأم يا ابن القارح، وقد يكلفك طردُها الكثيرَ لو أن الأمور سارت حسب الأصول الدرامية.

ابن القارح (يبحث في دفاتره)**:** هل أنت أحد القادة التاريخيين؟

الطالب: لا.

ابن القارح: سلطان من سلاطين المسلمين؟

الطالب: لا تزعج نفسك، فلن تستطيع تصنيفي حسب جداولكم.

ابن القارح: مفكِّر من المفكرين؟

الطالب: إلا إذا أرسلتم تسألون المستقبل.

ابن القارح: داسوس ... إن نظرتي لا تخيب ... شككت فيك منذ البداية، وأنا عندما أشك في أحدٍ ما ... فإنني أدفع به إلى العرقانة ليتعفن وتأكله الكلاب.

(يحاول أن يُشير إلى العسكر فيمنعه الطالب.)

الطالب: اسمع يا ابن القارح ... ليدَع كلٌّ منا الآخر وشأنه، وإلا فضحتك أمام كل هؤلاء وأخبرتهم بما كتبه عنك «ياقوت الحموي»، وأطلعتهم على رأي شيخنا «أبي العلاء» فيك؟ ... هه ... هل أقول لهم ... مَن هو «علي بن المنصور»؟

هل أخبرهم بأنك بُلت في الإناء الذي أطعمك؟

دعِ الطابق مستورًا ... وإلا فضحت قصة الدنانير الكعبية ... ونصحت كل الحاضرين بقراءة رسالة الغفران. احذرني وإلَّا ...

ابن القارح: اخرس قلت لك!

الطالب: كده اتعدِل ... حتعكر عليَّه؟ ... ح ادخن عليك!

ابن القارح: أنا لا أفهم ما تقول ... وعندما لا أفهم كلامَ أحد فإنني أرسل به إلى أحد سراديب الـ... الخوند تمرباي؟

(تدخل الخوند تمرباي ابنة الغوري ومعها وصيفتها فيَقطع الكلام ويتقدَّم منافقًا.)

الطالب: اسحب يا أُلعبان!

ابن القارح: زهرة المحروسة مولاتي! علي بن المنصور الحلبي المعروف بابن القارح يحمد الله إذ يتشرف بالمثول بين يديك ... لكي أبشِّرك ...

الطالب: يا تعلب!

ابن القارح: بأن أميرك قد احتفظ بقلب العالم في قبضة ايديه، وملوك الأرض جميعًا جاءت تهنِّيه.

المهرج (يدخل بطبلة وفي لعبة مقصودة)**:** اتفرج يا جدع، اتفرج يا سلام ... شوف النوادر العجيبة، والأحداث الغريبة، صدفة مقصودة ... مش معهودة ... سفراء من كل

الأرض ... ١٤ سفير وقاصد خير ... من السِّند والهند ... من الكوفة والمدينة. رسول ملك الكرج، وقاصد ملك الترك. من تونس وفد ... ومن عند ابن درغل وفدين ... ومن التركمان ومن عند ابن عثمان ست وفود ... ورسول ملك الفرانسة ... وقاصد البندقية ... السنيور دمينيكو ترايفزاني ... كله قاصد العتب السلطاني ... كله شاف لعب الكورة ... وكله برَّق مبهور ... من نطح الثيران والكباش ... وكله قال الله ... على شجاعة المماليك لما عملوا مخصمانية بسيوف يمانية ... شهدوا بعظمة دولتنا ... وبقوِّتنا ووجاهتنا.

زغاريد من الطيقان تلبِّش الشجعان، وأكل ممدود من جرجا لسمنود، شيء يفطر الصايم ويلهي العابد ... شفتم غنا زي غنانا وقوة زي قوِّتنا؟ ... هه! هيبة بالويبة!

يا غاشم
يا ظالم
دي حالتك عدم
برغم الحرس والخدم والحشم
حتسمع آهاتي
وتشبع ندم
فتتمنى يقتل ودانك صمم
وتصحى فتبني بكدبك ... هرم
وترمح كما الديب
واحنا الغنم
وفاكر تدوم للأبد عزوتك
وقبرك على بُعد
فركة قدم!

(الأغنية تجمع البعض، وابن القارح بنعومة هو ورجاله يتسللون ويقبضون عليه دون أن يلحظ أحد ويخفونه ويسحبونه، ويعيد ابن القارح الحديث والطالب يُذعر مما حدث.)

ابن القارح: وها أنت سمعتِ بنفسك يا مولاتي أن كل هؤلاء ...
تمرباي: هل هو من الضيوف يا زليخة؟ (تتجاهله.)
ابن القارح: أنا الاستادار الجديد، علي بن منصور المشهور بابن القارح ... ألفين سنة خبرة في خدمة القصر. من أول بقت مصر مصر، فجر وصبح، وليل وعصر، خادم

السلطان وأهل بيته ... والقريب قوي من نسوانه وغلمانه ... وموضع سرِّه — وسر بره — وتحت أمرك ...

(الطالب يختفي وهو يراقب ويكتم ضحكاته.)

تمرباي: لم أرَه من قبل ... ليس ما يقوله مضحكًا ... إن كلامه يجعلني أحس أنني سأموت مسمومة، أرسليه بعيدًا وأحضري مضحِك القصر بسرعة.

زليخة: خطفوه يا ستي قدام عينيا.

تمرباي: كان هنا دلوقتي.

زليخة: سبحان مَن له الدوام ... تبخَّر!

تمرباي: الحقيهم ورجعيه.

زليخة: مكانش يتعز ... زمانهم خوزقوه من امبارح ... مش سمعتيه وهو بيتأوز على انتصارنا!

تمرباي: خسارة ... الوحيد الذي كنت بافهم كلامه ... وكنت معاه بافهم الدنيا ... تعرفي يا زليخة ... كل السلاطين عشان رجالة: أغبيا! وخصوصًا بابا الغوري!

زليخة: ماتقوليش كلام الناس.

تمرباي: أهه ... آدي انتي قلتيها ... تصوري إنه عايز يقبض على كلام الناس!

زليخة: يا أميرة، أبوكي مايقصدشي كلام الناس كلام الناس ... لكن ده راجل أدباتي زجَّال مسمِّي نفسه كلام الناس.

تمرباي: راجل؟!

زليخة: أيوه راجل ... طبعًا.

تمرباي: الله! ... وشكله إيه؟ ... أكيد حلو ... ما دام أبويا بيكرهه.

زليخة: راجل ... ده مجرم بيستهزأ بابوكي.

تمرباي: يبقى أكيد راجل هايل.

زليخة: نعرف منين؟ كلامه كله قلة أدب. غلط في غلط ... إشاعات ... ده بيقول إن احنا اللي شربنا مية المحيط الهندي!

تمرباي: صح.

زليخة: وإن الموانى بتاعتنا راحت عليها ... والتجارة فلتت من ايدينا!

تمرباي: صح ... صح.

زليخة: إيه هو اللي صح؟ ... ده بيقول إن، بعد الشر بعد الشر، السلطان، بعد الشر، حيطق بعد الشر، في مرج؟ مش عارفة إيه؟ ... وإن رجالته حيخونوه ويسلَّموه لسليم!

تمرباي: مؤكد الراجل ده مكشوف عنه الحجاب! ... وبيقول الحق ... بابا السلطان محتاج لحد يخونه ويقلشه؛ لأن مدة حكمه طالت قوي ... أكثر من المعتاد المملوكي.

زليخة: مولاتي ... عيب ... مش انتي اللي تقوليها!

تمرباي: ليه يا زليخة؟ خايفة يعلَّقوني على باب زويلة ... أو يشنقوني ويسلخوني حية؟ ... الله ... لعبة حلوة!

زليخة: يا مصيبتي!

تمرباي: مش أحسن ما يجوِّزني لحصان م اللي راكبهم!

صح كلام الناس، وكلامه صح ... مش يجوز يكون هو الواد اللي ف بالي والَّا أنا باحلم بيه؟ ... مش يجوز يكون هو الراجل اللي حيوقعني ف حبه وغرامه؟

زليخة: مين؟ لأ يا ستي ف عرضك، أنا مش ناقصة!

تمرباي: لكن أنا ناقصة؛ لأني ماحبتش لغاية دلوقتي ... الله لازم أحب حد ... والَّا فيه عندك كلام تاني؟

زليخة: الأمير جاب النصر هدية لفرحك ... حبِّيه.

تمرباي: أنا مش باحب القفل ده.

زليخة: يا أميرة تمرباي ... السبعة اللي قبله ... ماتوا علشان يرضوكي ... اللي مات عطشان في الصحرا وهو بيطارد العربان ... واللي شنقوه الفلاحين عشان حرق بيوتهم ... واللي اتخوزق على إيد التتر ... واللي واللي ... لكن ده علشان خاطر عيونك حفظ مركزنا بين الدول.

تمرباي: كلهم زي بعض، الواحد منهم يحط راسه زي السحلية على صدري، وفجأة عينه تبظ وينهج زي السمكة الحولة اللي خرجت من المية على سهوة ... ويحوطني بدرعات زي التعابين ... ويقول باحبك ... أقوم أنا لما أضحك من المنظر يزعلوا ... ويروح الواحد منهم منطور ... وراكب فرسه ويدوَّر الدبح في اللي يقابله ... الله! ... وعايزني ... أحبه طب ليه؟

زليخة: لكن انتي وعدتي الأمير تتجوزيه لو غلب العدوين!

تمرباي: حصل ... ورجعت ف كلامي ... إيه يعني! روحي هاتي قرفة ودوَّري على حد يكون سمع واتأكد إن الأمير مات ... وله عندي حلوان ... كامليه بسمور و١٠٠ دينار

بندقي ... (تخرج) يا رب يكون مات ... وكلهم يموتوا ... كله عايز السلطنة ... مع إن بابا السلطان مش ناوي يموت ويسيبها، وعينه مفنجلة قد كده ... الخطرين يا وسَّطهم يا نفاهم يا قتلهم ... واللي طمَّاعين سلخهم أو فلَّسهم ... واللي ف حالهم حلَّفهم على مصحف عثمان ... داهية، بابا السلطان ده داهية كبيرة ... وعشان كده اللي حيتجوزني منهم، نقبه حيطلع على شونة؛ لأن بابا مش ناوي يسيبها، ولا لبنته وجوزها، أنا عايزاها بس من باب التغيير زهقت ... حتى هدوم التمثيل دي قرفانة منها موت.

(تتوجَّه بالحديث للحاضرات.)

يا ساتر ... أي واحدة عايزة تلعب الدور ده مكاني ح اخلع عليها هدومي ... على طول ... وح انزل أقعد أتفرَّج عليها وسط الشعب ... واشوف حتقدر تتحمَّل قرف اللعبة دي قد إيه ... تصوروا سبعتاشر سنة متحملة ... وبعدين ييجي واحد يبرَّق في عيني ويحول ... ويحلف إنه بيحبني ... كدب ... نِفسي حد مرة يقول الحق ... وياخدني على مشمِّي ويديني علقه عشان أعقل. وجاية تقولي لي اوعي تسمعي كلام الناس! دانا أكيد ح اقع في حبه ... أو يمكن بحبه فعلًا ... لأنه راجل ... وقال لأ ... يا غوري ... بطَّل كدب ... كفاية كده.

(الطالب يدخل ويستمع إليها فترة ويراقبها ثم يتقدَّم ويلمسها فتصرخ وتنادي الحرَّاس.)

الطالب: يا آنسة ... ماتخافيش ... لأ ...

تمرباي: يا حرَّاس ... الحقوني ... عفريت!

الطالب: أنا ... لأ ... دانا ... أنا ...

تمرباي: إنت مين؟ أمير؟

الطالب: أعوذ بالله! أنا شكل أمير؟! ... هدِّي نفسك دانا من الشعب.

تمرباي: مين؟

الطالب: طالب في الجامعة العربية، صعلوك ... جاي أدرس لغز الغوري اللي حيَّر الجميع ... بتبحلقي فيَّه كده ليه؟ ... آه ... بدلتي؟ دي جاهزة من بلد اسمها بورسعيد ... مدينة حرَّة لسه حتظهر بعدين على الخريطة ... أكيد؟ لأ؟ شنبي؟ غريب هه! مع إنه ولا حاجة جنب الشنبات اللي هنا!

تمرباي: إنت مين ... بالضبط بالضبط؟

الطالب: طب اقعدي ... حنفضل واقفين كده! ... ده حتى الكلام يزعل مننا، والَّا انتي مستنية حد؟

تمرباي: إنت طلعت لي منين؟

الطالب: أشرح لها ازاي دي بقى؟! يا ستي أنا مش من هنا ... أنا من بعدين قوي، من قدام ... أكبر منك يمكن بخمسميت سنة.

تمرباي: يعني عارف مستقبلنا ...

الطالب: فيما يختص بابوكي آه ... ومستقبل السلطة دي آه ... عارف كتير قوي.

تمرباي: أنا قصدي مستقبلنا احنا ... مستقبلي أنا ... أكيد إنت شايف حاجة ... أصل أنا مش شايفة حاجة خالص ... مين اللي ح احبه؟ هه!

الطالب: احم ...

تمرباي: مش عارفة ممكن يحصل إيه بعد دقيقة واحدة من دلوقتي؟ قول لي ع اللي تعرفه ... اتكلم ... جاي تعمل إيه هنا؟ ... قول!

الطالب: يا أميرتي العزيزة أنا جيت في مهمة محدَّدة ... عايز اعرف ليه اتهزمتم قدام البرتغاليين؟

تمرباي: اتهزمنا؟!

الطالب: ماكانش فيه طريقة تمنع التدهور اللي حصل ده؟! الأسواق تخرب ... والعملة تقل قيمتها وتتغيَّر سبع مرات في خمس سنين ... هه؟ ليه؟ عايز اعرف ليه الفلاحين سابوا الأرض ومابقوش فلاحين؟ ... وليه الدود ضرب في كل حاجة؟

والوظايف تتباع؟ ... والمراسيم تتغيَّر وتتفصَّل حسب الثمن! والمقشرة عمرانة بالمعصرين والمشنكلين؟! ... الفقر والبذخ. الشحاتين والحرامية والأمراء والمقدَّمين ... ومع ذلك استمر حكمه كل المدة دي؟! وكأنه لزقة مش حتتطلع إلا بطبل انتصار العثمانيين ... بعد ما يبلينا بأكبر هزيمة عرفناها في العصور الوسطى ... بعد متين و٦٧ سنة مملوكية عباسية ... بلا نيلة!

تمرباي: إنت الأدباتي ... هه؟

الطالب: ماحصلش.

تمرباي: إنت بتاع الكلام، ده ... كلام الناس ... إنت؟

الطالب: أنا ... إزاي؟ ... ياريت!

تمرباي: وقدرت تقتحم القصر؟ رغم كل الحرس والطوارئ؟ إنت شجاع كمان ... هايل ... باحبك.

الطالب: استني بس ... خدي نفَسك ... الحكاية ...

تمرباي: يا سلام ... واخترقت البستان ونطيت السور! إزاي؟!

الطالب: يا ستي خلي بالك إن ممكن أبوك يخش ف أي وقت ... مش كويس ... وانا وحداني.

تمرباي: وانا وحيدة.

الطالب: لو شافك حد كده ... حيطيَّر رقبتي على أحسن الفروض.

إنتي سنِّك كام سنة؟!

تمرباي: ١٧ سنة.

الطالب: صغيرة.

تمرباي: لأ ... دانا كبيرة خالص ... بص ...

الطالب: للأسف أنا ٣٤ عمري قدك مرتين ... مش حينفع.

تمرباي: إزاي؟ ... مين قال كده؟ ... داحنا متناسبين جدًّا ... حتى شوف ...

الطالب: ماتبصليش كده!

تمرباي: أمال أبص ازاي؟

الطالب: مش عارف ... إنتي عارفة؟

تمرباي: يا ترى انت اللي انكتب لي احبك ... واللي انا عشت العمر الطويل ده استناه؟

الطالب: ياه ... تنتظريني أنا؟ ... قلت لك مش حينفع لأني من بعدين قوي ...

تمرباي: قول إن انت اللي ح احبك ... قول!

(يدخل ابن القارح.)

ابن القارح: أنا استادار القصر الجديد، الخادم المطيع المقرَّب من السلطان ومن الحريم ... والمشرف على المطابخ والأفران، والمكلَّف بالغلمان وبالنسوان، والأمين على المخازن والبيوت في كل مكان ... وانت مين؟ ... أنا لما ماعرفش اللي قدامي ... يبقى داسوس على السلطان. ولا بد اني أقوم بواجبي، واحطُّه في العرقانة لحد ماينتن، أرميه للكلاب.

(الحراس يلفُّون الحبال حول الطالب، والأميرة تنزع الحبل وتلفُّه بنفس الطريقة حول ابن القارح.)

تمرباي: خذوه وحطوه في العرقانة لحد ما يعفَّن وتأكله الكلاب.

الطالب: أشكرك يا مولاتي ... أنا مَدين لك بحياتي ... عندكم غيره؟ ... مين اللي حيعمل شغله؟

تمرباي: اللي بعده حياخد مكانه وحيورثه.

كل ما مات اللي قدام فرحوا اللي وراه.

الطالب: لكن انتي رميتِه للكلاب ... كده ممكن أبوك يزعل؟

تمرباي: أبويا؟ أبويا حينبسط جدًّا ... أولًا لأنه حياخد نص أملاكه على الأقل ... ثانيًا لأن اللي حيحل محله قدامه مدة على بال ما يطمع في السلطنة.

وبكده ... تطول مدة اطمئنان أبويا ... دانا بخدمه ... رغم إن ده ضد معتقداتي.

(يضحكان.)

الطالب: إنتي ذكية ... ورائعة ... مش فاهم ليه بس حالتكم منيلة كده؟

تمرباي: وانت عاجبني ... قول لي بقى بصراحة ... هو انت؟ ... أرجوك ... (تبكي) أنا وحيدة جدًّا.

الطالب: مافيناش من عياط يا مولاتي تمرباي ... لأ ... اسمك تمرباي؟

تمرباي: هم.

الطالب: الله! هم اسم جميل يتاكل أكل ... (تضحك.)

تمرباي: كنت نسيت الضحك من زمان ... الضحك مقتول في القصر، حتى البهلوان اللي كان بيضحكنا خوزقوه بمناسبة الاحتفال!

الطالب: ماتفزعيش ... تعالي بس ... اهدي ...

تمرباي: كل الدم ده ... وكل الكدب والرعب ... ومش عايزني أتفزع ... خدني معاك من هنا!

الطالب: بيني وبينك خمسميت سنة.

تمرباي: ومع ذلك باحبك.

(يدخل ابن القارح في شكل جديد.)

ابن القارح: أنا استادار القصر الجديد خادمكم المطيع المقرَّب من السلطان ومن الحريم، والمشرف على المطابخ والأفران ... والمكلَّف بالغلمان وبالنسوان ... والأمين على المخازن والبيوت في كل مكان ... ويشرفني رؤية وجهك الجميل الذي يجلب السعادة ... الجميلة ... لأخبرك أن بابا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري الأشرفي ... موجود هنا ... هنا.

عاش عاش!

(يقترب من الطالب) أنت لا تهتف من قلبك؟ ومَن لا يهتف للسلطان من قلبه يُثير الشك بقلبي ... وعندما أشكُّ في إنسان ... فإنني أرسله فورًا إلى العرقانة ليتعفن ثم تأكله الكلاب.

(الحراس يلفون الحبل حوله – الأميرة تفك الحبل وتلفه حول ابن القارح.)

تمرباي: خذوه ... ارموه في العرقانة ليتعفَّن وتأكله الكلاب!

الطالب: أنقذتي حياتي مرةً ثانية ... الثالثة حتبقى تابتة ... عن إذنك!

تمرباي: رايح فين؟ ... ح اعمل إيه لوحدي؟ ... ماتسيبنيش ... والَّا ح اتجنن، ح اكلم الحيطان ... والحجر ... كل اللي هنا زي ماشفت مزيفين ... إنت بس اللي حقيقي ... ومع ذلك ح اضطر أتخيلك، أرجوك ماتمشيش ... أكيد ح اعيا ويمكن أموت ... هه ... إنت ساكت؟

الطالب: وإنتي بتتكلمي.

تمرباي: إيه ده؟ ... جرح قديم؟ من إيه؟ ... من خصمانية بالسيوف ... مع مين؟ ... والَّا من التعذيب؟ ... إنت اتسجنت؟ ... عذبوك في العرقانة؟

الطالب: تقريبًا ... لكل عصر عرقانته.

تمرباي: أرجوك قول لي؟ ... لازم اعرف ... وح اعرف من مين غيرك؟

الطالب: أبوك على وصول، دلوقتي دلوقتي. اعملي معروف!

تمرباي: أنا مابيهمنيش.

الطالب: أنا بيهمني.

تمرباي: وانا مسنودة لصدرك، أقدر أسمعهم وهمه بيتصعبوا عليه ويقولوا بكره لما أموت: صعقها الحب ... ومش ح يهمني ... برده ما دمت أموت على صدرك!

الطالب: يا حلوة أرجوكي ... باي باي ... بابا جاي.

تمرباي: مش ح اسيبك تمشي ... طول عمري باحلم بفارس أحلامي ... واهه قدامي ... قدامي ... ياه ... أنا سعيدة ... تصوَّر!

الطالب: سامع أصواتهم بتقرَّب.

تمرباي: أكيد بتحب واحدة تانية؟

الطالب: أبوكي وصل.

تمرباي: فيه واحدة تانية؟ ... لو فيه ماتقولش ... بعدين أموت!

الطالب: يا ستي أنا نفسي أقول لك الدنيا ماشية ازاي! ... اسمعي ...!

تمرباي: استخبي ... استخبي جُم ... لكن استناني!

الطالب: فين؟

تمرباي: ح اجي لك ولو في آخر الكون.

(يدخل ابن القارح والعسكر ومجموعة صحفيين ومصورين – عدسات تصوير.)

(بروجي – هرج ومرج – وجري ... وسط الزيطة يدخل عمرو وشجرة الدر يتحدثان في وقارٍ، الكل ينحني ظنًّا أنه السلطان.)

شجرة الدر: أنا اللي خليت عز الدين أيبك سلطان، تنازلت له عن العرش. كنت باحبه فإذا بيه يخونني مع مراته ... كان بيخطط يتعشَّى بيه ... لكن أنا اتغديت بيه ... لكن قتلوني بالقباقيب ورموني للكلاب ... دعيت عليهم ... مافيش سلطان منهم مات على فرشته مرتاح البال ... اللي على الجسور نهشت النسور جثته ... واللي دوبت الشمس عضمه في الصحرا ... واللي ... واللي ... ها ... ها ...

عمرو: ويبدو لي أيضًا أنهم كذابون ... ولذلك احتاجوا لنا لكي نشهد على انتصارهم! على مَن؟! البرتغاليون؟! لست أعرفهم ... هل هم نوع من الروم؟ ... كنا نسوقهم أمامنا مثل النِّعاج ... ولكن ما يُحيِّرني شيء، أن قائد الجيش هنا، والمعركة على بُعد آلاف الأميال ... نوع جديد من القيادة ... ولكن ... انظري ... نفس الوجوه التي تعوَّدت أن أراها عقب كل هزيمة ... أو انتصار ... نسور جارحة ... ضباع. أعوذ بالله ... لو كنت أدري أن الأمور ستسير إلى هذه الدرجة من السوء ... لما ...

شجرة الدر: تعالى من هنا ... حتى لا نُقابل ذلك السفاح الذي يتحرَّش بكَ كلما رآك. تستطيع أن تجلس في هذا المكان لنشاهد كل شيء ... هيا ... فالبداية على ما يبدو كانت على يديك القويتين ... نعم أظنه أنت ... كنت البداية قبل بدايتي.

عمرو: نعم! قصدًا أخَّرت قراءة خطاب الخليفة حتى عبرت حدود مصر ... خفت أن يثنيني عن فتحها ... هل أخطأت، أم كان صوابًا ما فعلت؟ لست أدري ... فهي بلاد كالحلوى ... تجذب كل ذباب الأرض ... ولذلك أثقلها الدخلاء بالجرائم، وأغرقوها في الدماء ... الآثمون من كل جنس ولون حتى من أبنائها يحمِّلونها رهقًا.

شجرة الدر: لا تشغل بالك بالأجناس ... فإن الله يُسلِّط جنسًا على جنس.

(الغوري يظهر – ترتفع الهتافات ... يبدأ في تحية الناس ... يوزِّع أزهارًا على كل مَن يقابله ... في رقَّة.)

الغوري: أبنائي ... (هتافات) ها نحن أخيرًا نلتقي بعد مسيرة طويلة ... وناجحة بكل المقاييس ... وانتم عارفين ... أنا من الأول، الأول رفضت السلطنة ... لدرجة أنني بكيت بشدةٍ وبكل صدق ... لا أريد هذا ... لا أريدها! مسئولية كبيرة ... أن تحكم بلدًا كهذه ... وأنا رجل بسيط ضعيف ... وقلبي خفيف ... كلهم كانوا ضدِّي — قيت الرجبي أمير سلاح، ومصرباي أمير كبير — ولذلك سلطنوني لأحمل ذنوبهم وذنوبها ... وذنوبكم، وكيف سأقابل ربِّي ... وفي رقبتي طعام كل هؤلاء الجوعى ... وملابس كل هؤلاء العُراة ... ولكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل ... وقد حاصروني ... فلم أجد بدًّا إلا أن أجلس على المكان الوحيد الآمن ... على العرش ... ثم قتلتهم جميعًا ... نعم قتلتهم ... لم يكن لي أن آمن لهم ... والأخطار كانت حولنا في كل مكان ...

لست أُلقي الكلام على علَّاته ... ولكن ها هي الإحصاءات والوقائع ... والحسابات ... والأرقام ... هي التي تتحدث وتتكلم ... نعم ... وكلها تؤكد أنني فعلت لمصر كل شيء ... ودفعت لها كل شيء ... وصرفت عليها كل شيء ... حتى لم يبقَ شيء.

(هتافات.)

عشنا معًا وكافحنا إيد لإيد ... وحققنا أهدافنا العظيمة، أوقفنا نزف الدماء وغلبنا أهل الدهاء ... فيما عدا بعض الفلاحين الذين يهربون من فلاحة الأرض من الجعيدية ومن الزُّعْر ... والأوباش ... وسكان الحارات البرانية، الذين لا يريد أحد منهم أن يشتغل بصنعة.

وفيما عدا بعض العربان الذين لسَّنوا على «أيبك» وقالوا إنه عبد ومملوك ولا يصلح لما تصلح له الملوك ... وهل هم يصلحون؟ تصوروا ... لو أن العربان حكمونا ... كان حالنا يبقى إيه؟

أما اليوم ... فإنه ليسعدنا أن يتقدَّم مواكب احتفالاتنا ... بالنصر ... صديقي سليم العثماني بنفسه — مفاجأة ... هه؟ سربريز!

ففي الوقت الذي دمَّر فيه الفرنجة السد الذي بناه ذو القرنين ... ووصلوا بحر الروم ببحر العرب يضع هو يده في يدي ... لنبني سويًّا عالَمًا أبديًّا ثابت الأركان ... من الثقافة المشتركة والأمن بين أولاد العم ... واليوم سنبني هرمًا رابعًا ليكون مزارًا لأحفاد المعتدين ... ليعرفوا كيف حافظنا على طرق التجارة آمنة وليعرفوا أننا ... وليعرف الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

ابن القارح: هرم الجيزة الأكبر ... إحدى عجائب الدنيا السبع ... مبني على مساحة ١٢,٥ فدان مربَّعة تمامًا ... وله أربعة أضلاع. كل واحد منها يواجه جهة من الجهات الأربعة ... وقد استُخدم في بنائه حوالي ٢ مليون و٣٠٠ ألف حجر ... متوسط وزن الواحد منها ٢,٥ طن ... وارتفاعه حوالي ٥٠٠ قدم أو ١٦٧ مترًا تقريبًا، واستُخدم في بنائه مائة ألف عامل ... مات منهم على الأقل ستون ألف ... وسيستمر العمل فيه حوالي عشرين سنة إن شاء الله ... وسهَّل.

الغوري: ولقد قرَّرت أن يبدأ العمل فيه من الغد ... في وجود كل هؤلاء الضيوف الكبار ليكونوا شهودًا على مَن سيزيفون التاريخ بعدنا وسيتقولون غدًا بأننا هُزمنا ... يا ابن القارح.

ابن القارح: أمرك يا مولاي.

الغوري: هل حضر جميع الضيوف؟

ابن القارح: نعم يا مولاي ... ولكن فيه بعض سوء الفهم ... فقد اضطُررنا لمنع الملكة كليوبطره.

الغوري: كيف تجرؤ؟

ابن القارح: منعها فقط من الظهور عند باب السلسلة ... لأنها جاءت عارية تقريبًا يا مولاي كسِلْو زمانهم.

الغوري: تخلُّف! ... ويسألون لماذا هُزمنا؟! اعتذروا لها وأدخلوها إلى جناحي مباشرة.

ابن القارح: وحاجة تانية يا مولاي ... الشاه إسماعيل الصفوي ... احتجَّ على وجود الخنكار سليم ... وانسحب وهو يهدِّد بالحرب قائلًا: إن الحية لا تلد كتاكيت، وإن مافيش حاجة تسر القلب تيجي من الغرب!

الغوري: يعني إيه؟

ابن القارح: لست أفهم.

الغوري: في ستين داهية! حنلاعب عيال إحنا؟!

(للناس) أبنائي، بهذه المناسبة البهيجة أُبشركم يا أصدقائي لكي تنفتح شهيتكم للطعام؛ فقد حققت ما وعدت به منذ بداية ولايتي ... قضينا على كل الأعداء الداخليين ... ولم يبقَ سوى مُعارض واحد ... هو الأُدباتي السافل ... بتاع كلام الناس ... وما هو إلا داسوس خنَّاس، وأزجاله بذيئة وعديمة الفنيَّة وغير موزونة ... لكن أُبشِّركم أننا قبضنا عليه ... وهذا فأل حسن لاحتفالنا ... و...

(هتافات.)

تمرباي (منزعجة)**:** قبضتم عليه؟ ... إزاي؟ ... معقولة!

الغوري: وسوف نُجري له محاكمة عاجلة وعادلة ... فنحن لسنا برابرة ... حتى أعداؤنا نكفل لهم المحاكمة العادلة ... فقلب العالَم يدق على دقَّات طبولنا ... فهيا للمحاكمة الفورية!

ابن القارح: قبل الأكل يا مولاي!

الغوري: لك حق يا ابن القارح فلنؤجل المحاكمة للفصل الثاني، أما الآن فكلوا واشربوا من خيرات مصر.

واعزفوا الموسيقى ... الضيوف هم الأولى بالرعاية، فنحن أصحاب كرم.

أشعلوا البخور ... انثروا العطور ... عايزين موسيقى شعبية وباليه وطبل ... وزمر ... ورقص ودانص ثقافة ... ثقافة لكل الناس ... ثقافة ... شعبية!

(تُضاء الأنوار ويشارك الجميع في رقصة عامة وأغنية تلبيةً للإرادة السَّنية السلطانية.)

ثقافة ... ثقافة

قهاوي

صحافة
رداوي غناوي
في سوق الهيافة
تعيش الثقافة.

* * *

وآهي الناس تفرفش
في ضلَّك تنعنش
يا سلطان مخلي رقبتنا زرافة
بفضل الثقافة.

* * *

مطولها خالص
وإيه اللي ناقص
م القلعة نرقص لكوم الشقافة
بلبس الثقافة.

* * *

مماليك وهيبة
وعمة شيبة
وعقلك يا غوري مثال الحصانة
ونبع الثقافة.

* * *

يا طلعة بهية
كلامك بديع
لياليك هنيَّة
وعصرك ربيع
فاض النيل بأمرك عصر الجوافة
محلي بثقافة.

(تُوزَّع المشاريب.)

الجزء الثاني

(استعراض موكب وفد العسكر يحيِّي الغوري وهو يحيِّي الجماهير مع ابنته.)

يا غوري يا رافع رايات الصمود
يا فاقع مرارة العدو الحقود
نسبِّح بعدلك
ونسمع كلامك ولا يوم نجادلك
ما دام فيه جراية كفاية وبارود.

* * *

إحنا المماليك فخار الممالك
عبرنا ألوف الظروف والمعارك
وكل اللي قادر
وشاطر مغامر
بيسبق إلى العرش لو كان مبادر
وفزت أنت كلت البلد بالجنود.

* * *

وإذا كنا من كل أرض اتخطفنا
رمانا قدرنا في مصر اتحدفنا
ملكنا ترابها
جمعنا دهبها

وريحنا نمنا على كتاف تعبها
فخمسة وخميسة في عين الحسود.

* * *

آدي احنا انتصرنا انتصار الأسود
ورجَّعنا بالحرب مجد الجدود
رجعنا ... واحنا
كده زي ما احنا
وطبل انتصارنا أغاني ولحنا
ملبش أعادينا خلف الحدود.

(الغوري مع ابنته بعد الموكب.)

الغوري: بنتي حبيبتي، مؤكد عجبتك الحفلة ... كل ده علشانك ... نمتي كويس؟ ... هاتي قبلة لبابا.

تمرباي: بابا ... بابا.

الغوري: إيه؟ ... مالك متغيَّر حالك ليه؟ ... إحنا النهارده ف عيد.

تمرباي: مش عارفة أقول لك ازاي؟ ... مش عارفة إن كنت تفهم والَّا لأ!

الغوري: نعم! فيه إيه ما أقدرش أفهمه؟ ... كونك بنتي لا يعطيك الحق في الشك في قدراتي ... إحنا النهارده فوق قمة التاريخ، قلب العالم في قبضة ايدينا.

ابن عثمان نفسه جاي بنفسه يسترضينا ... واللي ضاع من أراضينا حنعوضه بكره.

تمرباي: إنت مش عارف أي حاجة عن بُكره.

الغوري: يا بنتي أنا عارف كل حاجة ... الرمَّالين فاتحين المستقبل قدامي زي الكتاب ... كل اللي حصل كان غلطتي ... لأني سمحت لنفسي أضحك على كلامه من باب الديمقراطية — كنت فاكره ينفع مضحك بدل جوهر الزنجي.

تمرباي: اللي سلخته حي وحشيته تبن!

الغوري: ده كلام عدوِّي ... إزاي يتقال في القصر ... تبقى فوضى يا بنتي ... الحقايق كلها ظهرت ... هزمناهم ... وانتهينا.

تمرباي: إحنا فعلًا انتهينا.

الغوري: لسه بدري ... خلاص حبيبك وصل. وح اعمل لكم زفة أجدع من زفة قطر الندى.

تمرباي: مش بتقول فيه أزمة وتشحيط في المون والفلوس؟!

الغوري: ده كلام بنقوله عشان المماليك يهمدوا، والخلق يتهدُّوا عننا، لكن عشانك إنتي وأميرك الخلبوص كله تحت أمرك وأمره.

تمرباي: تقصد ...؟

الغوري: طبعًا ومين غيره حبيب قلبك وقلبي ... لولاه كانوا البرتغاليين خدونا على خوانة ... سابهم لحد ما وصلوا بحر الحجاز ...

وغرَّقهم عن آخرهم.

تمرباي: حكاية لقبل النوم ممكن يحكوها للأطفال بعد خمسميت سنة.

الغوري: هو اللي حافظ على المستقبل.

تمرباي: المستقبل؟! إنت مش عارف أي حاجة ... يا بابا يا سلطان الزمان كل ده مش حقيقي ... ده كله عيرة ديكورات ... سلطنتك وحربك وحتى قائد أسطولك ... وعمتك دي مجرد إكسسوار ... وده كله تمثيل في تمثيل، إنت مش قادر تفهم، المستقبل غير كده خالص ... المستقبل حيعملوه ناس تانيين.

الغوري: يا خسارة، مخك اتروش.

يا بنتي المستقبل في ايدينا ... والفضل لأميرك الشجاع ... ضحَّى بكل رجالته ورجع لك حي بكل كرامته.

تمرباي: وعايزني هدية مكافأة على شجاعته.

الغوري: حق المنتصر.

تمرباي: لعلمك بقى أنا مش ح اتجوز أي أمير!

الغوري: أمال ناويه تتجوزي مين؟

تمرباي: حزَّر فزَّر!

الغوري: غلب حماري ... مين؟

تمرباي: خمن؟

الغوري: ماخمنش قولي مين؟

تمرباي: هو.

الغوري: مين؟

تمرباي: الأدباتي ... كلام الناس ... الزجال اللي انت بتدور عليه.

الغوري: هاها ... مش ممكن ... مش حينفع ... لأننا خلاص قبضنا عليه ... وحنعدمه ونحاكمه؟! قلتي إيه؟

تمرباي: هاها مش ممكن ... قبضتوا عليه ازاي؟ ... إذا كان عمركم ماشفتوه ... ولا تعرفوا شكله!

قبضتوا على كلامه؟!

الغوري: يا ساذجة، ما دام اعتقلناه يبقى عرفناه ... أنا ليَّه يا بنتي بصاصين في كل شق ... ويقدروا يقولوا إنتي حتفكَّري في إيه بعد بكره، ثم إن احنا كنا عارفينه من الأول.

الحمار الثرثار. بتضحكي؟! ... أيوه حمار ومجرم ... أنا كنت على راس الموكب بنشق المدينة ... الزينة ماحصلتش ... النسوان بتزغرط من الطيقان ... الطبول والبرازانات عاملة هيبة وجو ... موسيقى تصويرية تشرح القلب ... هتافات الناس بتهز كيان العالم ... أحمر وأخضر وأصفر الأعلام زي الأطفال بتنادي على السلطان ... ايدين وقلوب بترفرف ... وحمام بيهفهف وانا وسط كل ده بالشاش والقماش والكمبوش والقبة والطير ... أول ماشافني الشعب ... زعق ... وهيَّص ... كله هتف وهلل ... من قلبه ... إلا هو ... المجرم السافل ... رقمته وسطهم ساكت بيبتسم في سخرية وبلاهة ... قلت أكيد اللي يقدر يسكت وسط الزيطة دي يبقى بيفكر في حاجة فظيعة ... حاجة مايقدرش يبعد عنها بالزعيق والهتاف ... قلت لابن موسى ... عليَّه بيه يا بركات أول ما الموكب يعدي.

تمرباي: ومسكتوه؟

الغوري: طبعًا ... بعد ما عدَّى الموكب ... وكل الناس شبعت م الهتاف ليه.

تمرباي: وكلهم دوَّروا وشهم، وشتموك، واتريقوا على هدومك وحركاتك وقالوا نكت زي كل مرة!

الغوري: فعلًا.

تمرباي: وهو ساكت برده!

الغوري: فعلًا.

تمرباي: راحو رجالتك الأغبيا حسب أمرك الغبي ... واعتقلوا الساكت الصامت الوحيد.

الغوري: الشجاع الوحيد!

تمرباي: إزاي بقى؟

الغوري: لما واحد يمثل دور الشجاع ويسكت في وقت زي ده لازم يكون داهية مسيَّحة، وانا لا أحب الدواهي المسيَّحة ... ولا أثق بالصامتين ... المتكبرين الأوغاد ... أنا مابيهمنيش اللي بيزعقوا ... حتى ولو كانوا بيشتموني.

تمرباي: ليه؟
الغوري: لأني عارف همه بيزعقوا ليه.
تمرباي: ومايهمكش اللي بيتريقوا ويضحكوا.
الغوري: لأني عارف هم بالضبط بيضحكوا على إيه؟ ... أنا عارف اللي بيتكلم قال إيه وماقلش إيه؟ ... وليه!

(يتحدَّث وكأنه يهدِّد الحاضرين.)

عارف اللي معاه ... من منين؟ واللي مامعاهش ودَّاه فين؟ لكن اللي ساكت ... ماباعرفش هو مخبِّي إيه؟ ... وماقلش ليه؟ ... وده ماهتفش ولا حتى اتريق زيهم ... قصده إيه؟!

(الطالب يدخل من فترة ثم يظهر نفسه مترددًا.)

الطالب: احم ... تسمح لي أقدِّم نفسي!

(الغوري يشهر خنجره.)

الغوري: إنت! ... هو ... الكداب المجرم.
تمرباي: مش هو يا بابا ... أكيد مش هو.
الغوري: مين انت؟
الطالب: أنا راجل بسيط ... إنسان.
الغوري: تبقى هو.
تمرباي: يا بابا ده من بعدين قوي.
الغوري: يعني إيه؟
تمرباي: ده راجل تاريخي.
الغوري: هو انت؟ ... جيت في وقتك عشان تشاهد انتصارنا على آخر الأعداء ... ياللا ... روح للاستادار وقول له يجيب الولد الكداب الشاعر اللي اعتقلناه عشان نحاكمه قدامك للتاريخ ... ياللا ... المحكمة محكمة.
الطالب: مولاي السلطان.
الغوري: ليه مش بتروح؟

تمرباي: عايز يكلمك عن حاجات مهمة.
الطالب: عايز أوضح لك ...
السلطان: إنت؟ ... توضح لي ... إيه؟
تمرباي: ليه الحكاية تمثيل في تمثيل.
الطالب: أنا أصلي من بعدين كتير، وعندي معلومات ممكن تنفعك.
الغوري: هايل ... تبقى شاهد ضده في القضية ما دام عندك معلومات.
الطالب: دي معلومات عنك أنت ... أنا كتبت رسالتي عن إنجازاتك وأعمالك العظيمة ... السبيل والوكالة والبستان ... والمسجد الحرام.

(الغوري كمن لُدغ.)

الغوري: كدب ... المسجد ده بنيته بأموال حلال.

(تنفجر تمرباي ضاحكة وتحاول أن تشرح للطالب وتهدئ غضب والدها.)

تمرباي: مايقصدش يا بابا مايقصدش ... (للطالب ضاحكة.)
الناس سمُّوه كده علشان نهب العمدان والقبلة من القصور والقبور — ليه كده بس؟!
الطالب: ما أقصدش يا مولاي ... أنا قصدي إني قريت عن المساجد والمقشرة والسراديب والعرقانة ... والمنشار الأوتوماتيكي اللي بتنشر بيه العربان ... المفرمة.

(تمرباي تضحك.) ... (والسلطان يتباهى.)

الغوري: وح ابني الهرم الأكبر كمان ... عشان الأحفاد والأجيال تذكر انتصارنا على البرتغاليين.
الطالب: احم ... وأحفادهم ييجوا ويدفعوا عملة صعبة على شرف خيبة جدودهم!
الغوري: بتتنأوز؟!
الطالب: وانا أقدر وخنجرك في قفايا!
تمرباي: قصده ع السياح يا بابا ... ضيوف زي السفرا والقصاد.
الغوري: أمال إيه العملة الصعبة دي؟
تمرباي: دنانير بندقية ... بس أمريكاني.

الغوري: عظيم ... أنا ح اسمح له ... احكي عن أمجادنا وانتصاراتنا وأكِّد على استقرار نظامنا ودولتنا إلى الأبد ... خلاص ... بنتخطى فترة النقاهة وح ننطلق.

تمرباي: يا بابا ده عارف حاجات كتير ... عارف مصايب ... ولازم تسمعه وتعمل اللي ح يقولك عليه.

الغوري: هو اللي ح يسمعني وحيعمل اللي قلت له عليه ... هيا.

الطالب: يعني سيادتك مش عايز تسمع بعض الحقائق. وتفضل أن التمثيل يستمر ... نكمل؟ والَّا أقول لك ع اللي كل الناس دي عارفاه دلوقتي عنك ... ونضرب كرسي في الكلوب؟!

الغوري: تمثيل ... تمثيل ... التمثيل لازم يستمر وإلا حيتهد المسرح على دماغنا كلنا ... هيا ... تمثيل.

الطالب: طب حاسب ... ماتزقش ... كنت باسأل بس (يفتعل ويرى الأم بين الجمهور) سمعًا وطاعة يا مولاي ... يا قوم ... يا حجَّاب ... يا أم متولي خشي واقعدي هنا. الله! أمال فين المحروس؟

الأم: مش لقياه ... ضاع مني في الزحمة ... أنا خايفة عليه قوي ليتوه.

الطالب: طب اقعدي هنا وبحلقي له قوي.

الغوري: شوفتي، ماقدرش يقول بم ... راجل تاريخي ... لكن قدرت أخضعه ... هه.

(تخرج هي أيضًا غاضبة.)

تمرباي ... استني ... يخص عليكي ... مش عارف زعلت ليه دي تاني ... والنبي لمخاصمك ... هه.

(يرى الأم ولكن يتجاهلها ويخاطب الجمهور.)

أنا عارف بتفكروا ف إيه؟ ... وبتقولوا عليَّه إيه في سركم ... عاملين إن انتم فاهمين كل حاجة ... والحقيقة أنه لو فيه شجاع واحد وسطكم ... ماكانش التمثيل استمر ... ولا الغوري قعد على العرش كل المدة دي ... ياكل وينهب ويقتل ويسلخ ... ويبيع الوظايف مرة واتنين وتلاتة للي يدفع ... ويقاسم الشحاتين — حتى الشحاتين — في أرزاقهم. ابعدوا الولية دي من هنا. (لا أحد يدخل) ... أنا عارف انكم بتتمنوا موتي ... مش كراهية

فيَّه لكن من باب التغيير ... لكن أنا بإرادتي باخرجكم تهتفوا للغوري طويل العمر ... وتكتبوا فيه الشعر غصب عنكم ... وتدعوا له ينتصر ... على من يعاديه وتزينوا الحيطان بالشاش والقماش ... وانتم عرايا ... وتدبحوا البهايم قدام الموكب وانتم مش لاقيين تاكلوا ... وبتدعوا لي بطولة العمر ... وانتم بتتمنوا يطلع عليَّه أي كلب ويبقر بطني بسكينة تالمة ... لكن طظ فيكم ... بعينكم.

(يراها فيتجاهلها غضبًا.)

أنا على قلبها لطولون وحاغير التاريخ ... وح ابني هرم مبني قبل كده إغاظة فيكم ... وحيحفظ أولادكم في المدارس إن أنا اللي بنيته ... وحتفضلوا تقروا اسمي بالمانشيت وع الصفحة الأولى للأبد كل يوم ... كل يوم ولا حدش حيقدر ينزلني من على صدركم ولا المؤلف الأهبل اللي مفبرك الحكاية الهبلة دي كلها.

(ينتبه للأم فينتابه الغضب.)

الغوري: إنتي لسه هنا؟ طلعوها يا ابن القارح ... ارموها برَّه ... حتى لو كان التمثيل محتاجها ... مش عايز أشوف خلقتها وإلَّا ...!

(يدخل ابن القارح مهرولًا والحرس ويسحبونها في قسوة.)

الأم: أنا كنت راجعة بلدي ... ابني تاه منِّي لو ألاقيه مش ح اقعد دقيقة واحدة هنا ... يا متولي ... تعالى لأمك ... مالناش حد هنا.

(يتضايق الغوري ويغضب ويبدو عليه الغيظ ... تدخل كليوبطره.)

كليوبطره: إمبراطوري الجميل ... مالك ... مبوِّز ف عيد انتصارك؟!
الغوري: إنتِ مين؟
كليوبطره: نسيتني يا غدار ... يا عينك يا جبايرك مش عارفني؟ ... أنا ... أنا التي من سحرها افتتن الدهر ...
وقال فيها ابن أباظة الشعر ...
الغوري: مين؟
كليوبطره: والشوك بريحة عطرها فتح ...

الغوري: معذور ... لخموني بالتوافه ... وغرقوني في الحماقة ... نسَّوني طعم الجمال ... يا ست الحسن والجمال.

كليوبطره: أنا مش ست الحسن والجمال ... لكن عذرك معاك ... اللبس غيَّرني. ماحدش واخد على إنه يشوفني كده ... يا عصفوري.

الغوري: أنا اسمى الغوري.

(تجلس على ركبته.)

كليوبطره: وانا كليو ... بطره.

(ينتفض.)

يا سم ... مالك واخدها جد كده ليه مش مهم الاسم.

الغوري: الحالة مأزمة جدًّا والوضع خطير.

كليوبطره: طول عمر الوضع خطير من أيام مينا وخوفو.

الغوري: النهارده الحالة دي ماحصلتش قبل كده.

كليوبطره: نفس اللي قاله قيصر ... وهو بينام على رجلي ... لكن أنطونيو قالها وهو بيبص في عينيه ... كل اللي بيصنعوا التاريخ على مزاجهم قالوهالي ... مهما كان اللبس اللي أنا لابساه ... وعشان كده بافضَّل أكون من غير لبس خالص ... عشان مايحصلش لبْس ... أصل أنا حبيت كل اللي صنعوا ولو حته قد كده في التاريخ ... همم! ... دانت وحداني خالص ... ياخراشي!

الغوري: من يوم ماقعدوني على الكرسي ... ده وانا باتمنى يوم هناوه ... الأكل والشرب ياما ... والجواري ع القفا، لكن مافيش راحة بال، عملت كل شيء علشان أرضي كل الناس ... لكن مافيش فايده!

(يقولها بطريقةٍ ما.)

فرَّقت عليهم قمحي ولحمي ... وقماشي ... برده ... لكن مافيش فايدة!

(بنفس الطريقة.)

مش عاجبهم ... عايزين رقبتي، كل يوم يقوموا ضدي.

كليوبطره: طول عمرهم ناكرين للجميل. ياكلوا من خيرنا ويشتمونا.

الغوري: قال وإيه بانهب الدكاكين والغيطان ... قال وباسرق مخازن التجار ... وبابيع الوظائف واقبض برطيل!

كليوبطره: كدابين، أوباش.

الغوري: ح اجيب لهم منين؟ ... ألبِّي طلباتهم إزاي؟ ... هو أنا بازرع والَّا باغزل ... ما هو لازم ألم وأجمع عشان أقدر أوزَّع ... أربعين سنة على كده ومش عاجبهم يهتفولي ويشتموني ف قفايا!

كليوبطره: منافقين ... معاك معاك، وعليك معاك.

الغوري: ويطلَّعوا إشاعات، ولما أقتل اللي بيرددها ... يقولوا لي مجرم وسفاح ... أنا؟

كليوبطره: يا له من ببغاء عقله في أذنيه!

الغوري: اللي يكدب على السلطان ويدعي الفقر ومايدفعش اللي عليه ليه ... أعمل فيه إيه؟

كليوبطره: اقتله فورًا.

الغوري: لأ، لازم يعترف على الأموال الأول ويقر، وإلَّا ضاعت ... أعصره من كعابه أقلع له عينه ... أكمشه بالكماشات ... أنا مش غاوي ... لكن الكرسي صعب والسلطة محتاجة ... يقولوا عليَّه سفَّاح ومصاص دم؟!

كليوبطره: قطع لسانهم من لغلوغه!

الغوري: لأ ... وعايزين زيطة وفنكشة وموكب كل يوم ... كل ليلة وأوزَّع إكراميات ... ولما أبيع الوظايف علشان أغطي مصاريفهم يقولوا برطيل ... طب أعمل إيه؟ ... دولة عايزة مصاريف!

كليوبطره: أنا فاهماك ... جدًّا بس ماتعيطش ... يا حبيبي.

الغوري: ويضطروني أعمل تجريدة ورا تجريدة ... وحملة ورا حملة ... ولا المماليك يرحموا ولا الفلاحين بيفهموا ولا العربان بيتهدوا ولا الفرنجة ... بيريحوني.

كليوبطره: هو هو ... نام ... ارتاح ونام ...

ح ادبح لك الحمام ... وأجيب لك السلام ... على فرش ريش نعام ... نام النه نام ...

الغوري (يهب)**:** وازاي ح انتصر من غير ما احارب! الحرب كرب وصعب ودم للركب، لكن أعمل إيه؟! هو أنا غاوي حرب ... أبدًا ... دانا بحب زراعة الزهور ... شوفتي الجنينة اللي أنا زارعها بايديه؟

كليوبطره: جنة.

الغوري: مش عايزين راحتي ليه؟! وبيحسدوني.

كليوبطره: أنا قلبي طول عمره معاك.

الغوري: ودلوقتي ... بعدما ارتحنا من كل الحروب ... يطلع لي حتة حشرة ... عشان يقول عليَّه ...

إنتِ قلت لي اسمك كليوبطره؟

كليوبطره: أنا بتاع المنتصرين ... خصوصًا في ليالي احتفالهم بالنصر لأني بافهم اللي محتاجينه بالضبط.

الغوري: كليوبطره!

كليوبطره: عيني.

الغوري: قولي لي يا مجرم يا سفاح.

كليوبطره: قطع لساني يا غرغر.

(يدخل ابن القارح.)

ابن القارح: أنا الاستادار ...

الغوري: اخرس ... عايز إيه دلوقتي ... جاتك داهيه ف شكلك!

ابن القارح: الأمير الشجاع الهمام أمير ما وراء الهند بعت طالب المثول بين أيديكم ... يدخل؟

الغوري: خليه يتنيل يدخل ... وانت تغور من وشي ... ارمي نفسك في العرقانة لغاية ما تعفن ... جاتك داهية انت وهو!

(الحرس يقودون الاستادار.)

الغوري: خلاص ... جه الفرج في وقته ... ح اريح دماغي واتنازل له عن العرش والسلطنة.

كليوبطره: اوعى!

الغوري: ح اجوزه بنتي واسيبه يصنع شوية في التاريخ ... واتفرغ لك انتي ... قصدي ... أتفرغ ... لأعمال البر ... أنا أصلي زهقت ... من قلة النوم نفسي ف حتة حنيَّة ... دانتي لو شفتيني من عشرين سنة! أنا اتغيَّرت خالص ...

لدرجة ماحدش م اللي عارفيني عادوا عارفيني.

كليوبطره: اقعد ع الكرسي أعرفك مهما اتغيَّرت.

الغوري: أنا حقيقي غير كده ... وحياة عيونك ... ماليش في الحكم وماكانليش في التمثيل ... دانا عاطفي جدًّا ... يااه ... فين أيام المراهقة ... خلاص ... نروح نصطاد سمك ... ونقرا كتاب ألف ليلة ... مع بعض ونعيش في كوخ زغنطط ... لقمة صغيورة تكفينا ... عش العصفورة يغطينا ... ونسكر طينة ... على أي شط مايوصلوش مملوك.

كليوبطره: وتكتب مذكرات سيرتك الذاتية.

الغوري: وعرفتي منين؟

كليوبطره: كلهم لازم يعملوا كده يا غرغوري.

الغوري: ده اسمي ده؟!

كليوبطره: همم!

الغوري: جديد ... ولذيد على لسانك يا كليوبطتي.

(يتعانقان.)

(زيطة وهيصة وهتافات، يدخل الأمير والاستادار الجديد هو ابن القارح أيضًا في شكل آخر – يعيش يعيش ... طبول بالتبادل مع الهتافات ... الغوري قرفان يلعنه سرًّا لاقتحامه المكان ... ويحاول طول الوقت أن يداري كليوبطره التي يشغلها الفارس الجديد ... قليلًا.)

الغوري: جئت في وقتك بالضبط يا بطل ...

بعد أن سبقتك أنباء انتصاراتك فأسعدتنا ... ولقد علمنا أنه بالرغم من غرق كل مراكبك إلا أنك ظللت تقاتل حتى آخر جندي، وها أنت جئت في اللحظة التاريخية لتأخذ مكافأتك التي تستحق.

(تلفت كليوبطره نظره.)

لا مش دي، إن أميرتك تنتظرك.

الأمير: إن من يؤدِّي واجبه لا ينتظر جزاءً ولا شكورًا.

فلا تؤجل عمل اليوم إلى الغد،

فتصبح ملومًا محسورًا ... إنني ...

الغوري: أنا عارف نفسيتك كويس (يبعد كليوبطره) وقد قررت تعينك أمير أخور كبير ... وأمرت بأن الطبلخاناة تمشي قدامك ... حتى وانت رايح الدبليو ... سي.

الأمير: هذا كثير كثير.

الغوري: على قد اللي بيموتوا بيبقى حجم الانتصار ... وكل ما زادوا المقتولين زادت مكافأة اللي عاش.

(يدفع الغوري كليوبطره إلى الخارج.)

الغوري: ولك كاملية بسمور.

الأمير: أنا لم أحارب من أجل الدهور والسمور.

الغوري: انتهينا ... أنا أمرت وانت تقبل ... طول عمرك بتقبل حتعمل عفيف على إيه؟

الأمير: حاربت من أجل الوطن ... المجد العظمة ... حاربت من أجل السماء ... الحق ... النظام الخالد إلى الأبد.

الغوري: عارفين ... وح اجوزك بنتي وح تكون وريثي؛ الجمل بما حمل.

(تدخل كليوبطره ومعها شراب.)

(تتغير اللهجة، وكأنهم رجال أعمال عصريون.)

الغوري: اووه ... شكرًا.

الأمير: مرسي.

كليوبطره: أكيد جاي من البحر عطشان؟

الغوري: الحر فظيع.

كليويطره: ويسكي ... فودكا ... جعة ... بتشربوا هنا إيه؟

الأمير: جين.

كليوبطره: وانت يا غرغوري؟

الغوري: احم ... عرقسوس.

مش باشرب كحوليات.

كليوبطره: أوه! يقطعني نسيت ... إسلاميك (تغازل الأمير).

الغوري: سيبنا دلوقتي ... نخلص شغلنا ... سيبونا.

(يبعدها.)

خلينا في موضوعنا ... الهرم الأكبر ... الكبير حنبنيه بإيه؟

الأمير: ها ... أنا في خدمتك في الحرب وفي السلم.

الغوري: حنبنيه بالحجر الرملي أفضل.

الأمير: يخيل لي أن الجرانيت أطول عمرًا.

الغوري: طبعًا لأن أبوك هو المسيطر على محاجر الجرانيت ... الحجر الرملي أنا ح ابيعه للدولة بسعر التراب.

الأمير: لكن مش حيبقى متين.

الغوري: خلاص ... منظر والسلام.

الأمير: أمرك يا مولاي.

الغوري: لو كان أبوك يشغل مخُّه ويعمل حساب نصيب مكاتب الخبرة وفرق العملة ... ويمشِّي أموره ... شوية كانت الدولة اشترت منه الجرانيت بسعر كويس، وانا كنت وفَّرت الحجر الرملي لمشروعات الإسكان الشعبي.

الأمير: السعر اللي تأمر بيه يمشي يا مولاي.

الغوري: أنا مش بافهم قوي في الأمور المادية دي ... اتصرف إنت وفوا الأوراق ... وزبطوها ... وخصوصًا مسائل العمولة ... والبرطيل والحلوان.

الأمير: خلاص يا فندم اعتبر اننا خلصناه النهارده.

الغوري: والرسوم والدمغات ... أنا مش عايز تدخلوني ف أي تفصيل.

الأمير: حنتصرف ريَّح بالك خالص ... إحنا ماكناش بنتصرف أي كلام ولا بالصدفة ... دي خبرة وشجاعة وتدبير.

الغوري: كاسك يا أمير.

الأمير: كاسك يا وطن.

الغوري: لكن فيه مشكلة يا أمير.

الأمير: الأيدي العاملة؟!

الغوري: التجاريد جردتنا من الجنود ... والمماليك مستنفرين ... حنحتاج على الأقل لمليون فلاح ... عشان يموت نصهم. العربان ما ينفعوش ... مالهمش في حضارة البناء

... وأهل القاهرة مش متحمسين، تصوَّر فيه إشاعات بتقول هرم إيه اللي حنبنيه وفيه في عهدة السلطنة تلاتة قدام.

الأمير: مش معقول ... فين؟

الغوري: ماقالوش.

الأمير: كدابين ... ولازم ينقطع لسانهم.

الغوري: قبضنا عليه وحنحاكمه.

الأمير: تحاكمه؟ ... يعني إيه؟

الغوري: يعني إننا مش برابرة.

الأمير: على كل حال أنا رأيي كل ما زاد عدد المعارضين سهل الأمر علينا، نسخرهم ... ألافوتر.

(يدخل الطالب.)

الأمير: مين ده؟

الغوري: رجَّع سيفك ... ده المهرج التاريخي.

الأمير: هه؟

الغوري: بتاع تاريخ ... (يضحك) عملت إيه يا بتاع التاريخ؟

الطالب: حسب أوامرك التمثيل حيستمر ... حنجيب المتهم.

والاستادار خد على عاتقه يفهمه خطورة إثبات براءته ... ومن الأكرم أنه يعترف بالخيانة العظمى خبط لزق ... لأن حكم الإعدام صدر ... وانتهى!

الغوري: عظيم ... يا تواريخي ... دانت طلعت أجدع من جوهر.

الطالب: دي مش نكتة يا مولاي.

الغوري: وبنفسك لمست يا أمير قد إيه أنجزنا النهارده.

اعتقلنا آخر واحد من كان واقف ضدنا.

وبكده حنبدأ فورًا عصر الاستقرار العظيم.

الأمير: سمعت إشاعة زي كده قبل ما أوصل.

الغوري: امتى؟

الأمير: الحقيقة لازم فعلًا نقطع دابر كلام الناس اللي داير في الحواري وسادد الطرق للقلعة ... زي النمل لحد باب السلسلة ... ولولا كان معايا بواقي العساكر المخلصين وكام

كيس دهب ماكناش وصلنا لهنا ... أول ما هتفنا باسمك معلنين انتصارك، الطوب بقي أكتر من الزغاريد، فاضطريت أبدُر كام كيس دهب على الزعر والحرافيش وألهيهم بيهم ... واقدر أدخل لك.

الغوري: هنا قدام القلعة؟ ... عايزين إيه تاني ... كل اللي حيلتي صرفته ع احتفالهم.

الأمير: تصوَّر خطفوا عمم عساكري ولعبوا بيها كورة.

وكانوا عايزين يخطفوا قلنسوتي ... لكن اضطريت للعنف، شايف الدم فوق سراويلي!

الغوري: لأ بقى دي قومة ... أسيب لهم السلطنة يطقشوا ف بعض وأطفش؟

الأمير: مش للدرجة دي يا مولاي ... إحنا فداك وهمه كمان لآخر واحد فيهم.

الطالب: الفرحة بانتصارك يا مولاي زادت حبتين. وانت عارف الناس بتحبك قد إيه؟

(تدخل شجرة الدر.)

شجرة الدر: إنت ازاي تسمح لنفسك تقدم الجراكسة على التركمان؟ إنت نسيت مين اللي خلى لكم سعر في البلد دي؟ ... هه ... الواحد منكم ماكنش يسوى تلاتة درهم ... صبحتم سلاطين! على مين الكلام ده يا غوري ما تنساش أصلك!

الغوري: يا مولاتي يا صاحبة الصون والعفاف ...

شجرة الدر: بلا صون بلا عفاف ... إنت طينتها ... كلهم بيشتكو من تشحيط التبن واللحم.

الطالب: قبضنا على المعلم علي الصغير عشان اللحم، وقد تم تعصيره من أكعابه وانتزعت حلمات صدره بكماشات حامية.

شجرة الدر: بلا نيلة ... لما انتو مش لاقيين تاكلوا عاملها خمس طبقات ليه ما كانوا اتنين!

الغوري: يا ست شجرة ...

شجرة الدر: اللي يتسلطن يتسلطن على قده ... وبلاش جُرسة!

الطالب: عندنا ضيوف يا ملكة المسلمين ... ومافيش داعي ... ننشر غسيلنا ف يوم مفترج.

كليوبطره: اتفضلي يا مدام.

شجرة: مرسي ... فيه كحول؟

كليوبطره: تفضلي إيه؟

شجرة الدر: في صحتك يا حلوة ... اسمك إيه؟ ... (تندمجان معًا.)

الغوري: وماقلوش القومة دي ليه؟

الأمير: قال عايزين تصدر عفو عن الولد ده ... الكلامنجي ... زي ماعفيت عن ... (يوشوشه.)

الغوري: مستحيل ... ده تدخُّل في أمور دستورية عليا.

الطالب: هذا اعتداء على السلطة ... لازم يحاكم علنًا، كلنا قدام القانون سواء ... ولازم يُعدم مع أن ياما سلاطين أعدموا وبدون محاكمة.

الأمير: وأي تصرف آخر حيدل على ضعف إحنا مش في حاجة إليه ... لازم من إعدامه.

الغوري: محاكمته ... محاكمته.

الأمير: وتوسيطه وخوزقته بعدين.

الطالب: وتعلق راسه على حربة كما تقضي التقاليد الأصيلة.

الغوري: أهه ... ممكن يطلع لنا ألف شاهد من التاريخ يأكد حقنا في إعدامه.

الطالب: بس أنا شايف ليكون مش هو اللي نقصده! كل الشواهد بتقول ...

الغوري: مش عايزين شواهدك ... اخرس!

الطالب: خرست ... بس أنا كنت عايز أنورك ... لتغلط في حق نفسك ... الضنا غالي!

الأمير: قصدك إيه؟

الغوري: تعالى هنا ... إنت تقصد إيه؟

الطالب: مش ممكن يطلع الولد ده قريب حد هنا؟

الغوري: بدأت تتكلم زيه ... وانا لن أسمح بالتساهل معاك زي ما حصل مع اللي قبلك.

الأمير: بيقول إيه ده؟

الطالب: ولا حاجة ... أنا أخرس.

الغوري: إحنا محتاجين رقبة يا بتاع التاريخ ... ورقبتك مناسبة جدًّا، الناس على الأبواب محتاجة ضحية تتلهي فيها ... وفي ظرف دقيقة واحدة من دلوقتي ح تقول لي قصدك إيه؟

الطالب: على إيه؟ ... أنا كان قصدي فيه زبادي على شنبك يا مولاي.

الغوري: كان قصدك تقول حاجة تانية؟

الطالب: أنا؟! ... مش ممكن ... دانا حتى اللي ف قلبي على لساني ... كلمنجي.

الغوري: يمكن تكون عايز تدخل التاريخ؟ ... تعمل كلام الناس؟ بطل الشعب؟ ... وعلى فكرة ... كل كلامك متسجل هنا ... إن كان نفسك حتلاقي لك مادة ... تكفي لقطع رقبتك ونشر القفص الصدري الجميل ده.

الطالب: يا مولاي! أنا قصدي إن الشعب الحقيقي عمره ما يضيع وقته في الشوارع ... لأن الشعب مشغول بأكل عيشه ولقمته الشريفة ... مهتم بتعليم ولاده الصنعة، ولما بيلاقي وقت يا دوب بينام يرتاح ... إنما اللي بيزعقوا في الشوارع دول غوغاء وعواطلية وصيع ... وعملاء ... دول أجنبية ... جواسيس مأجورين.

(في حماس مفتعل وخطابي يؤدي ما سبق.)

الغوري: يعني إيه؟ ... معناه إيه الكلام ده؟

الطالب: معناه يا مولاي إن الشعب الطيب العامل الشقيان اللي بيبني الحياة في صمت بيأيد السلطان في كل زمان ومكان ... واللي يلاقي وقت يضيعه في الصريخ في الشوارع ما همَّه إلا عملاء.

الشعب الحقيقي دايمًا في مكانه الحقيقي ... في الحقول والبساتين والورش والطواحين ... والموانى والسجون.

الأمير: برافوا.

الغوري: هايل جدًّا.

الطالب: عجبتك؟! والَّا لو كان الدم ده يا أمير دم الشعب ... كان ح يألمك جدًّا ... دم الشعب مؤلم إنما لأنه دم عملاء ... فهو مجرد ميكياج.

الأمير: مش فاهم الكلمات اللي بيرطن بيها دي!

الطالب: دي كلمات مفيدة جدًّا يا مولاي ... كلمات حديثة ... من عصر الصحافة المتقدمة ... تقضي على الحقيقة في مهدها ... فيسود الأمان والسلام.

الغوري: أنا كنت متأكد أنك داهية مسيَّحة ... وانا أحب الدواهي المسيحة، ولذلك أنا ح اصدر أوامري السلطانية ... أن تظل في خدمة دولتنا الخالدة إلى الأبد.

الطالب: ودي برده مش نكتة يا مولاي.

الغوري: يا بطل الهند والسند وقاهر البرتغاليين.

الأمير: بأمرك يا مولاي.

الغوري: لقد وضحت الحقيقة الآن ... هيا يا زوج ابنتي ووارث عرشي ... أمام القلعة ... مخربون وعملاء هيَّا.

وخلِّص الشعب منهم ... لتكون لك السلطنة خالصة بريئة.

الأمير: هكذا فهمت يا مولاي.

الغوري: مش ح اقولك على شغلك.

الأمير: سأعاملهم بما يستحق كل مخرب وعميل.

الغوري: إنني أعتمد عليك في هذه اللحظة التاريخية ... هيا قاتل من أجل ميراثك.

الطالب: ع الجاهز يا عم ... عرش وسرير ومجد للأبد.

الغوري: وسألاقيك فيما بعد، فأنا سأنشغل قليلًا ... بريِّ أزهاري ... وإلا ماتت من العطش (يأخذ كليوبطره في إيده).

(يخرجون.)

الأمير: سمعتم؟ وقدامكم ... بيكلفني مرة ثانية أطول عمر سلطنته ... خلصته من الأعداء الخارجين ... وح اخلصه من اللي جوه ... وف مقابل إيه؟ ... بنت ما بتحبنيش ... وعرش مش ضامنه ... لكن لأ ... وشرف اللي ماتوا وكلهم السمك. واللي شربوا مية المحيط، ما ح اسمح المرَّة دي بالضحك عليَّه ... السلطنة حقي والبيت من نصيبي شرعًا.

أما أنتم فاسمعوني يا حرافيش القاهرة، سأجعل من جماجمكم سلمًا فاختبئوا ... في الشقوق ... إنني قادم ... فاحفظوا اسمي ... لأنني سأعلمكم الهتاف لي بطريقة أخرى ... على نغمة أضعها بنفسي ... أعزفها على أرغولي أنا ... أين ابنتك يا سلطان آخر الزمان ... لأريق بعض الدماء الملكية، فأنا في حاجة إلى ما يرفع روحي المعنوية قبل أن أنقضَّ على هذه المدينة اللعينة!

(يقتحم القاعة مجتاحًا المتفرجين إلى الخارج ... بقعة ضوء وحيدة عبد الله بن محمد مُقيدًا ما يزال ينشد أو يغنِّي في لحن بسيط مؤثر.)

عبد الله بن محمد:

هبوب النسيم شوق لهوج العواصف
وحبي الأليم مش مخبي دا خايف

أنا عشت عمرك
مطاطي لأمرك
وامتى تزيحي القناء اللي زايف.
...
تعالي انجديني
ومن أول الحرف دا فهميني
يا يرميني جهلك ... بما في قلب أهلك
يا أموت والكلام حي فوق الشفايف.
...
يا ليلي وناري
يا جمر انتصاري
ملهلهب ضلوعي
منشف دموعي
مطفي شموعي
ولو كنت أعمى ... يخليني شايف.

(ضجة ... الحاشية والضيوف في انتظار السلطان، صوت يُذيع بطريقة المذيعين الجوفاء ويصف ارتجاليًّا موكب السلطان الذي عاد من افتتاح الهرم الأكبر ... الحماسة تزداد كلما اقترب الموكب من اقتحام المكان الغوري يوزع وروده ويقدمها لكل واحد بتعليق مناسب متفكه.)

الغوري: والآن اقترب حفلنا من نهايته الرائعة ... نموذجًا حيًّا وأبديًّا للفرح والهدوء ... هكذا ننهي هذه التمثيلية التي هي حقيقةٌ راسخة مثل كلِّ ما فعلناه خلال فترة ولايتنا الطويلة ... حديقتنا أزهرت وأينعت وترعرعت فيها زهور لم تعرفها أرض مصر من قبل ... أنا زرعتها ورعيتها بنفسي ورويتها بعرقي ... وأقسم على ذلك بشرفي ... تفضل يا عمر فإنك تستحقها والله، فأنت لم تفتحها عبثًا ... وأنتِ يا ربة الصون والعفاف ... يا شجرة الورد خدي ... رائعة مثلك لتعرفي أن أحفادك صانعو المعجزات زُرَّاع كما هم قتالين قتلة ... وأنت يا حجاج ... لتتأكد أنه حيث يطيع الشعب تنبت الزهور ... ها؟ وأنت (لعبد الله بن محمد في عداء متبادل) خذ لأؤكد للجميع أنني لا أكرهك بما فيه الكفاية.

(يداري عكننة طارئة بسبب عبد الله.)

والآن ... ستعودون لبلادكم ... وحتوحشونا جدًّا ... ولكن تذكروا ... إن اللي يشرب من ماء النيل لا بد يرجع له مرات ومرات؛ ولذلك ... سنجعل من الأهرامات مزارًا وسبيلًا ... وتكية، وملتقى لكل الناس من الأديان والأجناس ... وكل من يريد فتح مكاتب سياحية هنا أو في بلده ... نحن نرحب به دائمًا ... كما رحَّبنا بكم في حفلنا المتواضع.

تمرباي: بابا ... بابا ... بابا ...

الغوري: انتظري ... لا تقاطعيني.

تمرباي: الأمير ... يا بابا.

الغوري: نتكلم عند بعدين ... روحي العبي معاه بعيد.

الغوري: أنا طردته فخرج غضبان وبيهددك!

الغوري: بلاش دلع صغار ... ونحن يا سادة في اجتماعنا التاريخي هذا ... وفي نهاية احتفالنا ... وبداية حقبة جديدة ...

(تُقاطعه من جديد.)

الغوري: هش ... بقى ... روحي صالحيه ... امشي.

نحاول أن ...

تمرباي: قال إنه حيطربقها فوق دماغك ... هيه هيه؟

الغوري: نشهد العالم على ما نحن عليه من استقرار وعدالة ... هش ... خذي يا ابنتي أنت أيضًا تستحقين زهرة ... ها هي التي سمَّيتها باسمك ... خذي ... فقد قررت الانتهاء بسرعة من هذه المحكمة العاجلة حتى نتفرغ لأسباب سعادتنا ... ونبدأ عصر الشعوب العظيم.

أحضروا الولد المتهم!

دع الزهور ... الآن سنوزعها فيما بعد.

تمرباي: حلف حيعمل ثورة عليك ... وراح يحرِّض المماليك والناس.

الغوري: هش ... تعالي يا ابني!

إنني أسلمك لقضاتك الشرعيين ... نعم هم شرعيون لأنهم اشتروا مناصبهم بأموال حلال معروفة المصدر — فقط — أنبههم بأن يحكموا بما فيه صالح هذا الصرح الشامخ الذي بنيناه سويًّا ... وفي زمن قياسي جدًّا؛ ليكون شاهدًا على عبقريتنا ... نحن زرَّاع الزهور وبُناة المقابر العظيمة (ينفعل).

ولذلك ... أرجو أن يُعاقب بما يتناسب مع فداحة فعلته ... ليكون عبرة لمن يحاول انتهاك مقدساتنا ... بأقوال مغرضة شريرة.

الطالب: خف اللعب يا مولاي مش كده ... الناس يقولوا إيه؟

الغوري: آسف ... لأنني انفعلت ... أعرف أن هذا لا يجوز ... وانا أعتذر عنه ... وسأشغل نفسي بكتابة قصيدة جديدة ... وحتى لا يقول ذوو الغرض إنني تدخلت في مجرى العدالة.

(عبد الله بن محمد يقترب من الولد.)

عبد الله: ولا حربة بقيت يغرسوا فيها راسك.

وانا لا أملك حتى ظلي ... فهو بأرض المعتمد وتحت حوافر خيله ... لا أملك إلا أن أنصح بكلمات جوفاء ... ماتسيبلهمش غير أشلائك، إياك تفرَّط في كرامتك ... ارفع قامتك!

(يدفعونه بعيدًا.)

تمرباي: حلف أنه حينتقم منك ... حلف بأمه!

الغوري: هشت ... أنا باكتب شعر دلوقتي ... روحي لعريسك وصالحيه، قطم رقابيكو يا حلوين.

تمرباي: مش رايحة ومش حا صالحه ... أنا بقى عايزاه يهدها ... ولا يمكن أبقى نيشان يعلَّقه على صدره.

الغوري: بالعكس ... ده حيحطك في قلبه ... ياللا امشي ... امشي ... هيا ... ولا تعطلي العدالة ... هيا.

ابن القارح: التفت هنا ... وماتستعبطش ... هنا ... ليه ... إننا الآن نقيم أسس العدالة. ونذكركم يا سادة بما جرت عليه العادة من تلاوة بعض ما أقرَّه علماؤنا الأفاضل من أمثال الجاحظ، والقاضي الفاضل، الذين علَّمونا أن الله ... عز وجل منَّ على الملوك وخصَّهم بكرامته، وأكرمهم بسلطانه، حين مكَّن لهم في البلاد، وخوَّل لهم أمر العباد، ولذا أوجب علينا تعظيمهم، وتوقيرهم وتعزيزهم، وتقريظهم ... كما أوجب على الرعية طاعتهم ... والخشوع لهم، فقال في كتابه الكريم:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

وقال عز وجل:

﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

الغوري: صدق الله العظيم.

الطالب (مندمجًا في دور المهرج): ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾.

الغوري: هشت.

ابن القارح: وتعلَّمنا وصايا الأقدمين السالفين، ألا ننسى أن من ليس له قديم لا جديد له ... وقد قال أجدادنا المصريين المؤمنين الطيبين ما استطاعوا بفضله عمارة كل ما بنوه من عمائر ومقابر:

احنِ ظهرك لرئيسك وسوف يغمر بيتك بخيراته وتنال مكافأتك في موعدها.

ما أتعس الذي يُناصب رئيسه العداء!

إن المرء يحيا فقط طالما كان رئيسه راضيًا.

الطالب: وقيل قالوا:

لقد خلقت الرياح الأربعة ليتنفس الإنسان

مثل أخيه الانسان.

لقد خلقت المياه العظيمة ليستعملها الفقير مثل السيد.

لقد خلقت كل رجل مثل أخيه.

الغوري: اخرس يا ولد! ليس هذا وقت الفكاهة.

الطالب: ده فرعوني هيروغليفي ... منقوش ع الحجر.

ابن القارح: ويقول أردشير من بابك:

إن سعادة الرعية في طاعة الملوك.

فالملوك هم الأساس والرعية هي البناء، وما لا أسس له مهدوم.

الطالب: ويعيش مأزوم من غير هدوم.

عبد الله بن محمد: لما يملك راجل واحد كل الدنيا ... لازم تعمل من خلاخيل أم عيالك ... من لحمك عضمك من أغلالك ... تعمل سيف.

لما يكون راجل واحد مالك كل الدنيا

لازم ترفع سيفك

أو تأكل دود الأرض.

الغوري: قلت كفى هذرًا ... لسنا في حالة تسمح بسماع هذا الشعر الركيك ... الضيوف لا يتدخلون في المحاكمة، فإنه أمر داخلي لا نريد إفساد العدالة بالشعر وأنت ... أيها الناكر للجميل.

جعلتك مضحكي الأخير فتتطاول على الملوك.

الطالب: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾.

الغوري: وبعدين!

الطالب: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّة﴾.

الغوري: اسكت!

الطالب: صدق الله العظيم.

الغوري: ماتخليش غضبي يزيد عن إعجابي بيك! أفرمك ... دعهم ... دعهم ... يتمِّمون عدالتهم في هدوء ... وسنضحك كثيرًا بعد انتهاء هذه المهزلة.

ابن القارح: العدل أساس الملك.

وكل راعٍ مسئول عن رعيته.

هكذا سارت الأمور وهكذا ستظل تسير ... دائمًا.

بفضل حكمة وحنكة مولانا السلطان.

والآن ... أنت متهمٌ يا ولد ... بأنك المجرم الذي يسمِّي نفسه كلام الناس.

ويطلق إشاعات وأكاذيب والناس بتردد

كلامه بكل قلة أدب وبدون إذن.

العدالة بتسأل لآخر مرة ... عارف الكلام اللي إحنا قصدنا عليه؟

الطالب:

ضاعت ما بينا الأصول

لأصحاب بتكبر تقل

ويزيد مقامها تذل

واللي استراح بيعل

حين يفهم الفولة أول ماينول بيفل

القصر لما يطول ويشب يصبح غول

جمل الحمول بيكل

ويهل عصر الجوارح.

الغوري: كفاية يا ولد، ده مش شعره.
الطالب: يا مولاي ده من عندي ... اسمع:

هذا المدى الكالح
بحر المسافة ما بين السم والمالح
هذا المدى البطَّال
تمن التعاسة في سجن الحق يا قوال
هذا المدى الممرور.

الغوري: أنا قلت مش عايز شعر ... إحنا النهارده يا ابني بنقيم صرح مثالي ونموذجي للعدالة.
والشعر ممكن يشوِّه أي شيء جميل.
الطالب: عندك حق ... وكمان دي أشعار حديثة وبايخة وعامية ومش موزونة قوي ... وضعيفة ...
ولا يمكن تاخذ أي جايزة من جوايزكم.
ابن القارح: العدالة بتسأل لآخر مرة ... إنت اللي قلت الكلام ده وألَّفته؟
الطالب: ماتتعبوش نفسكم ... لأنه أخرس.
الغوري: إيه؟ ... أخرس!
الطالب: عرفت ده بالصدفة ... أمه ... أمه حكت لي حكاية كده ولا الحواديت أحكيها يا مولاي ... حكاية ولا الأفلام العربي ... وأظن مافيش أم تعيب ابنها. لو ما فيهش عيب ... احكي يا مولاي.
الغوري: اخرس ... اخرس؟
تمرباي: أيوه يا بابا ... فيه في الدنيا دي ناس خُرس كتير.
الغوري: عايزة تقولي إن أنا أقعد تلاتين سنة أدور ع اللي قال عني كل الكلام الفارغ ده ... وبعدين لما أعثر عليه، يطلع أخرس؟!
تمرباي: ممكن!
الغوري: معنى كده أنه قعد يتمسخر علينا كل المدة دي وهو ما بينطقش!
تمرباي: يا بابا ...
الغوري: مش ممكن ح يفضل أخرس ... أنا عندي اللي يخلِّيه ينطق.
تمرباي: حتعذبه؟

الغوري: لحد ما يعترف وينطق.
تمرباي: تعذب الأخرس!
الغوري: ح ينطق ... لازم يكون فيه لسان حامي ورا كل الكذب ده بيقلب نصري هزيمة.
ويشوِّه أكبر نصر ف تاريخنا.
الطالب: بس ده أخرس فعلًا ... علاوة على أنه ...

(يكتم فمه ويزيحه.)

(يتقدَّم في نعومة.)

ابن القارح: يا ابني سكاتك مش كويس عشان العدالة، اعترف ... والَّا تبقى خايف من العدالة ... تبقى معترف بأنك المجرم اللي هي بتدور عليه.
معنى كده يبقى من حقنا نقتلك من غير محاكمة.
ودي إهانة وتشويه لانتصارنا.
حتعترف والَّا حتنكر؟

(متولي يهزُّ رأسه.)

ابن القارح: بتنكر؟!

(يهزُّ رأسه عكسها.)

ابن القارح: بتعترف؟!

(يهزُّ رأسه.)

ابن القارح: أنكر تاني يا مولاي.
الغوري (عائدًا لمكانه)**:** أثبِتوا ده عليه. هو الجاني على نفسه، ويالا بسرعة.
ابن القارح: تحت أمرك يا مولاي.
الطالب: شايف ... لو حتتكلم زينا مش حيخافوا منك ... سكوتك مخوفهم ... لأنك بِسكوتك اللي ما لكش يد فيه، بتنكر قدرتهم على تحقيق عدالتهم ... نكتة ... مش كده؟ لمجرد إنك مش بتهتف للغوري.

الغوري: كفاية خلصونا.

الطالب: ماتسكتش ... إنقذ نفسك زينا ... كلمة منك إنت يمكن توقع السلطنة ... تصور ... كلمة مستحيلة.

الغوري: أنا قلت ... اخرس!

الطالب: باحاول أقنعه يتكلم! ... قول ... قول يا أخرس ... قول أي حاجة ... أمك محتاجة لك، مش كفاية ضاع الأب ... حتضيع إنت منها كمان ... ياللّا!

امدحه بعلو حسك ... يا أخرس ... اهتف يا أخرس للغوري. اللي ما يعرفش لسانه العيبة ولا ينطق الكذب ... ياللا ورايا ياللا ... عاش الغوري عاش.

ياللا ... اهتف له وقول واتكلم
خلِّي الناس منك تتعلم
قول له الضفدع سايق المركب
والنملة ع الفيل بتسلِّم
شفت السبع بيضحك سنه
والمماليك بتفرق لوز
وحمَّار قاعد يفتل دقنه
جاب الحق عطاه بالجوز
طاوعه ... وقول له ع اللي يعوز
قول له عشان بالعدل تفوز
ويجوز تعلا تقرب منه.

الغوري: كفاية ... يا ولد ... إحنا ماجيناش هنا وعزمنا كل الضيوف دي وكل الأكابر دول ... عشان نضيع وقتنا مع مهرج غبي زيك.

ابن القارح: معلهش يا مولاي ... لازم يكون مع المتهم محامي ... حقه. والمهرج من حقه يطلب له البراءة.

الغوري: نعم؟ البراءة يا ابن القارح؟!

ابن القارح: هو يطلبها بس ... آه ... لكن احنا لنا تدبيرنا ... وحنثبت العكس.

أمال احنا شغلتنا إيه؟!

داحنا اللي بنقبن الموازين.

الغوري: طب شوف شغلك بسرعة.

ابن القارح: يا مسرور.

(موسيقى عنيفة وتظهر غرفة التعذيب أو أي معادل يجعل السيدات يخفين وجوههن رعبًا ... ما عدا شجرة الدر تمضغ لبانًا، يتقدم الطالب.)

الطالب: بالمناسبة أنا دوَّرت على اسم الجلاد أيام الغوري في كل المراجع مالقيتش ... والظاهر أن كل واحد كان بيتولى مهمة تعذيب غيره بنفسه، لكن استكمالًا للديكور لجأت للتراث الشعبي، المنقذ الوحيد لكل مزنوق ... فسميت ... الكومبارس ده «مسرور» ... لأنكم أكيد حتنبسطوا من اختياري الشعبي.

الغوري: كفاية! نكمل عايزين ننتهي من المحاكمة.

الطالب: يا مولاي ... لا ... أنا مؤمن إن اللي تطوله عدالتكم ولا يمدحهاش عشان يفلت بجلده ... يبقى حاجة من اتنين ... يا إما مجنون ... يا أخرس ... إنت مجنون يا ابني ... (يهز رأسه) شفت اهه مش مجنون، بينكر، يبقى أخرس أكيد.

الغوري: كل واحد ممكن ينكر، كل واحد ممكن يبلع لسانه ويعمل أخرس، لكن التعذيب حينطَّقه.

(يخرج الغوري وابن القارح والعسكر يجرُّون الأخرس إلى غرفة التعذيب.)

الحجاج: الحقيقة أنا ماشفتش في حياتي حاكم غبي زي الغوري ده ... لماذا يريده أن ينطق؟!

عمرو: إنه لا يفهم أنهم حين يتكلمون من وراء ظهرك فهذا دليل قوَّتك ... وبرهان أكيد على ضعفهم.

الكارثة تبدأ حين يتجرَّءون على الكلام أمامك!

شجرة الدر: عجيبة إصراره أنه يخلِّي الأخرس ينطق.

السفاح: الحاكم يجب أن يقطع الألسنة لا أن يدفعها إلى اللغو.

الحجاج: وماذا لو أعاد ترديد الحقائق التي نشرها بين الناس؟!

الطالب: متخافش، ده خلقة ربنا مش حينطق.

الحجاج: ذات يوم كنت أخطب في أهل البصرة ... وقلت لهم: أيها الناس مَن أعياه داؤه فدواؤه عندي.

ومَن استطال عليه أجله أعجلته له ... ومَن أثقلت رأسه الأفكار أرحته منه. ومَن أتعبته الأيام وفَّرتها عليه ... وظل الجميع صامتين كأن على رءوسهم الطير ... أخرسهم كلامي وشجَّعني هذا طبعًا على مواصلة التهديد قائلًا:

إنني أُنذر ولا أنظر ... أُحذر ولا أعذر ... أتوعَّد ولا أعفو ... ثم أقسمت أنني لو أمرت أحدهم بالخروج من بابٍ فخرج من باب يجاوره، سأضرب عنقه.

وساد الصمت لحظة وأحسست أنني ملكتهم ... وفجأة وقف أحدهم ساخرًا وقال:

عبد الله بن محمد: كفاية بقى.

الحجاج: ألا تخشاني يا ولد؟!

عبد الله: يا عم روح ... ما يقبض الروح إلا خالقها ... لو مكتوب لي نَفَس ح اشمه ... لقمة ح اكلها ... وآديني قدامك وح اخرج من مطرح ما يعجبني ساعة ما يعجبني.

الطالب: وعملت إيه؟

الحجاج: وقفت خائبًا مثل صاحبك هذا ... وأمرت المؤذن أن يُقيم الصلاة.

(يعود الغوري والحرس يعيدون الأخرس ممزقًا مضروبًا.)

الغوري: باسم الله ... هيا لنستأنف المحاكمة ... هيا.

ابن القارح: أنت يا متهم ... حكم الإعدام أصبح في حكم التنفيذ ... لكن مع ذلك إحنا ما زلنا منتظرين اعترافك.

الطالب: لازم تعترف ... ما حدش في دولة المماليك بيموت بدون ما يعترف.

ابن القارح: اعترف يا ابني ... لأن عدم اعترافك معناه تشكيك في عدالة السلطان ... وأنه ظالم ... ودي خيانة عظمى ... اسمع ... مرة أخيرة باسألك ... العدالة بتسألك: إنت بتنكر الخيانة والَّا بتعترف؟

(يهزُّ رأسه.)

بتنكر؟

(يهزُّ رأسه.)

يبقى بتعترف؟!

(يهزُّ رأسه.)

لا ... بقى ... عيب تهز دماغك وتترقص بالشكل ده في المحكمة!
كلاكيت آخر مرة.
بتنكر والَّا بتعترف؟

(يهزُّ رأسه.)

ربنا ياخد أجلك! ما هو بقى يا تنطق يا إما انت أخرس فعلًا!
الغوري (منتفضًا): لا ... ح يتكلم، لازم يعترف ... لأن كل اللي قاله واللي بيقوله دلوقتي ... واللي عايز يقوله كدب.

(يتقدَّم إليه في مواجهه.)

الغوري: خاين جدوده ... إنت فاكر نفسك إيه ... هه ... متهيألك إننا مش عارفين إيه اللي في دماغك يا متشرد يا زبالة ... كل كلمة قلتها مرصودة عليك ... قول — ح تقول — إن الهرم اللي تعبنا وشقينا لحد ما بنيناه مالناش أي فضل في وجوده؟ ... كل اللي عملناه أننا قصينا الشريط ودقينا مزيكة ... ح تقول إن الألوف اللي ماتوا راحوا هدر ماتوا غدر لأسباب تانية ... لو راجل تقول الأسباب ... قول — ح تقول — إننا ما حاسبناش حد على المراكب اللي غرقت ولا المكاحل اللي ساحت ... قول إن أنا مصاص دم باقتل أصحابي وبابيع أهلي وباتنكر لابني ... قول — يا كداب يا نِوَري.
عايز تقول إيه تاني عني؟
مالك يا شجاع ... بترتعش ليه؟ ... ودلوقتي خانتك شجاعتك!
ماتبصش ليَّه كده ... وإلَّا خرمت عنيك بايدي! ... أنا السلطان الأشرف اللي خلا للبلد دي سعر مش ح اسمح لحد يشوِّه انتصاري ... أنا ... أنا نقطة ارتكاز العالم ... طبل الميادين ... مانشيت الصحف في أركان الأرض الأربعة ... واللي كلكم ... أيوه كلكم (للمتفرجين) بتهتفوا باسمي أول ما أهل عليكم ... قول ... قولوا ... عايزين تقولوا إن أنا خربتها وقعدت على تلها؟
اخرس إنت ... كلمة واحدة تانية من بُقَّك واخنقك ... هه ساكت ليه دلوقتي؟ لو شجاع قولها ف وشي ... أنا؟ بتقول عليَّه أراجوز؟! وإن أي واحد هنا نفسه يتف ف وشي لو قربت منه (يخنقه حتى الموت).
طب ورِّيني كده أهه ... وانت؟ طب وانت؟ مين اللي عايز يتف في وشِّي أنا بكل سماحة وطُولة بال باسألكم؟ ... فيه حد هنا عايز يتف ف وشِّي؟

(عبد الله بن محمد يتقدم محدثًا ضجة لذلك.)

لا ... إنت مش من أهل البلد ... إنت من عصر تاني، وكمان مش حر، أنا باتكلم عن الأحرار اللي مش متطفلين على حفلتنا ... حد منكم نفسه يتف ف وشي؟
ها ... ها ... ولا واحد ... وده دليل قاطع على إنكم بتحبوني كلكم، أيوه بتحبوني.

(صمت ... توتر ... يتقدم عبد الله بن محمد ويبصق في وجهه يمسح الغوري البصقة بهدوء يتقدم الحراس يستدير عبد الله بن محمد منصرفًا عنه – الغوري يسحب سيفه، وبصرخة كلها غل يطعنه من الخلف، حركة بطيئة ردود فعل – صمت.)

(موسيقى عنيفة وبروجي وطبلخاناه، ويقتحم الجند على رأسهم الأمير المسرحَ صاعدين إلى الخشبة وسط ذهول الجميع.)

(الأمير بعد عدة صيحات وحركات يحكم سيطرته على القاعة وعلى المسرح، تتحول المواقف المختلفة للشخصيات المختلفة استعدادًا لبدء التمثيل من جديد في ثوب جديد.)

(وعلى دقة ورقَّة اتخاذ المواقف الجديدة يتوقَّف تأثير وتعبير المشهد عن الانتقال من التمثيلية القديمة إلى الجديدة.)

(السلطان الغوري متجمد ومذهول على كرسيه ... يُحدِّق في الفراغ مفقوع المرارة.)

(ابن القارح بدون افتعال يفتح ذراعيه مرحِّبًا بالوافد الجديد في بوز متميز، الضيوف يتخلصون من وقع المفاجأة تدريجيًّا ... وكأن لم تكن.)

(يدخل السلطان سليم العثماني ... على نفس لحن الغوري صيحات الترحيب والهتاف بلغة غير مفهومة ... أو صامتة ... أيهما أنفع.)

(تمرباي تندفع إلى أحضان الطالب باكية بطريقة عيالي كمن ضاعت منها لعبة.)

(الأمير ينتزعها ويدفع بها بعيدًا مهددًا، ويحضنها كمن يفترسها ويسلِّمها لشجرة الدر، يتقدم السلطان سليم إلى العرش ... ويدفع بأصبعه الغوري ... الذي يقع كالشوال ميتًا على الأرض.)

(يتقدم بعض العسكر يجرِّدونه من ملابسه وأدوات حكمه، وآخرون يسحبون جثة الأخرس وجثة عبد الله إلى الخارج.)

(تُسحب جثة الغوري ... يتسلَّل الطالب دون أن يدري به أحد ويختفي، يجلس سليم مكان الغوري ... للحظة يتجمَّد المشهد ثم يُصفِّق سليم فيسرع ابن القارح في خفةٍ إلى إعادة ترتيب الموقف ... ويدندن بلحن الأغنية الأولى. كليوبطره تسقي الأمير والسلطان وتدور بين الكل بالشراب.)

(ثم تدبُّ الحياة والنشاط في كل مكان ... ويرتفع الغناء وكأن ما كان ... كان من زمان ... وابن القارح يقود الأوركسترا.)

اقرا الفاتحة لسلطان العصر الذهبي
أيام أولاد عثمان
أيام كان فيها الشعب المصري يادوب
على شط النيل عطشان
في طاحون العيشة فريك
في السوق بيموت تماحيك
أو في السراديب بتُهم تلاكيك
وإذا كان فيه حد مريض بالشوق للعدل مالهش مكان.

(يدخل الطالب من حيث اختفى وقد غلبه الضحك بنفس طريقة دخوله الأولى، وعلى قدرته على استيعاب كلِّ ما يحدث بضحكته وهو يقدم التمثيلية الجديدة على الطريقة القديمة من على المسرح يستغربون.)

الطالب: النهارده المحروسة في عيد.
عيد تاريخي ماحصلش قبل كده في التاريخ ولا حيحصل.
النهارده في القاهرة أم الفنون والجنون،

كل الخلق واقفة على رجل واحدة،
وبترقص على الواحدة ابتهاجًا بوصول عسكر السلطان العثماني منتصرًا على المصريين الـ... ها ... ها ...

(يغلبه الضحك – عدوى الضحك تنتقل إلى الحاشية والضيوف، سليم يبرق هنا وهناك.)

الطالب: بفضل حنكة وحكمة وشجاعة السلطان الحاوي (يضحك) لكل فضل — يزداد ضحكًا ... الملك الأشرف أبو النصر قنصوة سليم العثماني الأشرفي — يزداد الضحك — سليم ينفجر ضاحكًا هو الآخر ... بطريقة مغايرة.

(هيستريا الضحك تأخذ الجميع وكل منهم يخلع ملابسه ويُلقي بها في الأرض ... وهم يتنزعون ذقون وعمم وباروكات بعض ... إظلام ... مع صمت فجائي.)

(ضحكة ذات صدًى رهيب مجهولة المصدر تُسيطر على الفراغ، إضاءة والجميع منحنون أمام الجمهور.)

هنـــداوي